بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمينَ الَّذي أنزل كتابه المُبين رحمة للعالمينَ وذكرى وموعظة للمتَّقينَ، والصَّلاة والسَّلام على سيّد الخلق أجمعينَ محمَّد (ﷺ) وعلى آل بيته الطَّيّبينَ الطَّاهرينَ وصحبه المُنتجبينَ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعد:

نزل القرآن الكريم بلسان العرب وعالج قضاياهم وعبَّر بلغتهم عن مراده على عهد الله تعالى في إنزال الكتب وإرسال الرُّسل ولمَّا كان العرب قومًا فصحاء فقد أدركوا دلالات القرآن الكريم وفقهوا معانيها بحسب ما أراده الله (ﷻ) لهم حينما نزل القرآن الكريم، فقد كان لسانه عربيًّا مبينًا، لذا حاول جَمْع من أعلام المفسِّرينَ أنْ ينهجوا منهج استنطاق القرآن الكريم للوصول إلى فهم أعمق للمعاني وبيان أوضح للمدلولات، وتعدُّ عمليَّة استنطاق النَّصِّ القرآنيِّ من أبرز معالم نظريَّة أهل البيت (عليهم السلام) في فهم القرآن الكريم فهمًا دقيقًا وتفصيليًّا، وتجدر الإشارة إلى أنَّ عمليَّة استنطاق النَّصِّ القرآنيِّ -أعني: الحقيقي، لا الظَّاهريّ- لا تتأتَّى لكلِّ أحدٍ إلَّا لأهل البيت (عليهم السلام)، إذ أنَّ في القرآن الكريم من الأسرار ما لا يدركها إلَّا المعصوم والنُّدرة من أصحابه، لذا لا ينطق مع كلِّ أحدٍ إلَّا مع أهل البيت (عليهم السلام) ومن سار على هديهم واتَّبع منهجهم في إدراك مضامين القرآن الكريم، وكان الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أوَّل من أسَّس قاعدة استنطاق النُّصوص القرآنيَّة في نهج البلاغة الَّتي كان لها أثر بالغ في فَهْم القرآن الكريم ومعرفة معانيه، فضلًا عمَّا لهذه النُّصوص من دور بارز في إيصال المعنى المقصود من الخطاب إلى المُتلقِّي؛ لأنَّ هذا الكتاب كلَّما ولج ميدانًا وصل به إلى أوجه كماله، وهذا ما دفع الباحثة لدراستها في نهج البلاغة بالبحث الَّذي وسمناه: (**اسْتِنْطَاقُ النَّصِّ القُرْآنِيِّ فِي نَهْجِ البَلَاغَةِ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ**).

أهميَّة الموضوع: نظرًا لما امتاز به النَّهج من حضور النَّصِّ القرآنيِّ في خطبه وكتبه وحِكَمه فكان في مضمونه نَهْجًا للحياة كونه قائمًا على علاقة بين الذَّات الإلهيَّة والإنسان، فبهذه النُّصوص القرآنيَّة تمكَّن أمير المؤمنينَ (عليه السلام) من بيان مقاصده وأهدافه في كلِّ موضعٍ؛ كونه اشتمل على موضوعاتٍ ومضامين تتعلَّق بجوانب الحياة كلِّها، منها ما يتعلَّق بالله سبحانه وتعالى من حيث صفاته الإلهيَّة وأحداث اليوم الآخر، ومنها ما يتعلَّق بالإنسان من حيث بنائه السُّلوكي وصفاته، ومنها ما يتعلَّق بالكون من حيث حقيقة المخلوقات، والحياة الدُّنيا، ووجوب أخذ العبرة من الماضين.

سَبَبُ اخْتِيَارِ الموضوع: يمكننا أن نلخِّصها بأنَّها تسلِّط الضَّوء على النُّصوص القرآنيَّة الَّتي استنطقها الإمام (عليه السلام) وتناولت جميع هذه الجوانب، فهي بمثابة التَّصوير والتَّجسيد لكلِّ تلك المعالم.

مُشْكِلَةُ الرِّسَالَةِ: إنَّ الرِّسالة تحاول الإجابة على تساؤل كلِّي، يطرحه السُّؤال الآتي: هل أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق القرآن الكريم في كلامه الواصل إلينا في (نهج البلاغة) ؟، وعلى فرض الإجابة بـ(نعم) فما هي الحقول المعرفيَّة الَّتي استنطق فيها القرآن الكريم؟، وعلى فرض الإجابة بوجود حقول معرفيَّة، فما هي أبعاد هذه الحقول؟، وما هو المغزى الكلِّي الَّذي يمكن أنْ يحقِّقه لنا هذا الاستنطاق في جزئيَّات تلك الأبعاد المندرجة تحت الحقول المعرفيَّة الَّتي تضمَّنت استنطاق النَّصِّ القُرآنيّ؟

مَنْهَجِيَّةُ الرِّسَالَةِ: إنَّ المنهج المُتَّبع في هذه الرّسالة تشكَّل من مجموعة مناهج بضمِّ بعضها إلى بعض انتجت منهجًا تكامليًّا، أمَّا المنهج الأوَّل فهو المنهج (الاستقرائيّ)، وأمَّا المنهج الثَّاني فهو المنهج (الموضوعيّ) سواءً ناظرًا إلى وحدة المعنى -وهو الأعمُّ الأغلب- كان المنهج، أم ناظرًا إلى وحدة الاشتقاق وهو الأقلُّ ورودًا، وضُمَّ لهما منهجان آخرانِ أحدهما المنهج (التَّحليليّ) والثَّاني المنهج (النَّقديّ) ما استطعتُ إلى ذلك سبيلًا.

خُطَّةُ الرِّسَالَةِ: لكي نتمكَّن من الإحاطة بالموضوع رسمنا خطَّة قامت عليها أقسام الدِّراسة الَّتي اشتملت على خمسة فصول سبقها تمهيد بيَّنا فيه مفاهيم الاستنطاق، والنَّصِّ، والقرآن لغة واصطلاحًا، ثمَّ التَّعريف بكتاب (نهج البلاغة) ونبذة عن مؤلِّفه وجامعه.

أمَّا الفصل الأوَّل فكان بعنوان (استنطاق النَّصِّ القرآنيّ في حقل أصول العقيدة) والَّذي ينقسم بدوره إلى أربعة مباحث، المبحث الأوَّل: استنطاق نصوص الصِّفات الإلهيَّة، والمبحث الثَّاني: استنطاق نصوص حقيقة القرآن، والمبحث الثَّالث: استنطاق نصوص صفات الملائكة، والمبحث الرَّابع: استنطاق نصوص حقيقة اليوم الآخر.

أمَّا الفصل الثَّاني فقد كان بعنوان (استنطاق النَّصِّ القرآنيّ في حقل البناء السلوكيّ بالعبادات) وتوزَّع على خمسة مباحث: المبحث الأوَّل: استنطاق نصوص سلوكيَّات مراتب الطَّاعة، والمبحث الثَّاني: استنطاق نصوص سلوكيَّات عبادة الصَّلاة، والمبحث الثَّالث: استنطاق نصوص سلوكيَّات عبادة الحجِّ، والمبحث الرَّابع: استنطاق نصوص سلوكيَّات الجهاد والقتال، والمبحث الخامس: استنطاق نصوص سلوكيَّات اتِّباع المعروف.

وأمَّا الفصل الثَّالث فقد كان بعنوان (استنطاق النَّصِّ القرآنيّ في حقل ذكر الصِّفات البشريَّة) وتضمَّن خمسة مباحث: المبحث الأوَّل: استنطاق الصِّفات الموجبة للاتِّباع، والمبحث الثَّاني: استنطاق الصِّفات الموجبة للظَّفر، والمبحث الثَّالث: استنطاق الصِّفات الموجبة للفلاح، والمبحث الرَّابع: استنطاق الصِّفات الموجبة للخُسران، والمبحث الخامس: استنطاق الصِّفات الموجبة للمِحَنِ.

أمَّا الفصل الرَّابع فقد كان بعنوان (استنطاق النَّصِّ القرآنيّ في حقل الوعظ والإرشاد) وتضمَّن ستَّة مباحث: المبحث الأوَّل: استنطاق نصوص الوعظ بالإيمان والتَّقوى، والمبحث الثَّاني: استنطاق نصوص الوعظ بأنواع الاختبار، والمبحث الثَّالث: استنطاق نصوص الوعظ بالأسى والتَّأسِّي، والمبحث الرَّابع: استِنطاق نصوصِ الإرشاد لسُبُلِ النَّجاح، والمبحث الخامس: استِنطاق نصوص الإرشاد لِأنوَاع الأمان، والمبحث السَّادس: استِنطَاق نصوص الإرشاد لِلاقتِداءِ والتَّنبيه.

أمَّا الفصل الخامس فكان بعنوان (استنطاق النَّص القرآنيّ في حقل المخلوقات وأفعالها) وتضمَّن ثلاثة مباحث: أمَّا المبحث الأوَّل: استنطاق نصوص حقيقة المخلوقات، والمبحث الثَّاني: استنطاق نصوص أفعال المخلوقات، والمبحث الثَّالث: استنطاق نصوص أفعال أقوام الأنبياء.

ومن الجدير بالذِّكر إنَّ الاصطلاح الوارد في هذه الرِّسالة يراد به اصطلاح علماء القُرآنِ والتَّفسير.

وانتهت الدِّراسة بخاتمة عرضنا فيها النتائج، وتلاها ثبت المصادر والمراجع.

الدِّراسات السَّابقة

١- الخطاب الوعظيّ النَّبويّ- دراسة تحليليَّة بلاغيَّة/ أحمد آدم أحمد محمَّد، رسالة ماجستير/ جامعة أم درمان الإسلاميَّة، ١٤٣٣هـ.
٢- المقاصد القرآنيَّة في خطب نهج البلاغة دراسة تفسيريَّة/ رسل سالم جبَّار الجبوريّ، رسالة ماجستير/ جامعة بابل، ١٤٤٢هـ.
٣- الأثر القرآنيّ في نهج البلاغة- دراسة في الشَّكل والمضمون/ عبَّاس علي حسين الفحَّام، أطروحة دكتوراه/ جامعة الكوفة، ١٤٢٩هـ.
٤- الاسهامات النَّصيَّة في التُّراث العربيّ/ بن الدِّين بخولة، أطروحة دكتوراه في علوم اللِّسانيَّات النَّصيَّة/ جامعة وهران، ٢٠١٥هـ - ٢٠١٦م.

مَصَادِرُ الدِّرَاسَةِ ومَرَاجِعُهَا: تمَّ الاعتماد في هذه الرِّسالة على مصادر (قديمة)، ومراجع (حديثة) متنوِّعة من كتب التَّفسير وشروح ومعجمات موضوعيَّة وتصانيف لنهج البلاغة، إضافة إلى كتب الأحاديث، ومن أهم هذه المصادر في باب (المعجمات): العين للفراهيدي، ومجمل اللُّغة لابن فارس، ومختار الصَّحاح للرَّازيّ، ولسان العرب لابن منظور، والمصباح المنير للفيُّوميّ، وفي

باب (التَّفسير): معاني القرآن للفرَّاء، وجامع البيان للطَّبري، ومعالم التَّنزيل للبغوي، والبحر المحيط لأبي حيَّان الأندلسيّ، والدُّرُّ المنثور للسِّيوطيّ، وفي باب (شروح النَّهج): شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزليّ، وشرح نهج البلاغة لعبَّاس عليّ الموسويّ، وشرح نهج البلاغة لعبد الله شبَّر.

ومن أهمّ المراجع الحديثة في باب (المعجمات): المعجم الوسيط لمجمَّع اللُّغة العربيَّة، وفي باب (التَّفسير): في ظلال القرآن لسيِّد قطب، والتَّحرير والتَّنوير لابن عاشور، والميزان لمحمَّد حسين الطَّباطبائيّ، والأمثل لناصر مكارم الشِّيرازيّ، وفي باب (شروح النَّهج): مفتاح السَّعادة لمحمَّد تقي النَّقويّ، ومنهاج البراعة لميرزا بن حبيب الله الخوئيّ، وبهج الصِّباغة لمحمَّد تقي التَّستُّري، وشرح نهج البلاغة لمحمَّد حسين الجلاليّ، وغيرها من المصادر والمراجع المذكورة في قائمة المصادر والمراجع.

الخَاتِمَةُ: وجاءت فيها أهمّ النِّقاط والنَّتائج الَّتي توصَّل إليها البحث.

وأخيرًا أرجو أنْ أكونَ قد وُفِّقتُ في تقديم إسهامة علميَّة متواضعة التمسُ بها منه تعالى أجر المُقِلِّ، وأسأله سبحانه التَّوفيق والسَّداد، والتَّوجيه والرَّشاد، والنَّفع والانتفاع، والعوْنَ والإسناد، وإظهار الجميل، وستر القبيح، (فبه يُفتَأُ حدُّ الشَّدائدِ، ومنه نلتمسُ الفوائد، وهو المدعوُّ للمهمَّاتِ، والمَفزَع في المُلمَّات)[1]، وهو حسبنا ونعم الوكيلِ.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمينَ

والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّد وآله الطَّاهرينَ.

الباحثة

(١) عليّ بن الحسين/ الصَّحيفة السَّجاديَّة/ ٤٥.

المِحْوَرُ الأَوَّلُ: مُصْطَلَحُ اسْتِنْطَاقِ النَّصِّ القُرْآنِيِّ

المَطْلَبُ الأوَّلُ: تَحْديدُ مُصْطَلَحِ (الاسْتِنْطَاقِ)

الفَرْعُ الأَوَّلُ: الاسْتِنْطَاقُ فِي اللُّغَةِ

نَطَقَ النَّاطِقُ يَنْطِقُ نُطْقاً، فهو مِنطيقٌ بليغ، والكتاب النَّاطق: البَيِّن، وكلام كلِّ شيء مَنْطِقهُ[١]، والنُّون والطَّاء والقاف أصل: يخصُّ كلام أو ما أشبه، والمَنطِق قد يكون لما لا نفهمه نحن قال تعالى في قِصَّة سليمان: ﴿عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾[٢].

ونَطوقاً، أي: تكلَّم بصوت وحروف تعرف بها المعاني. وأنطقهُ الله تعالى واستنطقهُ[٣]، وكلام كل شيء مَنْطِقُهُ وقد يستعمل المنطق في غير الانسان وتناطق الرَّجلان: تقاولا وناطق كلُّ واحد منهما صاحبه: قاوله[٤]، ونَطْقاً: من باب ضَرَبَ ومَنْطِقًا، والنُّطْقُ بالضَّم اسم منه، وأنطقهُ إنطاقاً، أي: جعله ينطُق، ويُقال نَطَقَ لسانه كما يُقال نَطَقَ الرَّجل ونَطَقَ الكتاب بَيّنَ وأَوضَحَ[٥]، والنُّطْقُ إنَّما يكون لمن عبَّر عن معنى فلمَّا فهَّم الله تعالى سليمان (عليه السلام) أصوات الطَّير سمَّاه مَنطِقًا، لأنَّه عبَّر به عن معنى فهمه، وكذلك الحمام فإنَّه لا نُطْقَ له وإنَّما هو صوت وكلُّ ناطق مُصوّت: ناطِق ولا يقال للصوت نُطْقٌ حتى يكون هناك صوت[٦]، ويُقال نَطَقَ الطَّائر، أو نَطَقَ العُود، أي: صَوّتَ، ونَطَقَ الرجل: أي صار مِنطيقًا، وأَنْطَقَهُ: جعله يَنطِق، وأَنطَقَ الله الألسن، ونَطَّقه: أَنطَقَهُ، والمُستَنْطِق: الَّذي يستجوب المتّهم في الشُّرطة أو القضاء[٧].

يبدو ممَّا تقدَّم أنَّ الاستنطاق في اللُّغة: يطلق على كلِّ ما عبَّر عن معنى نفهمه كالكلام البيِّن الواضح، أو ما أشبه الكلام كصوت الطُّيور لمن فهمها كما في قصَّة نبي الله سليمان (عليه السلام) الَّذي فهَّمه الله تعالى صوت الطُّيور، كما يُقال نَطَقَ الكتاب إذا بيَّن وأوضح ما فيه من المعاني، فكل ما فهمنا منه معنى معيَّن يُقال له استنطاق، والمُستنطِق الَّذي يستجوب الآخر ليُدلي ما عنده من معلومات.

---

(١) الفراهيديّ/ العين، ٤/ مادَّة: (نَطَقَ)، ابن منظور/ لسان العرب، ٤/ مادَّة: (نَطَقَ)، الزُّبيديّ/ تاج العروس، ٢٦/ مادَّة: (نَطَقَ)، مجمَع اللُّغة العربيَّة/ المعجم الوسيط/ مادَّة: (نَطَقَ).
(٢) النَّمل/ ١٦.
(٣) الرَّازيّ/ مختار الصَّحاح/ مادَّة: (نَطَقَ)، الفيروز أبادي/ القاموس المحيط، ٣/ مادَّة: (نَطَقَ).
(٤) ابن منظور/ لسان العرب، ٤/ مادَّة: (نَطَقَ)، الزُّبيديّ/ تاج العروس، ٢٦/ مادَّة: (نَطَقَ).
(٥) الفيُّوميّ/ المصباح المنير، ١/ مادَّة: (نَطَقَ)، مجمَع اللُّغة العربيَّة/ المعجم الوسيط/ مادَّة: (نَطَقَ).
(٦) الزَّبيديّ/ تاج العروس، ٢٦/ مادَّة: (نَطَقَ).
(٧) مجمَع اللُّغة العربيَّة/ المعجم الوسيط/ مادَّة: (نَطَقَ).

الفَرْعُ الثَّانِي: الاسْتِنْطَاقُ فِي الاصْطِلاحِ

النُّطْقُ والمَنْطِق: كلُّ لفظ يعبَّر به عمَّا في الضَّمير مفردًا كان أو مركَّبًا وقد يطلق لكلِّ ما يصوّت به على التَّشبيه أو التَّبع كقولهم: (نَطَقَت الحمامة)، ومنه النَّاطق والصَّامت للحيوان والجماد وفي قوله تعالى: ﴿عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾[1]، سمّى أصوات الطَّير نُطْقًا اعتبارًا لسليمان فإنَّه يفهمه، فمن فهم من شيء معنى فذلك الشَّيء بالإضافة إليه ناطق وإن كان صامتًا، وبالإضافة إلى من لا يفهم عنه صائت وإن كان ناطقًا، وقد يُراد بالنُّطق ما يجري على الجنان لا ما يجري على اللِّسان[2].

والنُّطق: الأصوات المقطَّعة الَّتي يظهرها اللِّسان وتعيها الأذان، قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾[3]، ولا يُقال إلَّا للإنسان، والمنطقيّون يسمُّون القوَّة الَّتي منها النُّطق نطقًا. فالنُّطق لفظ مشترك بين القوَّة الإنسانية الَّتي يكون منها الكلام وبين الكلام المبرز بالصَّوت، وقد يُقال النَّاطق لما يدل على شيء، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾[4]، إشارة إلى إنَّهم ليسوا من جنس النَّاطقين ذوي العقول وقوله: ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[5]، قيل: أراد الاعتبار فمعلوم إن الأشياء كلها ليست تنطق إلَّا من حيث العبرة[6].

والاستنطاق: هو ما تكون فيه المسألة منبثقه من واقع الحياة الاجتماعية ويكون جوابها من القرآن وفي هذا الأسلوب يعمل القرآن كطبيب حاذق في معالجة أمراض العصر على المستوى الفردي والاجتماعي.

وذهب بعض المعاصرينَ إلى إنَّ هذا الأسلوب تمامًا تحدَّث عنه الإمام علي(عليه السلام) إذ قال: ((ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه ألَا أنَّ فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم ما بينكم))[7]، [8]، وهذا التَّعبير الَّذي جاء في كلام ابن القرآن أروع تعبير بوصفه حوارًا مع القرآن الكريم وطرحًا للمشاكل الموضوعية عليه بقصد الحصول على الإجابة

---

(١) النَّمل/ ١٦.
(٢) ظ: الرَّاغب الأصفهانيّ/ المفردات في غريب القرآن، ٦٤١/١-٦٤٢، ظ: الكفويّ/ الكلّيات/ ٧١٠.
(٣) الصَّافَّات/ ٩٢.
(٤) الأنبياء/ ٦٥.
(٥) فصِّلت/ ٢١.
(٦) ظ: الرَّاغب الأصفهانيّ/ المفردات في غريب القرآن، ٨١١/١-٨١٢.
(٧) الكلينيّ/ الكافي، ٦١/١.
(٨) محمود مرويان/ منهج التَّفسير الموضوعيّ/ ٨٩.

القرآنية، والّتفسير الموضوعي الاستنطاقيّ يكون حكمه مأخوذ من القرآن أمَّا موضوعه والسُّؤال بشأنه فيؤخذ من خارج القرآن من قبيل: السُّنن الاجتماعيَّة وفلسفة التَّاريخ في القرآن[١].

يظهر ممَّا تقدَّم

- أنَّ الاستنطاق لغة: تكليم للحصول على الإجابة -الافتراضيَّة- من كلامه.

- الاستنطاق اصطلاحًا: تكليم للحصول على الإجابة -الافتراضيَّة- من كلامه لما هو غير ظاهر.

فالمعنى الاصطلاحيّ تبنَّى المعنى اللُّغويّ وزاد عليه لما هو غير ظاهر.

- في القرآن موجود جذر الاستنطاق فقط وهو مادَّة (نطق) ومشتقَّاتها، أمَّا مادَّة استنطق فهي غير موجودة.
- أمَّا في السُّنَّة فقد ظهر الفعل الَّذي أُخذَ منه الاستنطاق، فالاستنطاق مصدر مأخوذ من الفعل (استنطق)، والأخير ورد في السُّنَّة الشَّريفة.
- ثمَّ ظهر في النَّقد الأدبيّ على يد لوي التوسير -فيلسوف فرنسي (ت/١٩٩٠م)- ويُراد به: البحث عن المعنى المكتنز في النَّصِّ.

المَطْلَبُ الثَّانِي: تَحْدِيدُ مُصْطَلَحِ النَّصِّ

الفَرْعُ الأَوَّلُ: النَّصُّ فِي اللُّغَةِ

النَّصُّ: رَفْعُكَ الشَّيءِ، ونَصُّ الحديث ينصُّهُ نَصًّا، أي: رفعهُ، وكلُّ ما أظهر فقد نُصَّ[٢]، ونَصَصْتُ الرَّجل: إذا استقصَصْتُ مسألته عن الشَّي حتَّى تستخرج ما عنده[٣]، جاء في حديث أمير المؤمنين (عليه السلام): ((اذا بلغ النِّساء نصَّ الحِقاق))[٤]، يعني منتهى بلوغ العقل ونَصْنَصَ الشَّيء: حرَّكهُ[٥]، ونَصَصْتُ الحديث نصًّا من باب قَتَلَ رفعه إلى من أحدثه ونَصَّ النِّساء العروس نَصًّا رفعنها على المنَصّة وهي الكرسيُّ الَّذي تقف عليه ونَصَصتُ الدَّابّة استَحثَثْتها واستخرجتُ ما عندها من السَّير[٦]، ونصَّ المتاع نصًّا، أي: جعل بعضه إلى بعض والنَّصُّ والنَّصيص السَّير الشَّديد والحثُّ، وأصل النَّصِّ أقصى الشَّيء وغايته ثمَّ سمِّي به شيء من السَّير السَّريع ومنه قول الفقهاء نَصُّ

---

(١) محمود مرويان/ منهج التَّفسير الموضوعيّ/ ٩٦.
(٢) الفراهيديّ/ العين، ٤/ مادَّة: (نَصَصَ)، ابن فارس/ مجمل اللُّغة، ١/ مادَّة: (نَصَصَ)، الرَّازيّ/ مختار الصَّحاح/ مادَّة: (نَصَصَ).
(٣) ابن فارس/ مجمل اللُّغة، ١/ مادَّة: (نَصَصَ).
(٤) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) /٥٩٦.
(٥) الرَّازيّ/ مختار الصَّحاح/ مادَّة: (نَصَصَ)، الفيروز أبادي/ القاموس المحيط/ مادَّة: (نَصَصَ).
(٦) الفيُّومي/ المصباح المنير، ١/ مادَّة: (نَصَصَ).

القرآن ونَصُّ السُّنة، أي: ما دلّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام ونَصُّ كل شيء منتهاهُ[١]، والنَّصُّ: الإسناد إلى الرئيس الأكبر والتَّوقيف والتَّعيين على شيء ما[٢]، وجمعه نُصوص أي الكلام المنصوص الذي لا يحتمل التَّأويل والإنشاء، ويُقال نصّاً وروحًا، أي: من حيث اللفظ ومن حيث المعنى، ونَصَا نَصْوًا الرَّجل، أي: أصاب ناصيته أو قبض عليها[٣].

يبدو ممَّا تقدَّم أنَّ النَّصُّ في اللُّغة: هو رفع الشَّيء وبلوغ غايته ومنتهاه، أو هو الإسناد إلى الشَّخص للتَّوقيف على شيء معيَّن، ونصُّ القرآن، أو نصُّ السُّنَّة ما دلَّ ظاهر لفظهما على ما فيهما من الأحكام، وجمعه نُصوص وهو الكلام الَّذي لا يحتمل الإنشاء والتَّأويل، فكلُّ ما رُفِعَ وأظهِر فقد نُصَّ، والنَّصُّ المراد -هنا- ما نُقِلَ عن قائله بحرْفه من دون زيادةٍ، أو نقصان، فهو يتعلَّق باللُّغة المدوَّنة.

الفَرْعُ الثَّانِي: النَّصُّ فِي الاصْطِلاحِ

وضع المتقدِّمونَ النَّصَّ على رأس أنماط البيان، وعَرَّفوه بأنَّه: (المُستغني فيه بالتَّنزيل عن التَّأويل) وهو الَّذي لا يعذر أحد بجهالته، وعلى هذا فالدَّلالة الاصطلاحيَّة لم تضف شيئًا إلى الدَّلالة اللغوية وقد ظلَّت الدَّلالة الاصطلاحيَّة هي السَّائدة في الخطاب.

أمَّا النَّصُّ عند المُعاصرينَ: فهو سلسلة من العلامات المنتظمة في نسق من العلاقات تنتج معنى كليًّا يحمل رسالة، ولمَّا كانت الآية علامة والنَّصُّ رسالة فإنَّ الكون كلَّه في الخطاب القرآنيّ سلسلة من العلامات الدالَّة على وجود الله ووحدانيَّته، فمعنى ذلك إنَّ هناك نصَّين: أحدهما: نصًّا لغويًّا مرسلًا من الله للإنسان، والثَّاني: نصًّا غير لغويٍّ – العالم – ويمثِّل رسالة يتجاوب مضمونها مع مضمون الرّسالة اللُّغويَّة.

واستعراض دلالة كلمة (آية) ومشتقَّاتها في الخطاب القرآني يؤكِّد ذلك، وهذا يدلُّ على وجود تصوُّر لتساند النُّصوص في إنتاج الدَّلالة المُنتجة للرِّسالة[٤].

أو إنَّ النَّصَّ: هو اللَّفظ أو الكلام الَّذي يدلُّ على معنى معيَّن بوضوحٍ دون معونة شيءٍ آخر بحيث ينسجم ذلك المعنى مع سياق الكلام ويعبّر عن المقصود الأوَّل من نزول الآية[٥].

---

(١) ابن منظور/ لسان العرب، ٤/ مادَّة: (نَصَصَ).
(٢) الفيروز أبادي/ القاموس المحيط/ مادَّة: (نَصَصَ).
(٣) مجمَع اللُّغة العربيَّة/ المعجم الوسيط/ مادَّة: (نَصَصَ).
(٤) ظ: د. نصر حامد أبو زيد/ النَّصُّ السُّلطة الحقيقيَّة، ١٥١-١٧٠.
(٥) د. محمَّد كاظم شاكر/ فهم القرآن بين الظَّنِّ واليقين/ ١٦.

كما عُرّف بأنَّه: ما لا يحتمل إلاّ معنى واحدًا وقيل ما لا يحتمل التَّأويل وقيل ما زاد وضوحًا على الظَّاهر لمعنى في المتكلِّم وهو سوق الكلام لأجل المعنى، وكل ملفوظ مهما كان حجمه يمكن أن يعد نصًا فقد يكون جملة واحدة أو عدَّة جمل[١]، أو هو ممارسة دلاليَّة منحها علم العلامات امتيازًا، أو هو القول اللُّغويُّ المُكتفي بذاته والمُكتمل في دلالته[٢].

يظهر ممَّا تقدَّم إنَّ هذه التَّعريفات ناظرة إلى الدَّلالة، والنَّصُّ المراد -هنا- ناظرٌ إلى النَّقل عن صاحب النَّصِّ، وواضحٌ أنَّ المعنى الاصطلاحيّ تبنَّى المعنى اللُّغوي فهو ناظرٌ إلى إسناد الكلام إلى قائله وتدوينه بالصِّيغة الَّتي صدر بها عنه.

المَطْلَبُ الثَّالِثُ: تَحْدِيدُ مُصْطَلَحِ القُرْآنِيّ

الفَرْعُ الأَوَّلُ: القُرْآنُ فِي اللُّغَةِ

قرأت القرآن عن ظهر قلب، أو نظرت فيه هكذا يُقال، ولا يُقال قرأت إلَّا ما نظرت فيه من شِعْرٍ، أو حديثٍ، وقرأ فلان قراءة حسنة، فالقرآن مقروء، وأنا قارئ وفعله التقَرّي والقراءة[٣].

وقيل إنه مشتق من القَرُو وسمِّي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص والأمر والنَّهي والوعد والوعيد وغير ذلك[٤]، والقرو حوض معروف ممدود عند الحوض العظيم تردهُ الإبل، وهو كل شيء على طريقة واحدة[٥].

أو أنه مشتق من قَرَأَ الكتاب قِراءةً وقُرآناً بالضَّم وقرأ الشَّيء قُرآناً بالضَّم أيضا، أي: جمعهُ وضمَّهُ ومنه سمّي القرآن لأنَّه يجمع السُّور ويضمها، قال تعالى: ﴿إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[٦]، أي قراءتهُ[٧].

وقرأت أمُّ الكتاب في كل قوْمة وبأمِّ الكتاب يتعدَّى بنفسه وبالباء قراءة وقرآنًا ثمَّ استعمل القرآن اسمًا مثل الشُّكران والكفران، وإذا أطلق انصرف شرعًا إلى المعنى القائم بالنَّفس ولغة إلى الحروف المقطَّعة لأنَّها هي الَّتي تُقرأ نحو كتبتُ القرآن والفاعل قارِئ وقَرَأَة وقُرَّاء وقارئونَ، مثل كافِر وكَفَرَة وكُفَّار وكافرونَ، وقرأت على زيد السَّلام أقرؤه عليه قراءة وإذا أمرْت منه قلت أقرأ

---

(١) بن الدِّين بخوله/ الإسهامات النَّصيَّة في التُّراث العربي/ ٦-٧.
(٢) ظ: محمَّد صلاح الدِّين/ بلاغة الخطاب وعلم النَّصِّ/ ٢١٤-٢١٥.
(٣) الفراهيديّ/ العين، ٣/ مادَّة: (قَرَأَ).
(٤) ابن فارس/ معجم مقاييس اللُّغة، ٥/ مادَّة: (قَرَأَ)، ابن منظور/ لسان العرب، ١/ مادَّة: (قَرَأَ).
(٥) ابن فارس/ معجم مقاييس اللُّغة، ٥/ مادَّة: (قَرَأَ).
(٦) القيامة/ ١٧.
(٧) الرَّازيّ/ مختار الصَّحاح/ مادَّة: (قَرَأَ)، ابن منظور/ لسان العرب، ١/ مادَّة: (قَرَأَ).

عليه السلام، قال الأصمعيُّ: وتعديته بنفسه خطأ فلا يُقال أقرأه السَّلام لأنَّه بمعنى أَتْلُ عليه وحكى ابن القطاع أنَّه يتعدَّى بنفسه رباعيًّا فيُقال فلان يُقرِئك السَّلام واستقرأت الأشياء تتبَّعت أفرادها لمعرفه أحوالها وخواصَّها[١].

وقرأهُ يقرَؤُهُ ويقرُؤُهُ قَرءً وقِراءة وقُرآنًا، قال أبو إسحاق النَّحوي: يسمَّى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيّه كتابًا وقُرآنًا وفُرقانًا، ومعنى قرأتُ القُرآن: لفظت به مجموعًا، أي: ألقيتُهُ، ورُويَ عن الشَّافعي إنَّه كان يقول: القرآن اسم وليس بمهموز ولم يُأخذ من قرأت ولكنَّه اسم لكتاب الله تعالى مثل التَّوراة والإنجيل، وقد يطلق على الصَّلاة لأنَّ فيها قراءة تسمية للشَّيء ببعضه[٢]، والقرآن هو التَّنزيل العزيز، أي: المقروء المكتوب في المصاحف، وقراءة ككتابة وقرآنًا ومقروَّة كمدعوَّة بقلب الهمزة واوًا ومقريَّة كمرميَّة بإبدال الهمزة ياءًا[٣]، وقارَأَهُ مُقارَأَةً وقرَاءً: دارسهُ والقَرَّاءُ: الحسنُ القراءة[٤]، وسورة الأحزاب تُقاري سورة البقرة أو هي أطول، أي: تجاريها مدى طولها في القراءة أو إنَّ قارئها ليساوي قارئ البقرة في زمن قراءتها[٥].

يظهر ممَّا تقدَّم أنَّ القرآن في اللُّغة مشتقٌّ من القرو، أو من قرأ، أو من القراءة، واستعمل اسمًا كالكفران والشُّكران، والقرآن إنْ أطلِق يُراد به النَّصُّ المُنزَّل على صدر المصطفى محمَّد (ﷺ) المجموع بين الدَّفتينِ، ولا يُراد به غيره.

الفَرْعُ الثَّانِي: القرآنُ فِي الاصْطِلَاحِ

عُرِّف القرآن في الاصطلاح بتعريفاتٍ عدَّةٍ حيث عُرِّف في الشَّرعِ بأنَّه: اسم لهذا المنزل العربي إذا عُرِّف باللام وعلى هذا يُطلَق على كلِّ آية ولو قصُرت.

وعُرفًا: اسم لهذا المنزل العربي المعجز فلا يطلق إلاّ على سورةٍ أو آيةٍ مثلها. واختلف في لفظ القرآن على ثلاثة أقوال:

- قال قوم: إنَّه تعالى خلقه في اللَّوح لقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[٦].

---

(١) الفيُّوميّ/ المصباح المنير، ١/ مادَّة: (قَرَى).
(٢) ابن منظور/ لسان العرب، ١/ مادَّة: (قَرَأَ).
(٣) الفيروز أبادي/ القاموس المحيط/ مادَّة: (قَرَأَ)، ظ: الزُّبيديّ/ تاج العروس، ١/ مادَّة: (قَرَأَ).
(٤) الفيروز أبادي/ القاموس المحيط/ مادَّة: (قَرَأَ)
(٥) ظ: الزَّبيديّ/ تاج العروس، ١/ مادَّة: (قَرَأَ).
(٦) البروج/ ٢١-٢٢.

- وقال قوم آخرون: إنَّه لفظ جبريل لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[1].
- وذهب آخرونَ: إلى أنَّه لفظ النَّبيّ (ﷺ) لقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[2].

ومعنى كونه منزَّلًا إنَّ ما فهمه جبريل (عليه السلام) من كلامه تعالى عند سدرة المنتهى ينزل بتفهيمه للأنبياء[3].

والقرآن: كلام الله المُعجز المُنزَل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل (عليه السلام) المكتوب في المصاحف المنقول بالتَّواتر المتعبَّد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة النَّاس[4]، والأخير أقرب إلى الكمال، وأولى بكلام الله المعجز.

وهذا التَّعريف اتفق عليه علماء الأصول والفقه واللُّغة العربيَّة ويوافقهم عليه المتكلِّمون إلاّ أن بعضهم أطال في التَّعريف بذكر جميع خصائص القرآن، ومنهم من اختصر فيه وأوجز، ومنهم من اقتصد وتوسَّط[5].

أو هو: الكتاب المُنزل على الرسول (ﷺ) المكتوب في المصاحف المنقول نقلًا متواترًا بلا شبهة، أو هو العلم اللَّدنيّ الإجمالي الجامع للحقائق كلِّها[6].

كما عُرّف: بأنَّه كلام الله المُنزل على محمد (ﷺ) المتعبَّد بتلاوته[7].

وبيَّن الأستاذ صبحي الصَّالح: إنَّ تسميته بالقرآن إيماءة إلى حفظه في الصُّدور لأنَّ القرآن مصدر القراءة، وفي القراءة استذكار[8].

يظهر لنا ممَّا تقدَّم:

١-مُصْطَلَحُ المُرَكَّبُ (النَّصُّ القُرْآنيُّ)

---

(١) الحاقَّة/ ٤٠.
(٢) الشُّعراء/ ١٩٣-١٩٤.
(٣) الكفويّ/ الكليَّات/ ٧٢٠.
(٤) محمَّد عبد العظيم الزَّرقانيّ/ مناهل العرفان، ١/ ١٩، محمَّد علي الصَّابونيّ/ التِّبيان في علوم القرآن/ ٨، د. صبحي الصَّالح/ مباحث في علوم القرآن/ ٢١.
(٥) محمَّد عبد العظيم الزَّرقانيّ/ مناهل العرفان، ١/ ١٩.
(٦) الشَّريف الجرجانيّ/ التَّعريفات/ ١٤٦.
(٧) د. منَّاع القطَّان/ مباحث في علوم القرآن / ١٦، محَّمد عبد الله درَّاز/ النَّبأ العظيم/ ١٤.
(٨) د. صبحي الصَّالح/ مباحث في علوم القرآن/ ١٧.

هو عبارة عن تكوين معجز ينتج معناه بحركة تفاعلية مستمرَّة بين آياته من جهة، والمتلقِّي لها من جهة أخرى؛ لأنَّ حركة النَّصِّ القرآنيِّ متجدِّدة ومفاهيمه تتخطَّى أبعاد الزَّمان والمكان فهو لا ينتظر المتخلِّفين عن حركته لذا دعا إلى تدبُّره لمنع المتلقِّي من الانزواء في حدود الإطار النِّزولي لآياته أو التَّحديد بفهمٍ ساذجٍ ينحرف بالنَّصِّ عن بيانه البعيد غورًا ومن ثمَّ يمنع العقل من سبر أغواره(١).

٢- مُصْطَلَحُ المُرَكَّبُ (اسْتِنْطَاقُ النَّصُّ القُرْآنِيُّ)

هو استخراج معرفي للمفاهيم أكثر من المتوفِّر المعتاد في النَّصِّ يدور في فهم ما هو أعمق من الظَّاهر، وأشدُّ قدرة على استخراج ما حمل النَّصُّ القرآنيّ من مفاهيم وأفكار ومعاني، وكلَّما كان النَّصُّ قابلًا للاستنطاق كان أكثر قدرة للمقاومة وأغنى في مضامينه من غيره بالقدر الَّذي ينطق به من معرفة، ومثل هذا الاستنطاق للنَّصِّ القرآنيّ وحده القادر على إيصال المعنى أو المعاني المتعدِّدة الَّتي ينوء بها الخطاب، وفكُّ رموزه والوقوف على ما توحي به تراكيبه وسياقاته لاستخلاص المصالح الحقيقيَّة والوعي بتمثُّلها في الواقع الإنسانيّ(٢).

المِحْوَرُ الثَّانِي: التَّعْرِيفُ بِكِتَابِ (نَهْجِ البَلَاغَةِ)

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: نُبْذَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنْ الكِتَابِ

اشتمل نهج البلاغة على مختار كلام أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) في جميع فنونه ومتشعِّبات غصونه من كُتُب، ومواعظ، وأدب، علمًا أنَّ ذلك يتضمَّن عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة، وجواهر العربيَّة، وثواقب الكَلِم الدِّينيَّة والدنيويَّة ما لا يوجد مجتمِعًا في كلام، ولا مجموع الأطراف في كتاب، إذ كان أمير المؤمنينَ (عليه السلام) مُشَرّع الفصاحة وموردها ومُنْشِأ البلاغة ومُوَلّدها، ومنه (عليه السلام) ظهر مكنونها، وعنه أُخذت قوانينها، وعلى أمثلته حذا كلّ قائلٍ خطيبٍ، وبكلامه استعان كلّ واعظٍ بليغٍ، ومع ذلك فقد سبق وقصَّروا وتقدَّم وتأخرُّوا؛ لأنَّ كلامه (عليه السلام) الكلام الَّذي عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النَّبوي فضلًا عن المحاسن والفضائل الجمَّة وأنَّه (عليه السلام) انفرد بها على جميع السَّلف الأوَّلينَ الَّذين إنَّما يؤثر عنهم منها القليل، أمَّا كلامه (عليه السلام) فهو البحر الذي لا يُساجَل والجمُّ الَّذي لا يُحافَل(٣).

---

(١) ظ: نور السَّاعدي/ أثر النَّصِّ القرآنيّ في التَّعدديَّة الدِّينية/ ١٨.
(٢) عبَّاس عليّ العليّ/ دراسة في مهمَّة استنطاق النَّصّ/ موقع الحوار المتمدِّن.
(٣) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٨.

ويدور كلامه (عليه السلام) على أقطابٍ ثلاثة: أولها: الخطب والأوامر، وثانيها: الكتب والرسائل، وثالثها: الحكم والمواعظ، ابتدأ الشَّريف باختيار محاسن الخطب، ثمَّ محاسن الكتب، ثم محاسن الحكم مُفرِدًا لكلِّ صنفٍ من ذلك بابًا مفصلًا فيه[١].

كلُّ ذلك بقي محفوظًا في الصُّدور مرويًا على الألسن حتَّى كان عصر التَّدوين والتَّأليف، فانتشرت خطبه ورسائله في كتب التَّاريخ والسِّير والمغازي والأدب على الخصوص كما انتخبت كلماته ومأثور حِكَمه فيما وضعوه من أبواب المواعظ والدُّعاء، وإذا كان في كلام الإمام (عليه السلام) طابعٌ خاصٌّ يميِّزه عن غيره من الخطباء، ونهجٍ واضحٍ يخالف غيره من البلغاء والمترسِّلينَ، فقد حاول كثيرٌ من العلماء والأدباء على مرِّ العصور أن يُفرِدوا لكلامه كتبًا خاصَّه ودواوينَ مستقلَّة بقي بعضها وذهب الكثير منها إلاَّ أنَّ أعظم هذه المحاولات خطرًا وأعلاها شأنًا وأحسنها أبوابًا هي مجموع ما اختاره الشَّريف الرَّضيُّ أبو الحسن محمَّد بن الحسين الموسويّ في كتابه (نهجُ البلاغةِ).

ومنذ أن صدر هذا الكتاب عن جامعه، سار في النَّاس ذكره، وتألَّق نجمه، وأعجب الناس به، وتدارسوه في كل مكان لما اشتمل عليه من اللَّفظ المُنقَّى والمعنى المشرَّف وما احتواه من جوامع الكلم ونوابغ الحكم في أسلوب متساوي الأغراض محكم السَّبك يعد في الذَّروة العليا من النَّثر العربيِّ الرَّائع[٢]، فجامع هذا الجليل -الشَّريف الرَّضيُّ- هو من أطلق عليه تسمية (نهجُ البلاغةِ)[٣].

أمَّا خطبه فاشتملت على الكثير من النَّقد والتَّقريع والتَّعريض والإعجاب والتَّذمُّر والشَّكوى والحثِّ على القتال إلى جانب خطب الوصف الَّتي يستخدمها في مواطن كثيرة فلم تجد خطبة من خطبه تخلو من وصف دقيق وتحليل نفاذ لبواطن الأمور كما اشتملت على التَّعليم والإرشاد والوعظ، وأغراضه (عليه السلام) في كتبه ورسائله وعهوده تشبه أغراضه في خطبه شبهًا شديدًا حيث اشتملت على رسائل التَّعليم والإرشاد وكتب النَّقد والتَّعريض والعتاب بالإضافة إلى بعض الوثائق السِّياسيَّة والإداريَّة والقضائيَّة والحربيَّة.

أمَّا حِكَمِهِ فتشتمل على المعاني المعجزة والأجوبة المُسكتة ما ينبِّئ عن غزارة علمه وعمق إدراكه لحقائق الأشياء[٤].

---

(١) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٩.
(٢) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١/ ٥-٧.
(٣) محمَّد عبده/ شرح نهج البلاغة، ١/ ٤.
(٤) ظ: د. صبحي الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ١٠-١٥.

المَطْلَبُ الثَّانِي: نُبْذَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنْ صَاحِبِ النَّهْجِ

اجتمع للإمام عليّ (عليه السلام) من صفات الكمال ومحمود الشَّمائل والخلال وسناء الحسب وباذخ الشَّرف مع الفطرة النقيَّة والنَّفس المرضيَّة ما لم يتهيَّأ لغيره من أفذاذ الرّجال.

انحدر من أكرم المناسب وانتمى إلى أطيب الأعراق فأبوه أبو طالب عظيم المشيخة من قريش وجده عبد المطَّلب سيّد مكَّة وشيخ البطحاء، اختصَّ بقرابته من الرَّسول (صلى الله عليه وآله) فكان ابن عمِّه وزوج ابنته وأحبُّ عترته إليه، كما كان كاتب وحيه وأقرب النَّاس إلى فصاحته وبلاغته وأحفظهم لقوله وجوامع كلمه، تربَّى على يديه صبيًا، ولازمه فتيًّا يافعًا في كدِّه ورواحه وسِلْمه وحربه حتَّى تخلَّق بأخلاقه واتَّسم بصفاته وفقه عنه الدِّين، فكان نفس محمَّد (صلى الله عليه وآله) ومن أفقه أصحابه وأقضاهم وأحفظهم وأقربهم إلى الصَّواب وكانت حياته كلُّها مفعمة بالأحداث مليئة بجلائل الأمور، فعلى عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) ناضل المشركين واليهود فكان فارس الحلبة ومِشْعَر الميدان[1]، صليب النَّبع جميل الفؤاد وفي أيام خلافته كانت له أحداث أخرى لقى فيها ما لقى من تفرُّق الكلمة واختلاف الجماعة وانفصام العروة ما طوى أضالعه على الهمِّ والأسى ولاعَ قلبُه بالحُزنِ، وفي كل ما لقى من أحداث وأمور، وما صادف من مِحَن وخطوب بَلا الناس وخبرهم واستشفَّ ما وراء مظاهرهم فكان العالم المجرب الحكيم والناقد الصَّيرفيّ الخبير كان نقيُّ الجوهر وضَّاء النَّفس سليم الذَّوق مستقيم الرَّأي حَسِن الطَّريقة.

كلُّ هذه المزايا مجتمعة متآزرة مكَّنت الإمام عليّ (عليه السلام) من وجوه البيان وألهمته أسمى المعاني وهيَّأت له أشرف المواقف فجرت على لسانه الخطب الرَّائعة والرَّسائل الجامعة والوصايا النَّافعة والكلمة يرسلها عفو الخاطر فتغدو حكمة والحديث يرويه بلا تعمُّل فيصبح مثلًا في أداء محكم ومعنى واضح، وإذا هذا الكلام يملأ السَّهل والجبل وينتقل في البدو والحضر يرويه على كثرته الرُّواة ويحفظه العلماء والدَّارسون[2]، فكان يعمل على تثقيف الأمَّة في كلِّ المناسبات لرفع المستوى الثَّقافي وهذه مسؤولية المسؤولينَ في السَّاحة الإسلاميَّة لأنَّه أرادنا أن نكون من الواعينَ ويريد من العلماء أن يُوعُّوا النَّاس في كل أمورهم ويعضوهم ويذكِّروهم ويعرّفوهم أحكامهم وقضاياهم[3]، وحتَّى قبل وفاته (عليه السلام) عندما كان يعاني من جرحه أراد في هذه الأيام أن لا يحرم

---

(١) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة ،١/ ٤، محمد عبده/ شرح نهج البلاغة، ١/ ٢.
(٢) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١/ ٥، جعفر عليّ عاشور، جواد عودة سبهان/ التَّوظيف القرآنيّ في بعض خطب الإمام عليّ (عليه السلام) / ٢٤٩.
(٣) ظ: محمَّد حسين فضل الله / في رحاب أهل البيت، ١ / ١٥٤-١٥٦.

أمَّته من وصاياه فلم تشغله جراحاته عن التَّفكير في شأن الأمَّة ليربطها بالله وبكلِّ القواعد الأساسيَّة في علاقاتها بعضها ببعض[١]، فكان يقول (عليه السلام): ((سلوني قبل أن تفقدوني))[٢].

هذا هو الإمام عليّ (عليه السلام) الذي نعتزّ به من خلال جهاده العظيم وعلمه وحكمته وبلاغته الَّتي يخشع أمامها المسلم وغير المسلم وإخلاصه لله وللإسلام وعدله الذي أكَّده في كل مواقع حياته[٣].

المَطْلَبُ الثَّالِثُ: نُبْذَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنْ الجَامِعِ

ينتهي نسب جامع نهج البلاغة الشَّريف الرَّضيّ إلى أمير المؤمنينَ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، فهو محمَّد بن الحسين بن موسى بن محمَّد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمَّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، ولِد في بغداد سنة (٣٥٩هـ) كان من رجال الفكر والعلم والأدب ومن مفاخر الإسلام والتَّشيُّع، جمع شرافة النَّسب وطهارة المولد بفضيلة العلم والتَّقوى والزُّهد والورع، وملأ الدُّنيا بآثاره النَّفيسة الَّتي بلغت الشَّرق والغرب[٤]، اهتمَّ بكتابة الشِّعر والنَّثر واهتمَّ بالقرآن الكريم والرِّوايات والآثار النَّبويَّة وغيرها، كان أشعر شعراء قريش وأكثرهم صدقًا، ولعلو همَّته كانت تنازعه نفسه إلى أمور عظيمة يجيش بها خاطره وينظُّمها في شعره ، خدمة للقرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة، كما كتب سلسلة مترابطة من البحوث الَّتي أنارت الطَّريق للأجيال، فكان الفارس الوثَّاب الَّذي صان نفسه وجرى خفيًّا إلى العُلا بخطوات سريعة، وكانت مواقفه صريحة في قول الحقِّ والالتزام بالمبادئ، توفِّي في السَّادس من محرَّم سنة (٤٠٦هـ)[٥].

كان للسَّيد الرَّضيّ أسلوبه الخاص في جمع (نهج البلاغة) وتدوينه، حيث جمع ما تفرَّق من كلام الإمام (عليه السلام) من مصادره الموثوقة ودوَّنه في أوراق متفرِّقة ليستدرك ما يشذُّ عنه مستقبلًا، فبدأ باختيار محاسن الخطب، ثمَّ محاسن الكتب، ثمَّ محاسن الكلم، وكان يعترف بعجزه وقصوره عن الإحاطة بأقطار كلامه مع بذل الجهد وبلاغة الوسع؛ لغزارته وسعة موارده[٦]، وقد أدرج في النَّهج ما وجده أمامه من خطب الإمام، وكلماته، وكتبه في مؤلَّفات المؤرِّخينَ، والمحدثينَ ممَّا

---

(١) ظ: محمَّد حسين فضل الله / في رحاب أهل البيت، ١ / ١٧٠.
(٢) المجلسيّ/ بحار الأنوار، ١٩٠/٤٠.
(٣) محمَّد حسين فضل الله / في رحاب أهل البيت، ١ / ١٥٦.
(٤) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٢٤/١.
(٥) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٢/١، رسل سالم جبَّار الجبوريّ/ المقاصد القرآنيَّة في خطب نهج البلاغة/ ١٥.
(٦) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٧/١، عبد الهادي الشَّريفيّ/ تهذيب شرح نهج البلاغة، ١/ ١٢.

نقلوه ورووه عن الإمام من دون أن يسنده إليه؛ لأنَّه لم يكن راويًا أو محدِّثًا، إنَّما كان أديبًا له حسٌّ أدبي فريد، تغريه روائع البلاغة والبيان، ولا يلوي على شيء آخر سواها[1]، وقد كتب مؤلَّفات عديدة منها: كتاب (مجاز القرآن)، و(نهج البلاغة)، و(حقائق التَّنزيل)، و(خصائص الأئمَّة)، و(تعليق خلاف الفقهاء)، وغيرها من المؤلَّفات[2]، كان ذا مكارم ذائعة وفضائل شائعة له هيبة وجلالة وعفَّة ومراعاة للأهل والعشيرة، حمل رسالته الأدبيَّة على أحسن وجه، له مواقف في قول الحقِّ والالتزام بالمبادئ، عاش في خلافة ثلاثة من العبَّاسيِّينَ وقضى طفولته في عهدهم ووقف على نقاط القوَّة والضُّعف في الحكم والحكَّام، وهذه النَّقاط البارزة في تاريخ حياة الشَّريف الرَّضيّ تكشف عن موقف ثابت في حقيقته تلقَّاه من مدرسته الأولى مدرسة الأسرة[3].

(١) عبد الله نعمة/ مصادر نهج البلاغة/ ٥٦.
(٢) محمَّد حسين الجلاليّ/ مسند نهج البلاغة، ٢٧/١.
(٣) ظ: المصدر نفسه، ٢٨/١-٣٤.

مَدْخَلٌ إلى الفَصْلِ الأَوَّلِ

إنَّ الله تعالى حين شرَّع دينه، وتعبَّد به عباده، وفرضه عليهم، ثم جعل الثَّواب لمن أقرَّ به، والعقاب لمن أعرض عنه، فلا بد أن يكون قد أكمل الحجَّة عليهم وأوضحها بحيث لا يُعرض عنها إلَّا من أفرط أو عاند.

ومن أعظم ما أمرنا به الله سبحانه وتعالى هو التَّسليم واليقين والإيمان الجازم به تعالى، وما يجب له من التَّوحيد والعبادة والطَّاعة والإيمان بالملائكة والكتب والرُّسل واليوم الآخر وبالقدر خيره وشرِّه، وبكلِّ ما جاءت به النُّصوص الصَّحيحة من أمور الغيب، وأصول الدِّين من التَّوحيد، والعدل، والنُّبوَّة، والإمامة، والمعاد.

والاعتقاد الصَّحيح بالله سبحانه وتعالى يدلُّنا على وجود صفات إلهيَّة، ومن هذه الصِّفات ما أثبتها لنفسه، أو أثبتها له رسوله (ﷺ) وتسمَّى (الصِّفات الثُّبوتيَّة)، كما هناك صفات نفاها الله (ﷻ) عنه، أو نفاها عنه رسوله (ﷺ)، وتسمَّى (الصِّفات السِّلبيَّة)، ومن هذه الصِّفات ما هو متعلِّق بالإرادة والمشيئة، فهو سبحانه فعَّال لما يريد، وهذه تسمَّى (الصِّفات الفعليَّة).

(وعلى الرغم من اعتقادنا بأنَّ القرآن الكريم أعظم هديَّة إلهيَّة لبني البشر، وأنفس تراث خلَّفه النبيُّ الأكرم (ﷺ) بين المسلمين، فإنَّ الأمَّة الإسلاميَّة ما أبدت ولا تُبدي اهتمامًا للانتفاع من هذا التُّراث العظيم، فبعد وفاة النبيّ الأكرم (ﷺ) عاش المجتمع الإسلاميّ محرومًا من التَّمسُّك بهذا الحبل المتين، بالرغم من تأكيداته (ﷺ) بوجوب الرُّجوع إلى القرآن، والعمل به باعتباره الثقل الأكبر، وتعلّم علوم القرآن عن أهل البيت (عليهم السلام) باعتبارهم الثقل الأصغر، وبالنَّتيجة فقد أُقصي المجتمع عن موقعه الحقيقيّ، واليوم لا مفرَّ من الاعتراف بالحقيقة المرَّة من أنَّ المجتمع الإسلاميّ قد تجرَّع خسائر لا تُعوَّض؛ بسبب ابتعاده عن حقيقة القرآن وعلوم أهل البيت (عليهم السلام)) [1].

ومن مكمِّلات الإيمان هو الاعتقاد الجازم بوجود الملائكة وما لهم من صفات وأعمال، خلقهم الله تعالى من نور، وليس لهم من خصائص الرُّبوبيَّة والإلوهيَّة شيء، ومنحهم الانقياد التَّام لأمره، والقوَّة على تنفيذه.

كما لا بدَّ من التَّسليم والتَّيقُّن من وجود اليوم الآخر الَّذي تُبعَث فيه النَّاس من القبور وتُحاسَب على أعمالها، وذلك ركن من أركان الإيمان.، وقد تطرق هذا الفصل إلى استنطاق النصِّ القرآنيّ في النَّهج في أصول العقيدة وجاء ذلك في أربعة مباحث.

---

(1) محمَّد تقيّ مصباح اليزديّ/ تجلّي القرآن في نهج البلاغه/ ١٠.

المَبْحَثُ الأوَّلُ: اسْتِنْطَاقُ نُصُوصِ (الصِّفاتِ الإلهَيَّةِ)

أوَّلًا: اسْتِنْطَاقُ نُصُوصِ (الصِّفاتِ الثُّبُوتِيَّةِ)

١- قال تعالى: ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة أمير المؤمنينَ (عليه السلام)، الدَّالة على الوعظ والتَّعليم والإرشاد[٢]، حيث أمر (عليه السلام) السَّامع بأوامر: أوَّلها: الإفاقة من سكرة الجهل والتَّيقُّظ من الغفلة في الدُّنيا، والثاني: الاختصار من العجلة، أي: سرعة الحركة في طلب الدُّنيا، وباختصارها تخفيف الحركة والتَّقليل منها، والثَّالث: إنعام الفكر فيما دار على لسان الرَّسول (صلى الله عليه وآله) والإكثار من ذكر الموت وعرض النُّفوس على ديَّانها، والرَّابع: مخالفة من خالف ذلك ونظر في غيره ممَّا يتعلَّق بأحوال الدنُّيا وزينتها، وأنْ يدع ذلك المخالف وما رضي لنفسه من التَّعويض بالأمور الفانية من الأمور الباقية ممَّا يستلزم الشَّقاوة الأُخرويَّة، والخامس: أنْ يضع الفخر ويحطَّ الِكبَر لما فيهما من الآفات، والسَّادس: أنْ يذكر قبره؛ لأنَّ في ذكره عبرة تامَّة[٣]، ثمَّ بيَّن أنَّ القبر ليس بدار مقام، إنَّما هو ممرٌّ وطريق إلى الآخرة، وكما تُدين تُدان، وكما تَزْرَعُ تَحْصِدُ وما قَدَّمْتَ اليوم تَقْدُمُ عليه غدًا[٤].

إنَّ أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ في مسألة (النَّبأ)، والقرآن ناطقٌ باللِّجوء إلى (الخبير)، بل وبيَّن مستويات (النَّبأ): أحدهما (خبير)، والآخر دونه[٥]، والثَّاني لا يرقى إلى مستوى الأوَّل بدليل النَّصِّ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾، ونَبَأَهُ لا يرقى إلى نبأ الخبير بدليل نفي المثل في قوله تعالى: ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[٦]، فنحن مأمورون بسؤال الخبير لا بسؤال غيره بدليل قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾[٨]، وهناك الكثير من الرِّوايات الّتي تأكّد أنّ أهل الذّكر هم الأئمَّة (عليهم السلام) منها ما جاء عن الإمام الصَّادق (عليه السلام) في قوله (عزَّ وجلَّ): ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((الذّكر أنا، والأئمَّة أهل الذِّكر))

---

(١) فاطر/١٤.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٢٤٦، ظ: محمَّد عَبْدُه/ شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٣٣-٢٣٤، ظ: د. صبحي الصالح/ شرح نهج البلاغة/٢٨٠-٢٨٢.
(٣) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٧٧/٩، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٢٨/٣، ظ: ناصر مكارم الشَّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٤٧/٦-٤٨.
(٤) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٧٧/٩، ناصر مكارم الشيرازي/ نفحات الولاية، ٤٨/٦.
(٥) الطَّبريّ/ جامع البيان، ٣٥١/١٩، الطُّوسيّ/ التِّبيان، ٤٢١/٨، الزَّمخشريّ/ الكشَّاف، ٦١٥/٣، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ الأمثل،٤١/١١.
(٦) ابن عطيَّة الأندلسيّ/ المحرر الوجيز،٤٣٤/٤، محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ٣١/١٧.
(٧) الفرقان/٥٩.
(٨) النَّحل/٤٣.

وقوله (ﷻ): ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[1]، قال الإمام الصَّادق (عليه السلام): ((نحن قومه ونحن المسؤولون))[2].

فهو الَّذي أحاط علمُهُ ببواطن الأشياء وخفاياها، كما أحاط بظواهرها[3]، وبعبارةٍ أخرى: إنَّه لا يُخبرُك بالأمور على حقائقها إلا من كان عارفًا بها عالمًا بكنهها[4]، فلا نلجأ في التَّعلم إلَّا ممَّن هو خبير به، ولا نأخُذ الإرشاد إلَّا ممّن هو خبير به أيضًا، فإذا كان كذلك يأخذ السَّامع أوامرهُ على نحو (الوجوب)؛ لأنَّ الواعظ خبيرٌ بما وَعَظَ، والمُرشِدُ خبيرٌ بما أرشَدَ، والمعلِّمُ خبيرٌ بما عَلَّمَ، وقد أشار أمير المؤمنينَ (عليه السلام) إلى نفسه الشَّريفة مبيِّنًا مدى معرفته بما أخبر، وبدقَّة ما أخبر به، في وعظه بأحوال الآخرة، حيث أخبر عنها وهي أمر غيبي كالعارف بها، كمعرفته بشيء هو شاهد[5].

فعلى السائل أن يسأل أهل العلم والخبرة وأهل الخشية والتّقوى، وضرورة تحرّي الإنسان في سؤاله، فلا يسأل إلّا من تَبْرأُ به الذّمة، فهؤلاء هم أهل الذّكر الّذين ذكرهم القرآن.

وواضحٌ ممَّا تقدَّم أنَّ الخبير هو (عليّ) (عليه السلام)، وما نَبَّأ به عن الآخرة، هو حقيقةٌ عارف بها كمعرفته بالأشياء الظَّاهرة، وهو أمرٌ دلَّ عليه استنطاق النَّصِّ القرآنيّ في مادَّتي (النَّبأ)، و(السُّؤال)، فالخبير من ينبِّئ، وهو من يُسْأَل.

---

(١) الزُّخرف/٤٤.
(٢) الكلينيّ/ الكافي، ٢٦٧/١.
(٣) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٧٧/٩، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة،٢٢٩/٣، ناصر مكارم الشّيرازيّ/ الأمثل،٤٩/٦.
(٤) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٧٧/٩.
(٥) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٢٩/٣، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٩١/٢، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ الأمثل، ٤٩/٦.

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١]

وردت هذه الآية المُباركة في خطبة أمير المؤمنينَ (عليه السلام) المُسمَّاة بـ (خطبةِ الأشباح) بهدف الدُّعاء[٢]، وقد دلَّت هذه الخطبة على بدء الخلق[٣]، حيث أورد الإمام عليّ (عليه السلام) خطبته الجامعة والمفصَّلة ردًّا على من سأله الحديث عن صفات الله، فخاض الإمام في البداية بأدقِّ العبارات في بحث صفات الله الجماليَّة والكماليَّة، وتأديب الخلق في وصفهم لله سبحانه وتعليمهم كيفيَّة السلوك في مدحه والثَّناء عليه بما هو أهله[٤]، ثم تطرَّق إلى فعله من قبيل خَلْق الملائكة، والسَّماء، والأرض، ثمَّ خلق الإنسان وما أفاض عليه من النِّعم وأخيرًا علمه سبحانه بجميع عالَم الوجود وكلِّياته، ثمَّ يختتم الخطبة بالقسم الَّذي يطرق فيه باب الله متضرِّعًا إليه بالدُّعاء فيصف الله سبحانه وتعالى بأفضل صفاته الَّتي لا تجوز على أحدٍ سواه[٥].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ في مسألة (طلب الحاجة ورجاء الرَّحمة) باللِّجوء إلى (القدير) دون غيره، فلا أحد يمكنه أنَ يُعطيَ ويسلبَ، ويُعزَّ ويُذلَّ، ويسترَ ويفضحَ، ويغفرَ الذّنوب، إلى غير ذلك من الأفعال العظيمة المحيَّرة للأفهام إلَّا من كان ذا قدرة بالغة[٦]، قادرًا على إيجاد المعدوم وإفناء الموجود وإعادة ما كان موجودًا[٧]، قال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾[٨]، فهو سبحانه ذو المشيئة المطلقة والقدرة المطلقة على تحقيق ما يريد أو منع مالا يريد[٩]، إذ ليس هناك قادر على طلبتنا غيره سبحانه، فإنَّه القادر على كلِّ شيءٍ، يقدر على عطائنا ويكفينا، وهذا يوصلنا إلى حقيقة وهي إنَّنا يجب ألَّا نُثني إلَّا عليه سبحانه ولا نؤمِّل سواه وهذه هي حقيقة توحيد الصِّفات وتوحيد الأفعال[١٠]، كما إنَّ استجابة الدُّعاء متعلِّقة بقدرة الله سبحانه، وإنَّ الإلهام بالدُّعاء في المواقف المختلفة علامة

---

(١) آل عمران/٢٦

(٢) ظ: عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرضَّيّ) / ١٣٥-١٥٤، ظ: محمَّد عَبْدُه/ شرح نهج البلاغة، ١٤٢-١٥٨.

(٣) ظ: د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/١٥٤-١٧١.

(٤) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٩١/٦-١٩٦، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة،٣٤٢/٢.

(٥) ظ: ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٦٦/٢-٤٠١، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١١٥/٢، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١١٩/٤.

(٦) ظ: الطَّبريَ/ جامع البيان، ٣٠٤/٥، ظ: الزَّمخشريّ/ الكشَّاف، ٣٧٩/١، الثَّعالبيّ/ الجواهر الحسان، ٢٧/٢.

(٧) الطَّبرسيّ/ مجمع البيان، ٢١٩/٢.

(٨) النِّساء/١٣٣.

(٩) السِّيوطيّ/ الدرُّ المنثور، ٧٣/٥، سيِّد قطب/ في ظلال القرآن، ٣٨٤/١.

(١٠) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١١٦/٢، ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السعادة، ٢٥٢/٨-٣٥٧.

الاستجابة، فما يُلهِم الله سبحانه المؤمنين الدُّعاء إلَّا وقد جرت قدرته بأن يستجيب، فالدُّعاء نعمة يمُنُّ بها الله تُضاف إلى مِنَنهِ سبحانه[١]، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَاۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢]، فالمؤمنون يسألونَ الله سبحانه أنْ يمُنَّ عليهم من قدرته ويتمَّ لهم نورهم ويغفر لهم[٣]، لذلك فقد اختتم الإمام عليّ (عليه السلام) عباراته بدعاء عظيم ليكشف عن مدى تواضعه وتذلُّله لله فيسأله رضاه ولا يلتفت إلى أحدٍ سواه[٤]، فما دام الله ذا قدرة مطلقة فليس ثمَّة ما يمنع أن يكون كلُّ شي من خير أو شر خاضعًا لمشيئته[٥].

وهذا درس عظيم لكافة الأفراد في عدم الغفلة والغرور والتوجُّه إلى الله وطلب الحاجات منه فهو الكريم، الرَّحيم، المُنعِم، الغفور، الودود[٦].

يتبيَّن ممَّا تقدَّم وجوب التوجُّه إلى الله سبحانه والتَّضرُّع إليه في طلب حوائجنا لأنَّه سبحانه وحده القادر على كل شيء، ذو قدرة مطلقة، كل شيء خاضع لمشيئته فعلينا التَّواضع والتذلُّل إليه وحده وسؤاله وحده دون غيره؛ لأنَّ الله على كلِّ شيء قدير.

(١) سيّد قطب/ في ظلال القرآن، ٣٦١٨/٦.
(٢) التَّحريم/٨.
(٣) محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ٣٥٢/١٩.
(٤) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١١٩/٤.
(٥) المصدر نفسه، ٢٣٩/٢.
(٦) المصدر نفسه، ١١٩/٤.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، الدالَّة على الوصف[٣]، وتتكوَّن من عدَّة أقسام: جرى الكلام في أوَّلها في حمد الله والثَّناء عليه وذكر أسمائه وصفاته[٤]، ثمَّ تطرَّق إلى رسالة الرَّسول (صلى الله عليه وآله) ومشاريعه العمليَّة[٥]، ثمَّ ذكر خلق بعض الأحياء للدلالة على علم الله تعالى وقدرته كخلق السَّموات والأرض والشَّمس والقمر والجرادة وغيرها ممَّا يدلُّ على عظمة الله تعالى الَّتي تقف وراء هذه المشاهد العجيبة[٦]، واختتم الخطبة بالكلام على نظام الخلق وعظمة الخالق وخضوع جميع المخلوقات لذاته المقدَّسة[٧].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة بيان قدرة الله سبحانه في إنشاء السَّحاب الثِّقال المُحَمَّلة بالماء[٨]، "وهذا دليل على القدرة والعظمة والحكمة"[٩]، ونحن نعلم إنَّ هذا السَّحاب هو الغيم المتراكم ويكون ثقيلًا حين يكون معبَّئًا، وهذا عكس السَّحاب الخفيف الَّذي يبدو كَنَتْفِ القُطْنِ، وإنَّ هذه السَّحاب تكون ثقيلة لما تحمله من الماء[١٠]، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١١]، وهذه نعمة من النعم الَّتي أنعم بها الله سبحانه على عباده، وبرهان على بديع صنعته وعظيم قدرته، ودلالة على وحدانيَّته، وثبوت إلوهيَّته[١٢]، لأنَّ هذه السُّحب هي المصدر الأصلي بما تفيضه من مياه ضروريَّة

---

(١) الرَّعد/ ١٢.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٣١٥.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٣٦٠.
(٤) ظ: ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٩/١١-١٥، محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ١٢٤/٣.
(٥) ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٦/١١، محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ١٢٦/٣، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١٠٣/٧-١٠٥.
(٦) ظ: ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٧/١١-٢٧، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١٠٨/٧-١٢٦.
(٧) ظ: محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ١٣٣/٣-١٣٥، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١٢٧/٧-١٣١.
(٨) ظ: الأيجي/ جامع البيان، ٢٦٤/٢، ظ: السِّيوطيّ/ الدرُّ المنثور، ٣٩٨/٨، ظ: محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ١٢٥/٣.
(٩) ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٨/١١.
(١٠) محمَّد متولِّي الشَّعراويّ/ الخواطر، ٧٢٤٩/١٢، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١٣١/٧.
(١١) الأعراف/ ٥٧.
(١٢) محمَّد سليمان الأشقر/ زبدة البيان/ ١٥٨.

لحياة جميع الموجودات[1]، فهي من علائم العظمة وأسرار الخلقة الَّتي تقرّب العلاقة بين الإنسان وربِّه من خلال هذه الظَّاهرة الطَّبيعيَّة الَّتي نرى فيها كلَّ هذه المنافع والبركات بما تقوم به من رش السُّموم والسَّقي والتَّغذية لتكون دليلًا واضحًا على معرفة الله سبحانه وتعالى[2].

وظاهر من ذلك عظمة الله سبحانه وتعالى، فهو الَّذي يرسل السَّحاب الثِّقال بما تحمله من الماء الَّذي يُحيي الأرض الميّتة ويسقي المزروعات وهذه من أعظم الدَّلائل على قدرة الله سبحانه وتعالى وعظمته وبديع خلقه.

(١) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١٣١/٧.
(٢) ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/الأمثل، ٤٠٩/٦-٤١١.

٤- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(١)

وردت الآية المباركة في خطبة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)(٢)، الدالَّة على التَّهديد والإنذار(٣)، حيث أشار فيها إلى فتنة صاحب الزّنج وهم جماعة من العبيد قاموا في زمان خلافة المهتدي العبَّاسيّ وقد سفكوا الكثير من الدِّماء(٤)، كما أشار إلى فتنة أخرى وهي فتنة المغول وذكر أغلب صفاتهم وحملاتهم الوحشيَّة الهدَّامة(٥)، ثمَّ كلام الإمام عن الغيب بعد سؤال أحد الحاضرينَ إنَّه يعلم الغيب ويُخبِر عن المستقبل(٦).

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ لبيان الفرق بين العلم الذَّاتيّ والعلم الاكتسابيّ، وإنَّ علم الله سبحانه علمًا ذاتيًّا، ومن ذلك علمه بالسَّاعة ووقت مجيئها، ونزول الغيث وزمانه ومكانه، وعِلمَهُ بما في الأرحام من ذكرٍ أو أنثى، وصحيحٍ أو سقيمٍ، أو مؤمنٍ وكافرٍ إلى غير ذلك ممَّا لا يعلمه إلَّا الله، كما يعلم ما تكسب نفسٌ من خيرٍ أو شرٍّ، وبأيِّ أرضٍ تموت، فهذه الأمور الخمسة قد اختصَّ الله تعالى بعلمها(٧)، أمَّا ما أخبر به الإمام (عليه السلام) بشأن الأتراك فهو تعلُّم حاصل من ذي علمٍ، فالإمام كان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) منذ كان طفلًا إلى أنْ توفِّي وهذا يعني إنَّ نفسه القُدسيَّة قد أُعِدَّت لهذه العلوم بالرِّياضة التَّامَّة، وتعليم كيفيَّة السِّلوك، وأسباب تطويع النَّفس الأمَّارة بالسُّوء للنَّفس المطمئنَّة حتَّى استعدَّت نفسه الشَّريفة لهذه الأمور الغيبيَّة فأمكنه الإخبار عنها(٨)، فما أخبر به الإمام ليس بعلم غيبٍ إنَّما هو إخبارٌ عن حالهم وذلك الإخبار هو ممَّا تعلَّمه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فَعَلَّمَهُ (صلى الله عليه وآله) ألف بابٍ من العِلْمِ يفتح من كلِّ بابٍ ألف باب، وظاهر كلامه إنَّ عِلْمَ الغيب الَّذي لا يعلمه إلَّا الله سبحانه عبارة عمَّا ذُكِرَ في الآية الشَّريفة، وأمَّا غيره من العلوم فلا يكون من الغيب ولازم ذلك اختصاص هذه الأمور الخمسة بالله تعالى وما سواها بغيره من

---

(١) لقمان/ ٣٤.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيُّ) / ٢١٤.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٢٤٢.
(٤) ظ: ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ١٢٩/٢-١٣٠، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٦٥/٢، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٢٦/٥.
(٥) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ١٣١/٢، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٣١/٥-٢٣٣.
(٦) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ١٣٢/٢، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٦٧/٢، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٣٥/٥.
(٧) العزُّ عبد السَّلام/ تفسير القرآن، ٥٤٦/٢، ابن عرفة/ تفسير ابن عرفة، ٢٧٦/٣، ابن عجيبة/ البحر المديد، ٣٨٢/٤، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤٨٥/٥، محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ١٩٨/٢١.
(٨) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ١٣٢/٢.

الأنبياء والأوصياء[1]، وقد لُقِّبت هذه الخمسة في كلام النَّبيّ (ﷺ) بمفاتيح الغيب، وبها فسَّر قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[2]،[3]، ويُستفاد من ذلك أنَّ علم الغيب ذاتيٌّ مُختَصٌّ بالله تعالى لكنَّ العِلْم الاكتسابيّ لا يسمَّى بعِلْمِ غيبٍ، بل هو ذلك العلم الَّذي علمه الله سبحانه نبيَّه وعلَّمه النَّبيّ (ﷺ) من رآه مستعدًّا لذلك العِلْم، كما إنَّ العبارة الأولى من الآية بشأن القيامة بيَّنت بوضوح اختصاص علمها بالله تعالى وتقديم (عنده) على (علم السَّاعة) دلالة على الحصر، كما تدلُّ العبارة الرَّابعة والخامسة على الحصر أيضًا وبناءً على ذلك فإنَّ المورد الثَّانيّ والثَّالث بمقتضى وحدة السِّياق هي جزء من العلوم المختصَّة بالذَّات المقدَّسة[4].

ظهر ممَّا تقدَّم اختصاص الله سبحانه وتعالى وحده بعلم الغيب؛ لأنَّ علمه تعالى علمًا ذاتيًّا كعلمه بالسَّاعة، ونزول الغيث، وما في الأرحام، وما تكسب النفس وبأيِّ أرضٍ تموت، وهذه الأمور من اختصاصه سبحانه ولم يعلِّمها أحدًا من البشر، أمَّا غير ذلك من الأمور فإنَّ الله سبحانه علَّمها للنَّبيِّ محمَّد (ﷺ) وعلَّمها النَّبيّ لمن رآه مستعدًّا لذلك العلم، والإمام (عليه السلام) كان مصاحبًا للنَّبيِّ محمَّد (ﷺ) طيلة حياته فتعلَّم منه الكثير من العلوم الَّتي هي من اختصاص الأنبياء والأوصياء.

---

(١) محمَّد تقيّ النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤٨٥/٥.
(٢) الأنعام/ ٥٩.
(٣) محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ١٩٨/٢١.
(٤) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٣٨/٥.

ثَانِيًا: اسْتِنْطَاقُ نُصُوصِ (الصِّفَاتِ الفِعْلِيَّةِ)

١- قَالَ تَعالَى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾[١]

وردت الآية المُباركة في خطبةِ أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) الدَّالة على الدُّعاء والابتهال، حيث كان (عليه السلام) يدعو بهذا الدُّعاء إذا لقي العدوَّ محاربًا[٢]، وكانت كلمات الإمام في أدعيته صورة عميقة عن النَّفس الطّاَهرة الَّتي عرفت الله وعشقت مناجاته، فيتحدَّث في خطبته عن خلجاتٍ روحيَّةٍ تجاه الحرب ويُبرزُ استياءَه الشَّديد منها، ويشكو من كثرة الأعداء وتفرُّق المسلمين[٣]، كما يشير إلى أنَّ الإسلام لا يؤيّد الحرب اطلاقًا[٤]، وأشار إلى علَّة قتالهم في معرض الشِّكاية إلى الله تعالى وهي تصريحهم بما كان مستقرًا في صدورهم في حياة الرَّسول (صلى الله عليه وآله) من العداوة والبغضاء وجيش اضغانهم السَّابقة ممَّا فعل بهم بِبدْرٍ وأُحُد وغيرهما من المواطن، وهذا درس لأصحاب الإمام ليعلموا من يقاتلونَ ولأيِّ غرض يجاهدونَ[٥].

إنَّ الإمام عليًّا (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ في مسألة (الفَتْح بالحقِّ) بالرجوع إلى (خَيْر الفاتِحين) وهو الله سبحانه، لأنَّه الحاكِم العادِل الَّذي يحكم بالحقِّ وهذا يوجِب على الإنسان الرُّجوع إلى الله تعالى في جميع أحواله، اقتداءً بالأنبياء (عليهم السلام) والأولياء الَّذينَ كانوا يتوجَّهونَ الى الله تعالى في كل ما يتعرَّضون له من الشَّدائد، ويفوّضون أمورهم إليه في كفايتهم ما أهمَّهم، كما رجع نبيُّ الله شُعَيب (عليه السلام) إلى الله سبحانه عندما تمادى معه قومه ويئس من صلاحهم، فدعا ربَّه أنْ يقضي بينه وبينهم بالحقِّ[٦]، لذلك نجد إنَّ الإمام عليًّا (عليه السلام) توجَّه إلى الله سبحانه فسأله أن يحكم بالحقِّ ليميّز الطيّب من الخبيث، ولم يصرّح في كلامه أنَّ أيَّهما على الحقِّ وأيَّهما على الباطل، لأنَّ إيقاع الحُكْمُ الحقُّ بينهم يستلزم نصرته عليهم وظفره بهم، إذ كان هو المُحقُّ في جهاده[٧]،

---

(١) الأعراف/ ٨٩.

(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) /٤٣٥، ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٣/١٥، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/٥٠٩.

(٣) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة،٥٣/١٥، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة،١٧٤/٤، ناصر مكارم الشّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١٧١/٩.

(٤) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٣٩/٤، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤٢٣/٣، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٥٧/١٨، ناصر مكارم الشّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٧٢/٩.

(٥) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٣٩/٤، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٧٤/٤، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤٢١/٣، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٦٢/١٨.

(٦) القرطبيّ/ الجامع لأحكام القرآن، ٢٨٦/٩، السّيوطيّ/ الدرُّ المنثور، ٤٧٧/٦، الفيض الكاشانيّ/ الصَّافي، ٢١٣/٣، محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ١١/٩.

(٧) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٣٩/٤، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٧٤/٤، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤٢١/٣، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٦٢/١٨.

فينكشِفُ ما بينه وبينهم، ويتميَّز المُحِقُّ من المُبطِل[1]، وكذلك نبيُّ الله نوح (عليه السلام) حين سأل ربه أن يفتح بينه وبين قومه، قال تعالى: ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، [3]، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[4]، وخير الحاكمينَ، أي: أفضلهم، فهو الَّذي يتحقَّق فيه كمال الوصف وفائدته بحيث لا يشتبه عليه الحقُّ من الباطل لأنَّ الحُكَّام مراتب كثيرة فتبيَّن وجه التفضيل بينهم[5]، وخير الفاتحين، وخير الحاكمين من أسماء الله الحسنى[6]، فلجوء الإمام إلى رحمة الله تعالى ولطفه يعكس صفاء قلبه ونورانيَّة باطنه وحبِّه لجميع الخلائق حتَّى الأعداء منهم والمنحرفينَ والضّالِّينَ، حيث يعبِّر عنهم (قَومِنا) والَّتي تشير إلى أنَّ الغرض الأقصى للإمام عليّ (عليه السلام) يتلخَّصُ إلى جذبهم إلى طريق الحقِّ والصَّوابِ، وأنْ يتّحد المسلمون صفًّا واحدًا في مقابل الأعداء[7].

وواضحٌ ممَّا تقدَّم أنَّ الله سبحانه هو خير الفاتحينَ، وهو الحاكم العادل الَّذي يقضي بالحقِّ فعلى الإنسان اللجوء إليه وطلب النَّصر منه لأنَّ حكم الله هو الحكم الحقُّ الَّذي لا يضاهيه حكم، وهذه حقيقة ذكرها الأمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) باستنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

---

(١) الفيض الكاشانيّ/ الصَّافي، ٢١٣/٣، محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ١١/٩.
(٢) الشُّعراء/١١٨.
(٣) محمَّد عبد الحقِّ النَّسفي/ مدارك التَّنزيل، ٤٢٤/٥.
(٤) الأعراف / ٨٧.
(٥) محمَّد عبد الحقِّ النَّسفيّ/ مدارك التَّنزيل،٤٤١/٣، محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ١٢/٩، محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ١٩٦/٨.
(٦) محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ١٩٦/٨.
(٧) ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١٧١/٩- ١٧٥.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، الدَّالة على التَّعليم والإرشاد[٣]، حيث كشف الإمام عن أروع الدُّروس الَّتي يمكن أنْ ينطوي عليها مَن سَلك سبيل الحق بغية التَّربية، والتَّهذيب كما تطرَّق بعبارات قصيرةٍ وعميقةِ المعنى إلى منهج السَّير والسَّلوك إلى الله تعالى، فقد أثار لدى العبد الشُّعور بخشيةِ الله (عزَّ وجلَّ) من خلال ذِكْرِهِ لجانب من العذاب الأليم لنار جهنَّم، ثمَّ حذَّرهم من إنَّ أعمارهم وعافيتهم إنَّما هي أمانة مُستودَعة وستُعاد يَومًا إلى صاحِبها، لذلك لا بدَّ من اغتنام الفرصة والمبادرة إلى العمل[٤]، كما ورد في الحديث النبويّ الشَّريف: ((اغتَنِم خَمْساً قَبلَ خَمس، حَياتِك قَبلَ مَوتِك، وصِحّتِك قَبلَ سقْمك، وفَراغك قَبلَ شُغلك، وشَبابك قَبلَ هَرمك، وغِناك قَبلَ فَقرك))[٥].

ثمَّ أشار إلى العبادة وتهذيب النَّفس حيث أوصى بإحياء اللَّيل، وقلَّة الطَّعام، وتوظيف الجوارح في خدمة الخَلْقِ، والسَّعي إلى الجهاد، ومن ثمَّ إنفاق الأموالِ، وبالتَّالي الحدِّ من الجسم لصالح الرُّوح ليبثُّ الأمل في قلوب السَّالكين بوَعْدِ اللهِ سبحانه[٦].

إنَّ الإمام عليّ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ في موضع ذكر الثَّواب العظيم الَّذي ينتظر عباد الله الصالحينَ وحثَّ على المُسارَعَةِ في العبادة والعمل الصَّالحِ لنَيْل (الفضل العظيم) وهو القُرْبُ منه سبحانه، إذ ليس لأحدٍ أن ينال خيرًا في الدُّنيا والآخرة إلَّا بفضل الله، لأنَّه سبحانه لو لمْ يَدْعُنا إلى الطَّاعة ولمْ يبيّن لنا الطَّريق ولمْ يوفِّقنا للعمل الصَّالح لما اهتدينا إليه، وذلك كلَّه من فضل الله، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٧]، كما إنَّه سبحانه تفضَّل بالأسباب الَّتي يفعل بها الطَّاعة من التَّمكين والألطاف وكمال العقل وعرض المكلَّف للثَّواب، فالله سبحانه ذو الإفْضال العميم، والإحسان الجسيم إلى عباده[٨]، وبتلك العبادة والعمل الصَّالح يتحوَّلونَ إلى

---

(١) الحديد/٢١٤.
(٢) ظ: عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٣٠٧-٣١١، ظ: محمَّد عَبْدُه/ شرح نهج البلاغة، ٢٨٣/٢-٢٨٦، ظ: د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/٣٥٥-٣٥٩.
(٣) ظ: د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/٣٥٥-٣٥٩.
(٤) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٤/١٠، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٨٧/٧.
(٥) المتَّقيّ الهنديّ/ كنز العمال، ٨٧٩/١٥.
(٦) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٦/١٠، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٨٧/٧- ٨٨.
(٧) البقرة/٦٤.
(٨) ظ: الطَّبرسيّ/ مجمع البيان، ٣٠٦/٩-٣٠٧، أبو حيَّان الأندلسيّ/ البحر المحيط، ٢٢٤/٨.

منازل جيران الله في جنَّته تكريمًا وتشريفًا لهم، ويكونونَ من المقرَّبينَ من الله ومن الأنبياء والشُّهداء والصالحينَ، وتفضُّلًا منه وتكريمًا لهم يأمر ملائكته أنْ تزورهم، ومن كرمه نزَّهَ أسماعهم أنْ تسمع صوت جهنَّم وحَفِظ أجسادهم أنْ تتعبُ أو تشقى[1]، نعم بالتأكيد إنَّ جنَّة بذلك الاتِّساع وبهذه النِّعم ليس من السَّهل أنْ يصل إليها الإنسان بأعماله المحدودة، لذا فإنَّ الفضل واللُّطف والرَّحمة الإلهية - فقط - هي الَّتي تستطيع أنْ تمنحه ذلك الجزاء العظيم في مقابل اليسير من أعماله، إذ إنَّ الجزاء الإلهي لا يكون دائمًا بمقياس العمل، بل إنَّه بمقياس الكرم الإلهي وهذا التَّعبير يرينا بوضوح إنَّ الثَّواب والجزاء لا يتناسب مع طبيعة العمل حيث إنَّه نوع من التَّفضُّل والرَّحمة[2]، كما جاء عن الإمام عليّ (عليه السلام) في معنى الفضل الإلهي: ((فانظروا إلى مواقع نعم الله عليهم حين بعث إليهم رسولًا فَعَقَدَ بملَّته طاعَتَهم وجَمعَ على أُلفتهم، كيف نَشَرَت النِّعْمةُ عليهم جناح كرامتها، وأسالت لهم جداول نعيمها، والتفَّت الملَّة بهم في عوائد بركتها، فأصبحوا في نعمتها غَرِقين، وفي خُضرَة عيشها فَكِهين))[3].

واضحٌ ممَّا تقدَّم أنَّ الله سبحانه ذو الفضل العظيم والإحسان العميم، يُؤتي فضله من يشاء من عباده، وبفضل الله واحسانه يَرقَى الإنسان إلى أعلى مراتب القرب منه (عزَّ وجلَّ)، ولا يمكن لأحد أنْ ينال خيرًا في الدُّنيا والآخرة إلَّا بفضل الله تعالى ورحمته.

---

(١) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٠٩/٣، ظ: عبد الله شُبَّر/ نخبة الشَّرحين، ١٠٩٠/٣-١٠٩١.
(٢) ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ الأمثل، ٥٩٤/١٣-٥٩٥.
(٣) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) /٣٤٥.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[١]

وردت الآية المباركة في رسالةٍ لأمير المؤمنينَ (عليه السلام) إلى معاوية[٢]، وقد دلَّت الرِّسالة على النَّقد والتَّعريض[٣]، حيث ذكر فيها الإمام إنَّ الله سبحانه خلق الإنسان للبقاء والخلود في دار الآخرة، أمَّا الدُّنيا فهي ممرٌّ وطريقٌ لتظهر الأفعال الَّتي يُستحَقُّ بها الثَّواب والعقاب، وإنَّه تعالى لم يأمرنا بالسَّعي في الدُّنيا للدنيا فقط، بل لها وللآخرة أيضًا[٤]، ثمَّ ذكر بعض ما فعله معاوية من طلبه السلطان وتلاعبه بآيات القرآن للوصول إلى الحكم، فقد أزفت الدُّنيا وزينتها له[٥]، وأراد الدُّنيا وضحَّى بالدِّين من أجلها، فأخذ الإمام (عليه السلام) يحذِّره ويخوِّفه من نار جهنَّم في الآخرة، ومن سوء العاقبة في الدُّنيا بقطع الأصل والنَّسل، ثمَّ أقسم إنَّه لو أمكنته الفرصة لجاهد عدوِّه بكل ما يملك من طاقةٍ وإنَّه لن يتراجع عن حربه[٦].

إنَّ أمير المؤمنينَ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ في مسألة الحكم بالحقِّ بالرّجوع إلى خير الحاكمينَ، لأنَّ الله سبحانه وتعالى أعدل العادلينَ فهو الذِّي يقضي بالحقِّ ويحكم بالعدل بين المؤمن والكافر[٧]، ويجزي كل إنسان بما يستحقَّه بحسب عمله في الدُّنيا، أو في الآخرة؛ لأنَّه تعالى لا يجوز عليه الجور[٨]، وهذا تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ أكيدٌ[٩]، بأنَّ الإمام (عليه السلام) لو جمعه الله مع عدوِّه في ميدان الحرب فإنَّه لا يمهله ولا يتركه حتى يحكم الله بينه وبين العدوِّ بتحقيق النَّصر والغلبة لأحدهم على الآخر[١٠]، وكلامه هذا مشعر بكونه (عليه السلام) على الحقِّ ومن كان على الحقِّ فلا

---

(١) الأعراف/٨٧.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٥٢٣، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/٦١٩، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ١٢٧/٤.
(٣) د. صبحي الصَّالح/ شرح نهج البلاغة،٦١٩.
(٤) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٦٦/١٧، المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٢٧٥/٣، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ١٢٨/٤.
(٥) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٦٦/١٧، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ١٢٩/٤.
(٦) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٦٦/١٧، ظ: المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٢٧٦/٣-٢٧٧، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ١٣٠/٤.
(٧) السَّمرقنديّ/ بحر العلوم، ٥٥٥/١، الطَّبرسي/ مجمع البيان، ٢٦٦/٤، شهاب الدِّين محمود الآلوسيّ/ روح المعاني، ١٧٩/٨، محمَّد رشيد رضا/ المنار، ٥٣٦/٨.
(٨) الطَّبرسيّ/ مجمع البيان، ٢٦٦/٤، محمَّد رشيد رضا/ المنار، ٥٣٦/٨.
(٩) الطَّبرسيّ/ مجمع البيان، ٢٦٦/٤، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١١٤/٥، محمَّد رشيد رضا/ المنار، ٥٣٦/٨.
(١٠) المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٢٧٧/٣، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١١٤/٥، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٥٧٧/١٥، محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٢١٠/٤، محمَّد بن حبيب الله الحسينيّ/ التُّحفة العليَّة، ٩/٧.

خوف عليه، فلابدَّ من تحقيق النَّصر والظَّفر[١]، لتمييز الخبيث من الطَّيّب وحينها لا يمكن دفع عقاب الله سبحانه وعذابه؛ لأنَّه تعالى لا معقِّب لحكمه، ولا حَيْف فيه فهو في غاية السُّداد[٢]، يفصل بين الخلق بمقتضى سنَّته لتنزهه عن الباطل كما قال تعالى في خطابه لنبيّنا محمَّد (ﷺ): ﴿اتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[٣]، وفي معناه ما قاله (عجل) في موضوع تبليغ دعوته (ﷺ): ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[٤]، وإنَّما حكمه تعالى بين الأمم بنصر أقربها إلى العدل والصَّلاح في الأرض وهذا هو حكمه الحقّ، فليعتبر المسلمونَ بهذا قبل كل أحد، وليعرضوا حالهم وحال دولهم على القرآن وعلى أحكام الله لهم وعليهم لعلَّهم يعودونَ إلى رشدهم ويتوبون إلى ربِّهم فيُعيدُ إليهم ما سُلِب منهم ويَرفعُ غضبَهُ ومقته عنهم[٥].

ظهر جليًّا ممَّا سبق أنَّ الله سبحانه وتعالى هو الَّذي يقضي بالحقِّ ويحكم بين الخلق بالعدلِ؛ لأنَّه خير الحاكمينَ الَّذين يحكمونَ بالعدلِ، وعالم بما في السَّرائر والضَّمائر، منزَّه عن الباطل، فلابدَّ للإنسان من التَّوبة والعودة إلى الله سبحانه؛ لأنَّه تعالى ينصرُ الحقَّ دائمًا، ومن الجدير بالذِّكر أنَّ هذه الحقيقة الَّتي أوردها أمير المؤمنينَ (عليه السلام) قائمة على استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

---

(١) المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٢٧٧/٣، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شر البلاغة، ١١٤/٥، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٥٧٧/١٥.
(٢) شهاب الدِّين محمود الآلوسيّ/ روح المعاني، ١٧٩/٨.
(٣) يونس/ ١٠٩.
(٤) الأنبياء/١١٢.
(٥) محمَّد رشيد رضا/ المنار، ٥٣٦/٨.

ثَالِثًا: اسْتِنْطَاقُ نُصُوصِ (الصِّفَاتِ السِّلْبِيَّةِ)

قال تعالى: ﴿اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾(١)

وردَت الآيةُ المُبارَكةُ في خطبةِ أَميرِ المؤمنينَ عليّ بن أَبي طالِب (عليه السلام)، وقيل إنَّه (عليه السلام) خطبها بعد مقتل عثمان في أوّل خلافته(٢)، وتدلّ هذه الخِطبة على التّعليم والإرشاد(٣)، وقد أشار في بدايتها إلى صفات الله سبحانه وعلمه المطلق بجميع الأشياء حتَّى أصغرها حجمًا؛ ليعلم النَّاس أنَّ أعمالهم محفوظة عند الله لا يخفى عليه شيء من أسرارهم، ثم شهد بالوحدانية لله تعالى ولرسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) بالنُّبوَّة، وقرن ذلك بصفاته؛ ليكشف عن عمق تلك الشَّهادة، ثمَّ خاطب كافَّة النَّاس وذكَّرهم بأمور مهمَّة لها أثر بالغ في حياتهم ، فقد حذَّر(عليه السلام) من حُبِّ الدُّنيا والتَّعلُّق بزخرفها؛ لأنَّ حُبَّ الدُّنيا رأس كلِّ خطيئة، ولم يقصد بذلك ذمَّ من حصل على الدُّنيا بل قصد أولئك الَّذينَ يتهافتونَ عليها ويتعلَّقونَ بزخارفها ويتكالبونَ عليها حتَّى يظنُّونَ بأنَّ كلَّ شيء خالد فيها، وأشار إلى قاعدةٍ كلِّيةٍ، حيث أقسم أنَّه ما كان قوم في نعمة غضَّة طريَّة فزالَتْ عنهم إلَّا بذنوب اكتسبُوها(٤).

إنَّ أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ في مسألة: (زوال النِّعم) الَّتي تكون بسبب الذِّنوب والمعاصي، لا بسبب ظلم الله تعالى لهم، لأنَّ الله سبحانه عدل لا يظلم بدليل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾، فلا يزيل النِّعم اعتباطًا بدون ذنب منهم، ولا يعاقب عبدًا له بغير استحقاق منه للعقوبة، بل يجازي كلَّ نفس بما كسبَتْ ويُوفِّي كلَّ عامل جزاء ما عمل؛ لأنَّه تعالى غير ظلَّام لأحدٍ من خلقه، بل هو العادل بينهم، المُتفضِّل عليهم جميعًا بما أحبَّ من فواضِلهِ ونِعَمه(٥)، فلا يعاقب عبيده إلَّا بجُرمٍ اجترمَوهُ ولا يعذِّبهم إلّا بمعصية اقترفوها(٦)، بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(٧)، فالظُّلم منفيٌّ عنه سبحانه وهذا يستلزم

---

(١) آل عمران/١٨٢.
(٢) ظ: عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) /٢٩٦-٢٩٨، ظ: محمَّد عَبْدُه/ شرح نهج البلاغة، ٢/٢٧٤-٢٧٦، ظ: د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/٣٤١-٣٤٣.
(٣) ظ: د. صبحي الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/١٧٨-٣٤٣.
(٤) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٠/٢٦-٢٨، ظ: ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣/٣٤٣-٣٤٦، ظ: محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٣/٨١-٨٤، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٦/٤٣٧-٤٣٩.
(٥) الطَّبريّ/ جامع البيان، ٦/٢٨٣.
(٦) الطَّبريّ/ جامع البيان، ١١/٢٣٢، الرَّازيّ/ مفاتيح الغيب، ٢٣/١٣ السِّيوطيّ/ الدرُّ المنثور،٤/١٦١، محمَّد عليّ الشُّوكانيّ/ فتح القدير،١/٦٥٩.
(٧) الرعد/١١.

العدل المقتضي إثابة المُحسن ومعاقبة المُسيء[١]، فلو أنَّ النَّاس عند حلول النِّقم بهم وزوال النِّعم عنهم يلتجئونَ إلى الله تعالى تائبينَ من ذنوبهم لرفع عنهم النِّقمة وأعاد إليهم النِّعمة؛ لأنَّ نِعَم الله تعالى تُقسَّم على العباد بحسب استعداداتهم وأهليَّتهم، يستحقُّها الصَّالحونَ الطَّاهرونَ لا الآثمونَ الملوَّثونَ، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ الذِّنوب تَعُدُّ لزوال النِّعم وحلول النِّقم لأنَّهم لو استحقُّوا إفاضة النِّعم مع الذِّنوب لكان مَنْعُهم إيَّاها منعًا للمُستحقِّ المُستعدِّ، وذلك عين الظُّلم وهو من الجود الإلهيّ مُحال[٢]، لأنَّه تعالى ليس بذي ظُلْم[٣].

أمَّا الآيات القرآنية الّتي تدلّ على نفي الظُّلم عنه سبحانه كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٤]، فالله سبحانه لا ينقص ثواب أحد، أو يعاقب أحدًا بجرمٍ لم يعمله[٥]، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٦]،[٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾[٨]،[٩].

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ ما ورد في كلام الإمام عليّ (عليه السلام) قانون كلّيّ، فهناك موارد امتحان وايقاظ، فلو تأمَّل الإنسان قليلًا لأمكنه التَّعرُّف على الموارد الَّتي يكون البلاء فيها جانب العقاب والجزاء أو الامتحان والتَّمحيص حسب ما صدر منه من أعمال[١٠].

ظهر ممَّا تقدَّم أنَّ الذِّنوب والمعاصي سببٌ في زوال النِّعم وحلول النِّقم بالعبد، وإنَّ الظُّلم منفيٌّ عن الله سبحانه بل هو العادل الَّذي يقسِّم نعمه على العباد بحسب استعداداتهم، فعلى العبد اللِّجوء إلى الله (عزّ وجلّ) والتَّوبة من الذِّنوب.

فأمير المؤمنينَ (عليه السلام) حين أورد آية (نفي الظُّلم) في خطبته الشَّريفة، أوردها على سبيل (الاستنطاق)، لا على سبيل (الاستشهاد)، بمعنى: إنَّ القرآن الكريمِ من أوَّله إلى آخره ناطقٌ بحقيقة (نفي الظُّلم)، وقانون (احقاق الحقِّ)، وتحقيق (العَدْل).

فنحن من نغيَّر أقدار أنفسنا بأيدينا، نغيَّرها من (استحقاق النِّعمة) إلى (استحقاق النِّقمة)، والعكس صحيحٌ...

---

(١) البيضاويّ/ أنوار التَّنزيل، ٥٢/٢.
(٢) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٦٤/٣.
(٣) الثَّعالبي/ الجواهر الحسان، ١٦١/٢.
(٤) الكهف /٤٩.
(٥) محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ٣٣٩/١٥.
(٦) النحل /٣٣.
(٧) ظ: محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ١٤٦/١٤.
(٨) أل عمران/١٠٨.
(٩) ظ: محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ٤٣٠/٣.
(١٠) ناصر مكارم الشّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٤٣٩/٦.

والاستنطاق من أمير المؤمنينَ (عليه السلام) لنا، لا لَهُ، فهو (قرآنٌ ناطقٌ) لا يحتاج إلى استنطاق، ومن يحتاجه نحن، فأدلاه لنا في خطبته الشّريفة على سبيل الإرشاد والتَّدريب، وبيان حقيقة ثابتة مفادها أنَّ ما يصدر عنه (عليه السلام) مطابق لما جاء به القرآن الكريم، فلا يخالفه قيد أنملة.

المَبْحَثُ الثّانِي: اسْتِنْطَاقُ نُصُوصِ (حَقِيقَة القُرآنِ)

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبةِ أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ضمن موضوع الحُكْم للقرآن[٢]، وقد دلَّت على التَّعليم والارشاد[٣]، والمراد منها الرَّد على أهل الاجتهاد في الأحكام الشرعيَّة، وإفساد قول من قال: كلُّ مجتهد مصيب[٤]، ويتلخَّص الاحتجاج في وجوه عدة: أولُّها: لمَّا كان الإله سبحانه واحدًا، والرَّسول (صلى الله عليه وآله) واحدًا، والكتاب واحدًا، وجب أن يكون الحكم في الواقعة واحدًا، والثَّاني: إنَّ الاختلاف الَّذي ذهب إليه المجتهدونَ لا يخلو إمَّا أن يكون مأمورًا به وهذا باطل لعدم وجوده في الكتاب والسُّنة، أو منهيًّا عنه وهو الحقُّ الَّذي يلزم منه تحريم الاختلاف، والثَّالث: إمَّا أنْ يكون دين الإسلام ناقصًا وهذا يتطلَّب استعانة الله سبحانه بالمكلَّفين على إتمام شريعة ناقصة أو أن يكون تامًّا، وإنَّ الرَّسول (صلى الله عليه وآله) قد أبلغه على تمامه وكماله وهذا يقتضي بطلان الاجتهاد، لأنَّ الاجتهاد إنَّما يكون فيما لم يتبيَّن، أمَّا ما قد تبيَّن فلا مجال للاجتهاد فيه[٥]، ثمّ بيَّن إنَّ القرآن هو الحلُّ الإسلاميّ الوحيد في التَّشريع لتطبيق العدالة الإسلاميَّة في المجتمع[٦].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ في مسألة إيكال أمر الحُكْم في أمور الدين للقرآن لأنَّه (لا تفريط فيه)، فلم يترك شيئًا من أمور الدِّين والدُّنيا والآخرة إلَّا وبيَّنها[٧]، وجميع ما في السماوات والأرض علمهم عند الله، لا ينسى أحدًا من رزقه وتدبيره، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٨]، أي مُفصِح بأسمائها وأعدادها ومظانِّها وحاصر لحركاتها وسكناتها[٩]، ومثله قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا

---

(١) الأنعام/٣٨.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٤٤، محمَّد عَبْدُه/ شرح نهج البلاغة، ٥٤/١، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/٤٦.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/٤٦.
(٤) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٤٠/١، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٨٨/١.
(٥) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٤٠/١، محَّمد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٦٠/١، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٩١/١.
(٦) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٤/١، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٤٠٣/١.
(٧) الطَّبرسيّ/ مجمع البيان، ٣٨/٤، الشُّوكانيّ/ فتح القدير، ١٦٠/٢، القُمِّي/ تفسير القُمِّي، ٢٩١/١.
(٨) هود/٦.
(٩) الرَّازيّ/ التَّفسير الكبير، ١٩٣/١٧، ظ: ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم، ٢٥٣/٣-٢٥٤.

عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[1]،[2]، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾[3]، فهذه الآيات وغيرها دالَّة على اشتمال الكتاب العزيز على جميع الأحكام، فكل ما ليس في الكتاب وجب أنْ لا يكون في الشَّرع؛ لأنَّ الإسلام شَرَّعَ كلُّ ما من شأنه تلبية متطلبات البشريَّة وحاجاتها، وكذلك خصائص القرآن الخمسة: وهي ظاهره أنيق فأصبحت بلاغته قدوة للبلغاء، وباطنه عميق فيفتقر إلى دراسة محتواه، ولا تفنى عجائبه في التَّشريع، ولا تنقضي غرائبه لأنَّه دستور للحياة، ولا تنكشف الظُّلماتِ إلَّا به لكماله في التَّشريع كدستور الهي للفرد والأمَّة[4]، فلا تكون الحياة بدون القرآن إلَّا حياة مظلمة مليئة بالعنصريَّة والجهل والعصبيَّة حيث لا تُطبَّق العدالة في المجتمع، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾[5]، فالقرآن الكريم يشتمل على الأمر والنَّهي والفصل، وهذا يفرض علينا العمل بما جاء به[6]، كما جعل الله سبحانه القرآن الكريم حاكمًا ومُهيمنًا ورقيبًا على سائر الكتب السماويَّة، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾[7]،[8]، وجاء عن الإمام عليّ (عليه السلام): ((ألا إنَّ فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم، ونظم ما بينكم))[9]، وعن الإمام الصّادق (عليه السلام) قوله: ((ولدني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنا أعلم كتاب الله وفيه بدء الخلق، وما هو كائن إلى يوم القيامة، وفيه خبر السَّماء وخبر الأرض، وخبر الجنَّة وخبر النَّار، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفِّي، إنَّ الله يقول: "فيه تبيان كل شيء"))[10]، فالثَّوابت الأصيلة في القرآن والسنَّة بالنِّسبة إلى مسؤوليَّات الفرد والقائد تدعو إلى وحدة الحكم في أمّة تعبد إلهًا واحدًا، وتؤمن بنبيٍّ واحد، وتتَّبع قرآنًا واحدًا، وتصلِّي إلى قبلةٍ واحدةٍ[11].

---

(١) النحل/٨٩.
(٢) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٤٠/١، محمَّد عليّ الشُّوكانيّ/ فتح القدير، ١٦٠/٢، ناصر مكارم الشّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٠٤/١.
(٣) الأنعام/١١٤.
(٤) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٩٠/١، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٦٢/١، ناصر مكارم الشّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٤٠٨/١.
(٥) النِّساء/١٠٥.
(٦) الفيض الكاشانيّ/ الصَّافي، ٣١١/٢، الثَّعلبيّ/ الكشف والبيان،٣٨١/٣، البيضاويّ/ أنوار التنزيل، ٢/ ٩٥.
(٧) المائدة/٤٨.
(٨) جمال الدّين القاسميّ/ محاسن التَّأويل/ ١٥٦، البيضاويّ/ أنوار التنزيل، ١٢٩/٢.
(٩) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) /٢٥٦.
(١٠) الكلينيّ/ الكافي،٦١/١.
(١١) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٦٣/١.

وظاهرٌ ممَّا سبق أنَّ القرآن الكريم لا تفريط فيه، فقد اشتمل على جميع الأحكام والأوامر والنَّواهي التي يحتاج إليها الإنسان في حياته فلم يترك أمرًا إلَّا وبيَّنه إمَّا اجمالًا أو تفصيلًا، فلا يجوز لأحد أنْ يستند إلى رأيه الشَّخصيّ في الحكم، بل لابدَّ من الرجوع إلى الثَّوابت الإسلاميَّة الأصيلة، وهذه الحقيقة الَّتي ذكرها الإمام علي (عليه السلام) عن القرآن الكريم مستندة إلى استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

٢- قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[١].

وردت الآية الكريمة في خطبة أمير المؤمنينَ علي بن أبي طالب (عليه السلام) وتدلُّ على التَّعليم والارشاد[٢]، وقد تحدَّثت الخطبة عن القُضاة الَّذين يستندونَ في أحكامهم إلى الأدلَّة الواهية الضَّعيفة من قبيل القياس والرَّأي والاستحسان فتوصلهم إلى نتائج خاطئة، ويصوِّب رئيسهم كل هذه الأحكام المتناقضة ويرى فيها أحكام الله المطابقة للواقع[٣]، ثمَّ يتطرَّق الإمام (عليه السلام) إلى نظريَّة التَّصويب الَّتي ترى أنَّ آراء القُضاة وفتيا الفقهاء تمثِّل الأحكام الإلهيَّة الواقعيَّة رغم تضادِّها وتضاربها مع بعض، ويُبطِل هذه النَّظرية على أساس الأدلَّة المنطقيَّة الَّتي تفنِّد هذه العقيدة، ثمَّ يتحدَّث عن عظمة القرآن وكونه المرجع الفصل في حل جميع الاختلافات[٤].

إنَّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ في مسألة الحكم بالرُّجوع إلى القانون الإسلامي الحاكم (القرآن)، دون غيره من الآراء الشخصيَّة؛ لأنَّ قانون العدالة يقضي برفع الآراء الشخصيَّة والحكم على أساس القانون الإلهي المُبيَّن في الكتاب الإلهي لأنَّه يصدق بعضه بعضًا، ولا اختلاف فيه، وافي بجميع المطالب إذا تدبَّروا معناه ولاحظوا أسراره وتطلَّعوا إلى غوامضه، فيحرم عليهم أنْ يتسرَّعوا إلى قول ما لم يستند إليه[٥]، لإئتلاف أحكامه واتساق معانيه وتأييد بعضه بعضًا بالتَّصديق وشهادة بعضه لبعض بالتَّحقيق، وهذا خير دليل على إنَّه من الله سبحانه لأنَّه لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه وتناقضت معانيه وأبان بعضه عن فساد بعض[٦]، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٧]،[٨]، فحقٌّ على المؤمن أنْ يقول: كلٌّ من عند الله، فإذا جهل أمرًا ولم يعرفه يقول: الَّذي قال الله حقٌّ، ويعرف إنَّ الله لم يقُل قولًا وينقضهُ، وينبغي أنْ يؤمن بحقيقة ما جاء من عند الله سبحانه[٩]، كما لا يستطيع أحد أنْ يغِّير أو يزيد أو

---

(١) النِّساء/٨٢.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) /٤٤، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/٤٦.
(٣) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٤٠/١، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٨٨/١، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفخات الولاية، ٣٩٠/١، محمَّد بن حبيب الله الحسينيّ/ التُّحفة العليَّة، ٢٢٢/١.
(٤) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٨٩/١، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٩٠/١، محمَّد بن حبيب الله الحسينيّ/ التُّحفة العليَّة، ٢٢٢/١.
(٥) الطَّبريّ/ جامع البيان، ٢٥١/٧، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٩٠/١، محمَّد بن حبيب الله الحسينيّ/ التُّحفة العليَّة، ٢٢٣/١.
(٦) الطَّبريّ/ جامع البيان، ٢٥١/٧، محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ٢٠/٥.
(٧) الشُّعراء/١٩٢.
(٨) ظ: الطَّبريّ/ جامع البيان، ٦٤١/١٧.
(٩) الطَّبريّ/ جامع البيان، ٢٥١/٧، محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ٢٠/٥.

ينقص فيه، قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1]،[2]؛ لأنَّه ليس فيه تناقض من جهة حقٍّ وباطلٍ، أو بليغٍ ومرذولٍ، أو اختلافٍ في الأخبار[3]، فجعل الاختلاف دليلًا على إنَّه ليس من عند الله، لكنَّه من عند الله سبحانه بالأدلَّة القاطعة الدَّالة على صحَّة النبوَّة، فوجب ألَّا يكون فيه اختلاف[4]، فالقرآن الكريم مشتمل على أنواع من العلوم فلو كان من عند غير الله لوقع فيه الكثير من الكلمات المتناقضة لأنَّ الكتاب الكبير الطويل لا ينفكُّ من ذلك فلمَّا لم يوجد ذلك علمنا إنَّه من الله تعالى، كما إنَّ فصاحته بقيت فيه من أوَّله إلى آخره على نهج واحد، ومن المعلوم أنَّ الإنسان وإنْ كان غاية في البلاغة ونهاية في الفصاحة إذا كتب كتابًا كبيرًا مشتملًا على المعاني الكثيرة، فلابدَّ وأنْ يظهر التَّفاوت في كلامه فيكون بعضه قويًّا وبعضه نازلًا دون ذلك ولمَّا لم يكن القرآن كذلك علمنا أنَّه المُنزَل من عند الله[5]، وإنَّه ممَّا يناله الفهم العادي، وآياته يفسِّر بعضها بعضًا، كما إنَّه لا يقبل نسخًا ولا إبطالًا ولا تكميلًا ولا تهذيبًا ولا أيّ حاكم يحكم عليه لأنَّ ما يقبل شيئًا منها لا مناص من كونه يقبل شيئًا آخر من التَّحوّل والتَّغيير فلازم ذلك أنَّ الشَّريعة الإسلاميَّة مستمرَّة إلى يوم القيامة[6].

تجلَّى ممَّا تقدَّم أنَّ القرآن الكريم من الله سبحانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض يصدق بعضه بعضًا ويشهد بعضه على بعض، فلابدَّ من الرُّجوع إليه في اصدار الأحكام دون غيره، وعدم الاستناد إلى الآراء الشَّخصية، لأنَّه القانون الإلهي الحاكم بالحقِّ.

---

(١) فصِّلت/٤٢.
(٢) الثَّعلبيّ/ الكشف والبيان، ٢٩٨/٨.
(٣) الماورديّ/ النُّكت والعيون، ٥١٠/١.
(٤) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة،١٤١/١، محمَّد بن حبيب الله الحسينيّ/ التُّحفة العليَّة، ٢٢٣/١.
(٥) ظ: الرَّازيّ/ التَّفسير الكبير، ٢٠٢/١٠، ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة،١٤١/١، ظ: محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ٢١/٥، ظ: محمَّد بن حبيب الله الحسينيّ/ التُّحفة العليَّة، ٢٢٣/١.
(٦) محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ٢١/٥.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبةِ أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، الدَّالة على الوعظ والتَّعليم والإرشاد[٢]، وقد تألَّفت هذه الخطبة من خمسة أقسام: أوَّلها: الكلام عن صفات الله تعالى، ذات الأثر البالغ في تربية الإنسان، وصدِّه عن الذِّنوب والمعاصي، وسوْقِه نحو الخير والإحسان، والثَّاني: في وعظ النَّاس والتَّزوُّد من هذه الدُّنيا، والتأهُّب للآخرة وعدم نسيان الهدف من خلقتهم[٣]، والثَّالث: في أهمَّية القرآن وكونه الرَّكيزة الأساسيَّة في أي عمل، وهو الدُّستور العملي، ثمَّ الإشارة إلى الركيزة الثَّانية وهي النبوَّة الشَّارحة لهذا الدّستور[٤]، والرَّابع: تحذير النَّاس من نوم الغفلة وتدارك ما مضى من العمر في أواخره والحيطة من مكائد الشَّيطان[٥]، والخامس: في الإشارة إلى بعض الصِّفات الذَّميمة، وذكر نصائح هامَّة لا يستغني عنها المجتمع الإسلاميّ، والتَّعريف بأفضل الأفراد[٦].

إنَّ الإمام عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَ في مسألة (نزول الكتاب) من الله سبحانه جامعًا (فيه تبيان) كلُّ شيء، ففيه الأمر والنَّهي والوعد والوعيد وكلِّ شيء من أمور الدِّين والدُّنيا[٧]، نصًّا على بعضها، أو إحالةً إلى السُّنة[٨]، حيث أمر باتِّباع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وطاعته، وقد رضي رسول الله لأمَّته اتِّباع أصحابه والاقتداء بآثارهم، وقد اجتهدوا وقاسوا فكانت السُّنة والإجماع والقياس والاجتهاد مستندة إلى تبيان الكتاب، ومن ثمَّ كان الكتاب تبيانًا لكلِّ شيء[٩]، فكلُّ ما يحتاج إليه العباد مُبيَّن في الكتاب أتمَّ تبيين بألفاظ واضحة ومعانٍ جليَّةٍ؛ لأنَّ الله سبحانه بيَّن لنبيِّه (صلى الله عليه وآله) كلُّ ما أشكل عليه من معانيه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[١٠]،[١١]، كما إنَّ القرآن الكريم ينطوي على كافَّة المعارف الإلهيَّة والتَّعاليم المادَّية والمعنويَّة على جميع مستويات

---

(١) النَّحل/٨٩.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) /١٢٦، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/١٣٦.
(٣) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٦٩/٦، البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٤١٣/١، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٢/٢، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة،٥٠٦/١.
(٤) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٧٠/٦، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٢/٢، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٠٨/١.
(٥) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٧١/٦، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٣/٢.
(٦) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٤١٥/١، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥١٢/١.
(٧) السَّمرقنديّ/ بحر العلوم،٢٤٧/٢، الزَّمخشريّ/ الكشَّاف، ٥٨٦/٢، الثَّعالبيّ/ الجواهر الحسان، ١١٤/٢.
(٨) السَّمرقنديّ/ بحر العلوم،٢٤٧/٢، الزَّمخشريّ/ الكشَّاف، ٥٨٦/٢.
(٩) الزَّمخشريّ/ الكشَّاف، ٥٨٦/٢.
(١٠) القيامة/١٩.
(١١) الفيض الكاشانيّ/ الصَّافي، ٣٤٨/٢.

الحياة البشرَّية[1]، بدلالة قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2]، كما إنَّه تعالى يُثني فيه الأمور الكبار الَّتي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت وإعادتها في كل ساعة، فيعيدها ويبديها بألفاظ مختلفة وأدلَّة متنوّعة لتستقرَّ في القلوب وتُثمِر من الخير والبرّ بحسب ثبوتها في القلب، ولمَّا كان القرآن بيّنًا لكلِّ شيء صار حجَّة على العباد كلِّهم، وبهذا انقطعت حجَّة الظَّالمينَ، وانتفع به المسلمونَ وصار لهم هدىً ينتفعونَ به على أمر دينهم ودنياهم، ورحمةً ينالونَ بها خير الدُّنيا والآخرة[3]، فلا حجَّة بعده لمحتجٍّ ولا عذر معه لمعتذر[4]، فالآية المباركة الَّتي وردت ضمن الخطبة إلى جانب روايات الأئمَّة المعصومينَ (عليهم السلام) تذكِّر المسلمينَ بأنَّ الهداية والسَّعادة إنَّما تكمن في القرآن[5].

ظهر ممَّا سبق أنَّ الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم فيه تبيان لكل ما يحتاج إليه الإنسان جملةً وتفصيلًا حتَّى صار حجَّة على العباد يُنتَفَع به في كل أمور الدِّين والدُّنيا للفوز والنَّجاة في الآخرة.

(١) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٣/٢ ناصر مكارم الشَّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٠٩/٣.
(٢) آل عمران/١٣٨.
(٣) عبد الرَّحمن ناصر السَّعديّ/ تفسير كلام المنَّان/٥١٨.
(٤) سيِّد قطب/ في ظلال القرآن، ١١٨٨/١.
(٥) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣١٠/٣.

٤- قال تعالى: ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة أمير المؤمنينَ علي بن أبي طالب (عليه السلام) الدَّالة على التَّعليم والإرشاد والوعظ[٢]، ومدار هذه الخطبة عن أهداف بعثة النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وأشار إلى دور القرآن في هداية الإنسان، وطاعة الله وسلوك صراطه المستقيم[٣]، ثمَّ يُخبِر الإمام (عليه السلام) عن الفتن القادمة ويتحدَّث عن وقت يغرق النَّاس فيه بالذِّنوب والمعاصي، ويتغافلونَ عن أوامره ونواهيه[٤]، ثمّ نبَّه إلى وجوب تقصير الآمال في الدُّنيا لاستلزام طلبها الهلاك الأخروي وأنذر النَّاس بمعاقبة الأقوام السابقة الَّتي صَبَّ عليها البلاء وأهلكهم بسبب طول آمالهم في الدُّنيا[٥]، ثمَّ نبَّه على حسن جوار الله بطاعته وعلى قبح عداوته بمعصيته وأرشد إلى التَّواضع ودعا النَّاس إلى اتِّباع القرآن وأهل البيت (عليهم السلام) من أجل النَّجاة من الفساد[٦].

إنَّ الإمام عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ في مسألة الدَّلالة على طريق الهِداية (الأقوم) باتِّخاذ (القرآن) دليلًا، فالقرآن يهدي إلى أقوم طرق الهداية وهي توحيد الله وطاعته والإيمان به وبرسله[٧]، ويدلُّ على ذلك إنَّ لفظة (أقوم) اسم تفضيل بمعنى الأكثر ثباتًا واستقامةً واعتدالًا، وهذا يعني إنَّ القرآن يمثِّل أفضل طرق الاستقامة والثَّبات والهِدايَة، كما إنَّ حذف المتعلِّق فيه ايجاز وتفخيم ودلالة على العموم واشارة إلى أنَّ الإسلام هو آخر أديان السَّماء، وأنَّ النَّبيَّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) هو آخر الأنبياء، ومعنى ذلك تفوُّقه على سائر الأديان؛ لأنَّه يشتمل على أرقى وأقوم مضامين الهداية والاستقامة[٨]، ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾[٩]، كما فيه إيماء إلى ضمان سلامة أمَّة القرآن من الحيدة عن الطَّريق الأقوم، لأنَّه جاء بأسلوب قويم من

---

(١) الإسراء/٩.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) /٢٣٤، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/٢٦٧.
(٣) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥١/٩، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ١٨٧/٣، المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٥٤/٢، عبد الله شُبَّر / نخبة الشَّرحين، ٨٥٩/٢.
(٤) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٢/٩، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ١٨٨/٣، عبد الله شُبَّر/ نخبة الشَّرحين، ٨٦١/٢.
(٥) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٢/٩، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ١٩٠/٣، المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٥٦/٢، عبد الله شُبَّر/ نخبة الشَّرحين، ٨٦٤/٢.
(٦) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة،٥٣/٩، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ١٩١/٣.
(٧) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٢/٩، ابن الجوزيّ/ زاد المسير، ١٢/٣، البيضاويّ/ أنوار التَّنزيل، ٢٤٩/٣، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ١٩٠/٣، المجلسيّ/شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٥٧/٢، عبد الله شُبَّر/ نخبة الشَّرحين، ٨٦٥/٢، محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ٤٠/١٥، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ الأمثل، ٢٣٨/٧.
(٨) محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ٤٠/١٥، ناصر مكارم الشَّيرازيّ/ الأمثل، ٢٣٨/٧.
(٩) الزمر/٢٨.

الارشاد ذي أفنان لا يحول دونه ودون الولوج إلى العقول حائل، ولا يغادر مسلكًا إلى ناحية من نواحي الأخلاق والطبائع إلَّا سلكه إليها، بحيث لا يعدم المتدبّر في معانيه اجتناء ثمار أفنانه[1]، وتلك الأساليب لم تبلغها الكتب السَّابقة لذلك كانت الطَّريقة الَّتي يهدي إلى سلوكها أقوم من سائر الأديان السَّابقة عليه، وإن كانت الغاية المقصود الوصول إليها واحدة[2]، إضافة إلى تفوقه على سائر المذاهب والعقائد الوضعيَّة؛ لأنَّه كتاب السَّماء الواصل إلينا من الله تعالى ذي العلم المطلق، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[3]، فطريق القرآن هو طريق الحقِّ الَّذي لا اعوجاج فيه[4].

وواضح ممَّا تقدَّم أنَّ القرآن الكريم هو طريق الهداية الأقوم، في كل جوانب الحياة والوجود وعلى كافَّة القضايا والأصعدة لتفوقه في ميّزات الهداية والاستقامة وهذه الحقائق والميزات الَّتي يتميَّز بها القرآن الكريم والمصرَّح بها في نهج البلاغة قائمة على استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

(١) محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ٤٠/١٥.
(٢) المصدر نفسه،٤٠/١٥، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ الأمثل، ٢٣٨/٧.
(٣) الأحقاف/٣٠.
(٤) محمَّد الأمين الشَّنقيطيّ/ أضواء البيان، ٤٢٦/٧.

المَبحَثُ الثّالِثُ: اسْتِنْطَاقُ نُصُوصِ (صِفَاتُ المَلائِكَةُ)

١- قال تعالى: ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة أمير المؤمنينَ (عليه السلام) الّتي تُدعى بخطبة الأشباح[٢]، وقد دلَّ هذا الموضع من الخطبة على بدء الخلق[٣]، واشتملت على عدَّة أقسام، الأوَّل: في جانب من صفات الله تعالى من أجل إعداد الأفكار لتقبُّل ما يرد عليها من حقائق[٤]، والثَّاني: يتضمَّن إجابة عن سؤال السَّائل عن صفات الله، والثَّالث: إشارة إلى عجز الإنسان عن الإحاطة العلمية بكنه الذَّات والصِّفات الإلهية المقدَّسة[٥]، والرّابع: بحث القدرة الإلهيَّة في تدبير عالم الخلقة الَّذي يمثِّل مرآة تعكس صفاته تعالى، والخامس: الحديث عن خلق السَّموات العليا الَّتي تمثِّل جانبًا من عظمة الله سبحانه[٦]، والسَّادس: الحديث عن خلق الملائكة وصفاتهم وخصائصهم ومسؤوليَّاتهم والوظائف الَّتي يقومونَ بها، والسَّابع: لفت انتباه النَّاس إلى العالم العلوي إلى جانب الحديث عن خلق الأرض، والثَّامن: عن عِلْمِ الله سبحانه بالغيب وإحاطته بأسرار الوجود كافَّة، ثمَّ يختتم الإمام (عليه السلام) خطبته بأدعية روحيَّة عظيمة للأخذ بيد الإنسان إلى السَّير نحو الله سبحانه وإصلاح فكره وأعماله[٧].

إنَّ أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ لبيان صفة من صفات الملائكة بأنَّها (أولي أجنحة)، وإنَّما جعلهم الله سبحانه أولي أجنحة ليتمكنوا بها من العروج إلى السَّماء ومن النِّزول إلى الأرض، ومنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة أجنحة ومنهم من له أربعة أجنحة بحسب ما تقتضيه حكمته[٨]، وهذا يعني إنّ لهم أجنحة متعدَّدة متفاوتة في العدد حسب مراتبهم ينزلونَ بها أو يسرعونَ بها حين يُؤمَرونَ ويمكن أنْ تكون كلًّا أو بعضًا منها لأمور أخرى كالزينة أو الإرخاء على الوجه حياءً من الله تعالى أو غير ذلك[٩]، وقد وردت الكثير من الآيات القرآنيَّة

---

(١) فاطر/١.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) /١٤٢، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/١٥٦.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/١٥٦.
(٤) ظ: البيهقيّ/ معارج نهج البلاغة، ٣٩٦/١، ظ: البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٤٤٣/١-٤٤٥، ناصر مكارم الشّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٦/٤.
(٥) ظ: البيهقيّ/ معارج نهج البلاغة، ٤٠٢/١-٤٠٣، ناصر مكارم الشّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٦/٤.
(٦) ظ: البيهقيّ/ معارج نهج البلاغة، ٤٠٤/١-٤١٦، ظ: البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٤٤٦/١-٤٥٩، ناصر مكارم الشّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٧/٤.
(٧) ظ: البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٤٥٩/١-٤٧١، ظ: صادق باقر الموسويّ/ تمام نهج البلاغة/٧١-٧٩، ناصر مكارم الشّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٧/٤.
(٨) الطَّبرسيّ/ مجمع البيان، ١٧٦/٨، شهاب الدّين محمود الآلوسي/ روح المعاني، ١٦٣/٢٢، عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعديّ/ تيسير الكريم الرَّحمن/٨٠٣.
(٩) شهاب الدِّين محمود الآلوسيّ/ روح المعاني، ١٦٣/٢٢، عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعديّ/ تيسير

التي تتحدَّث عن صفات الملائكة ووظائفهم منها قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾[١][٢]، وقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[٣][٤]، كما ورد تسبيح أجنحة الملائكة وباقي أعضائهم لله تعالى[٥]، ففي خبر عن جميل بن دراج عن الإمام الصَّادق (عليه السلام): ((إن في السَّماوات السَّبع لبحارًا عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام، فيها ملائكة قيام منذ خلقهم الله تعالى والماء إلى ركبهم، ليس فيهم ملك إلَّا وله ألف وأربعمائة جناح في كل جناح أربعة وجوه، في كل وجه أربعة ألسُن، ليس فيها جناح ولا وجه ولا لسان ولا فم إلَّا وهو يسبِّح الله تعالى بتسبيح لا يشبه نوع منه صاحبه))[٦]، وفي خبر عن ابن عبَّاس عن النبي (صلى الله عليه وآله): ((إن لله تعالى ملائكة ليس شيء من أطباق أجسادهم إلا وهو يسبّح الله تعالى ويحمده من ناحية بأصوات مختلفة، لا يرفعون رؤوسهم إلى السَّماء ولا يخفضونها إلى أقدامهم من البكاء والخشية لله عزَّ وجلَّ))[٧]، ولمَّا كانت الأجنحة وسيلة لدى الطُّيور للتَّحليق في السَّماء وكيفيَّة تفاوتها في التَّحليق تبعًا لكيفيَّة هذه الأجنحة، فالملائكة متفاوتة في مقاماتها ودرجات قوَّتها وقدرتها، وهذا يستلزم تفاوتها في القدرة على القيام بالوظائف والمسؤوليَّات[٨].

يبدو ممَّ تقدَّم أنَّ الملائكة ذوات أجنحة متعدَّدة متفاوتة في العدد حسب تفاوت مالهم من المراتب والوظائف تمكِّنها من الحركة والانتقال والإسراع والنزول وتنفيذ أوامر الله سبحانه والتَّسبيح، وهذا يعني اختلاف الملائكة في القوَّة والقدرة باختلاف ما لها من الوظائف والمسؤوليَّات.

الكريم الرحمن/٨٠٣.

(١) النَّجم/٥-٦.

(٢) ظ: محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ٢٧/٩٥-٩٦.

(٣) الحاقَّة/ ١٧.

(٤) ظ: محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ٢٩/١٢٧-١٢٨.

(٥) محمَّد تقي التستُّريّ/ بهج الصِّباغة، ١/٥٥١.

(٦) الصَّدوق/ التَّوحيد/٢٨١.

(٧) المصدر نفسه/٢٨٠.

(٨) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٤/٦٢.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۞ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة الأشباح للإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وذكر فيها صفات الملائكة[٢]، وفيها دلالة بدء الخلق[٣]، وقد افتتح (عليه السلام) خطبته بذكر صفات الله سبحانه، والقنوات الصَّحيحة لمعرفته، واستعرض حقيقة القدرة الإلهيَّة[٤]، ثمَّ الكلام عن شبهات عبدة الأصنام وبيان فسادها، والتَّوحيد الخالص لله سبحانه، والكلام عن خلق السَّماء[٥]، وخلق الملائكة في أنواعهم الثَّلاث: ملائكة الرّسالة، وملائكة العمل، وملائكة العبادة، وذكر خصائصهم وصفاتهم وبيّن بديع خلقهم ومواضع تواجدهم وأدوارهم[٦]، ثمَّ الكلام عن صفة الأرض وما عليها من الجبال والعيون ومياه الأمطار والنَّبات، والكلام عن خلق آدم ودور الأنبياء من بعده، وكل ذلك من علم الله سبحانه وقدرة لا يعلمها إلَّا هو[٧]، ثمَّ ختم الخطبة بدعاء يتضمَّن الأوصاف الإلهيَّة والحاجة البشريَّة[٨].

إنَّ أمير المؤمنينَ عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ لبيان صفات الملائكة بأنَّهم عباد أكرمهم الله تعالى بعبادته، يعرفون حقيقة العبوديَّة، يتَّبعون قوله سبحانه، كما أنَّهم مكرمون بالتَّقديس عن النُّفوس الأمَّارة بالسُّوء الَّتي هي مبدأ مخالفة أمره والخروج عن طاعته[٩]، فلا يقولون شيئًا حتّى يقوله، ولا يسبق قولهم قوله، وكما أنَّ قولهم تابع لقوله فعملهم أيضًا، فلا يعملون عملًا ما لم يؤمروا به، ويقومون بتنفيذ ما أُمِرُوا به من دون أي تردُّد أو تأخير[١٠]، بدلالة قوله

---

(١) الأنبياء/ ٢٦-٢٧.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) /١٤٢، محمَّد عَبْدُه/ شرح نهج البلاغة، ١/ ١٤٨، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/١٥٧، لبيب بيضون/ تصنيف نهج البلاغة/١٣٦.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/١٥٧.
(٤) ظ: الرَّاونديّ/ منهاج البراعة، ١/٣١٥-٣٢٠، ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٦/١٩٢-١٩٨.
(٥) ظ: الرَّاونديّ/ منهاج البراعة، ١/ ٣٢١-٣٢٦، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة،١/٥٥٥-٥٦٣.
(٦) ظ: الرَّاونديّ/ منهاج البراعة، ١/ ٣٣٠-٣٣٨، ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٦/٢٠٣-٢١٠، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة،١/٥٦٦-٥٧٠.
(٧) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٦/٢١٠-٢١٧.
(٨) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٧/١٦، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة،١/٥٩٩.
(٩) الزَّمخشري/ الكشَّاف، ٣/١١٣، ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٦/٢٠٨، السِّيوطيّ/ الدرُّ المنثور، ١٠/٢٨٣، الفيض الكاشانيّ/ الصَّافي، ٥/٢٧١، عبد الله شُبَّر/ نخبة الشَّرحين، ٢/٥٤٨، محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ١٤/٢٧٧، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١/٥٧٠، محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ٣/٧.
(١٠) الزَّمخشري/ الكشَّاف، ٣/١١٣، ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٦/٢٠٨، السِّيوطيّ/ الدرُّ المنثور، ١٠/٢٨٣، الفيض الكاشانيّ/ الصّافي، ٥/٢٧١، عبد الله شبّر/ نخبة الشّرحين، ٢/٥٤٨، محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ١٤/٢٧٧، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١/٥٧٠.

تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1]، فالملائكة لا يخالفونَ أمر الله سبحانه في زيادة أو في نقصان، ويفعلونَ ما يأمرهم به سبحانه في وقته بلا تقديم أو تأخير[2]، لذلك قال تعالى في حقّهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾[3]، لذلك فإنَّهم خير أسوة للإنسان في عبادته وتنزيهه في كلِّ ما لا يليق بجلاله والصَّلاة والسُّجود له وحده لا شريك له، كما شرَّع الله تعالى السُّجود عند تلاوة هذه الآية أو سماعها؛ اقتداءً بملائكة الله المقرّبينَ[4]، وذلك بيان لكمال عبوديَّتهم من حيث الآثار وصفاتها من جهة الخواص والتَّبعات، فحين ذكر كونهم عبادًا كان ظاهر ذلك إنَّ المراد بإكرامهم بالعبوديَّة لا بغيرها فيؤوَّل المعنى إلى إنَّهم عباد بحقيقة معنى العبوديَّة، ودليل ذلك صدور آثارها الكاملة عنهم[5]، ولهذا كرّر الإمام (عليه السلام) وأكّد صفاتهم، ليكون ذلك مثالًا يحتذي عليه أهل العرفان من البشر؛ فإنَّ أعلى درجات البشر أنْ يتشبَّه بالملَك وذلك بأمور منها: العبادة القائمة، وألَّا يدَّعي أحد لنفسه الحول والقوَّة، وأن يكون متواضعًا ذا سكينة ووقار، وأن يكون ذا يقين لا تقدح فيه الشُّكوك، وأن تستفرغه أشغال العبادة على غيره من الأشغال، وعِظَمُ الرَّجاء الواقع في مقابلة عِظَمُ الخوف؛ فإنَّ الله تعالى يحبُّ أن يُرجَى كما يحبُّ أن يُخاف، فهذا التفصيل في أوصاف الملائكة إنَّما هو لاعتبار النَّاس من البشر كما يتبيَّن من قياسها مع الأوصاف البشريَّة نفيًا أو اثباتًا[6].

اتَّضح ممَّا سبق أنَّ الملائكة عباد مكرمونَ أكرمهم الله تعالى بالعبوديَّة، كما إنَّهم لا يقولون شيئًا قبل أن يقوله سبحانه، ولا يعملون إلَّا ما أمرهم به تعالى، وبهذا فإنَّهم تابعون لربِّهم قولًا وعملًا، وهذا الذِّكر لأوصاف الملائكة ليكونوا مثالًا يُحتَذى بهم عند بني البشر للتّوجُّه بالعبوديَّة المطلقة لله سبحانه، وتنفيذ ما أمرهم الله به قولًا وعملًا واجتناب ما نهى عنه، وذلك من خلال استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

---

(١) ق/ ١٧.
(٢) العروسيّ/ نور الثَّقلين، ٤٢٤/٧.
(٣) الأعراف/ ٢٠٦.
(٤) محمَّد رشيد رضا/ تفسير المنار، ٥٥٨/٩.
(٥) محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ٢٧٦/١٤.
(٦) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٨٠/١.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، وهي من خُطَب الإلهيَّات[٣]، وتشتمل على عدَّة أقسام، أوَّلها: بيان قدرة الله تعالى وعظمته وعجز المخلوقات أمامه[٤]، وثانيها: في خلقة الملائكة وذكر صفاتها وخصائصها[٥]، وثالثها: عن غفلة العباد واقبالهم على الدنيا وابتعادهم عن دعوة الأنبياء[٦]، ورابعها: حول القيامة ومقدِّمات يوم الحساب وسؤال الإنسان عن أعماله وسعادة المؤمنينَ وتعاسة المذنبينَ وعاقبة كل منهما[٧]، وخامسها: عن النَّبيِّ الأكرم محمَّد (صلى الله عليه وآله) وزهده بالدُّنيا ورغبته عنها، وكونه القدوة الَّتي يجب الاقتداء بها[٨]، وسادسها: الكلام عن أهل البيت ووجوب اتباعهم وعظم منزلتهم[٩].

إنَّ أمير المؤمنينَ عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة خِلْقَة الملائكة وبيان مالهم من الطَّهارة والقُدس والفضائل الجمَّة الَّتي فُضِّلوا بها عن باقي نوع الإنسان، حيث إنَّهم لم يُخلَقوا من الماء المهين الَّذي خُلِقَ منه الإنسان وهو ماءٌ ضعيفٌ قليلٌ مراقٌ ومبذولٌ[١٠]، لأنَّهم لم يتناسلوا ولم يتكاثروا كما يتكاثر الإنسان[١١]، وفي ذلك إشارة إلى ارتفاعهم عن النَّقائص البشريَّة بدلالة أنَّهم لم يسكنوا أصلاب الرِّجال، ولا أرحام الأمَّهات ولم يتعرَّضوا لأيٍّ من العوارض المانعة من الاستغراق التَّامِّ والتَّوجُّه الكلِّيّ لشهود أنواع الحضرة الرُّبوبيَّة[١٢].

---

(١) السَّجدة/ ٨.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيُّ) / ١٨٢.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ١٠٩.
(٤) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٥٢٨/١، ظ: محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ١٤٢/٢-١٤٤، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٥٦/٤-٣٥٩.
(٥) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٥٢٨/١، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ١٤٦/٢.
(٦) المصدر نفسه، ٥٢٩/١، ظ: المصدر نفسه، ١٤٦/٢-١٥٠.
(٧) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٥٣٠/١، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٧٩/٤-٣٨٦.
(٨) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ١٥٥/٢، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٨٧/٤-٣٨٨.
(٩) المصدر نفسه، ١٥٦/٢، ظ: المصدر نفسه، ٣٩١/٤-٣٩٢.
(١٠) برهان الدِّين البقاعيّ/ نظم الدُرر، ٢٤٤/١٥، الخطيب الشَّربينيّ/ السِّراج المنير، ٢٠٥/٣، فيصل آل مبارك/ توفيق الرَّحمن، ٤٧٣/٣، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٦٢/٧، عبد الله محمود شحاته/ تفسير القرآن/ ٣٥٣٣.
(١١) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ١٤٦/٢.
(١٢) ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٦٢/٧.

وتلك كمالات يزيد الله فيها لمن يشاء من مخلوقاته[١]، بدلالة قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢].

أمَّا الإنسان فخُلِقَ من هذا الماء الضَّعيف المُمتَهن الَّذي لا يُعتَنى به وتناسله وتَولُّده لبقاء النَّوع الإنسانيّ[٣]، فيقول تعالى في محكم كتابه: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[٤]، وهذه حقيقة خلق الإنسان وتكوينه[٥]. وظاهر كون هذا الأمر نقْصٌ يلزم الحيوان العُنصريّ لاستلزامه التَّغيُّر ومخالطة المحال المُستقْذِرة ومعاناة الأسقام والأمراض وسائر الهيئات البدنيَّة المانعة عن التَّوجُّه إلى الله سبحانه، فكان سَلْب الملائكة عمَّا لا يجوز عليه من كمالاته[٦]، إذ الاستقرار في مكان محدود كصلب الأب ومن ثمَّ رحم الأم والخَلْقُ من قطرة ماءٍ تافهة لهو نقصٌ في الإنسان، وليست الحال في الملائكة كذلك، فلا زواجٌ ولا ولادةٌ كالإنسان كما أنَّها لا تموت ولا تتغيَّر بسبب الزَّمان ولا تمرض ولا تشيب ولا تعجز، ووجود مثل هذه المميّزات علامات شرفٍ في خِلقَة الملائكة[٧].

يظهر ممَّا تقدَّم أنَّ الله سبحانه وتعالى جعل الملائكة عبادًا مكرمينَ فهم يختلفون في خلقتهم عن خلقة الإنسان الَّذي خلقه الله سبحانه من الماء الضَّعيف المُبتذَل الَّذي لا قيمة له، أمَّا الملائكة فإنَّها ليست كذلك فإنَّها لم تُخْلَقْ من ذلك الماء المُراق ولم تتوالد ولم تتناسل ولا تتغيَّر أو تنتقل من حالٍ إلى حالٍ بتغير الأزمان بل كرَّمها الله تعالى إذ سلب عنها كلُّ العوارض المانعة من التَّوجُّه التَّامّ لله سبحانه، وإنَّ هذه الحقيقة الَّتي ذكرها أمير المؤمنينَ، عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) هي وليدة استنطاق النَّصّ القرآنيّ الَّذي فرَّق بين خلق الإنسان من (ماءٍ مهين)، وبين خلق الملائكة.

---

(١) عبد الله محمود شحاته/ تفسير القرآن/ ٣٦٨٦.
(٢) فاطر/ ١.
(٣) عبد الله محمود شحاته/ تفسير القرآن/ ٣٥٣٣.
(٤) الفرقان/ ٥٤.
(٥) محمَّد سليمان الأشقر/ زبدة التَّفسير/ ٣٦٤.
(٦) محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ١١٧/٣.
(٧) ناصر مكارم الشّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٦٢/٤.

المَبْحَثُ الرّابِعُ: اسْتِنْطَاقُ نُصُوصِ (حَقِيقَة اليَومِ الآخِرِ)

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، الدَّالة على العتاب والتقريع[٢]، وقد صدر عنه (عليه السلام) هذا الكلام بعد معركة صفّين، ويقصد فيه توبيخ أهل العراق على تركهم القتال بعد أن كاد النَّصر يتمُّ وتخاذلهم إلى التَّحكيم[٣]، وأبرز ما في ذلك هو تشبيههم بالمرأة الحامل الَّتي ألقت ولدها ميّتًا بعد انقضاء مدَّة الحمل[٤]، وأخبر عن تضجُّره من حاله معهم، ووبَّخهم على ما بلغه من تكذيبهم له، ثمَّ بيَّن بأنَّه (عليه السلام) يكيل لهم العلم والحكمة بدون أن يأخذ منهم ثمنًا، ومع ذلك يكذِّبونه، وإنَّه لو كان لهذا العلم الَّذي يُفيضه عليهم حَمَلَة يَعُونه ويقبلونه برحابة صدر وتصديق لأفادهم من العلوم كثيرًا، لكن لا وعاء صالح له[٥].

إنَّ الإمام علي (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ في مسألة المعرفة بحقيقة الخبر ولو بعد حين، سواء كان المراد من الحين: بعد الموت، أو المراد به: يوم القيامة[٦]، فلا منافاة بين القولينِ لأنَّ الإنسان إذا مات فقد دخل في حكم القيامة، فلا نفع حينئذ ممَّا عَلِموه إذ الحسرة والنَّدامة على ما فرَّطوا في جنب الله حيث لا تنفع إلَّا الأعمال الصَّالحة، وكان ذلك نتيجة جهلهم واعراضهم عمَّا أُمِروا به من الحكم والآراء الصَّالحة فانكشف لهم ثمرة ذلك بعد حين، وذلك عندما تزول عنهم غواشي أبدانهم وتطرح نفوسهم جلابيبها بالموت[٧]، أو يَتبيَّن لهم عاقبة فعلهم عند وقوع ما أُخبِروا به ويعلموا حينها صدق ما قيل لهم[٨]، فالآية الكريمة تضمَّنت تهديدًا للمعارضينَ[٩]، بأنَّهم سيعلمونَ الحقيقة بعد حين، وقد أشار سبحانه إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ۚ قُلْ

---

(١) ص/٨٨.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) /٩٩، د. صبحي الصالح / شرح نهج البلاغة/١٠٥.
(٣) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) /٩٩، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ١٩٥/٢، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/١٠٥.
(٤) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٣٥٠/١، ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٦٤/٦، محمَّد الحسيني الشّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٢٩٥/١.
(٥) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٦٧/٦، محمَّد الحسيني الشّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٢٩٨/١.
(٦) الطَّبريّ/ جامع البيان، ١٥٢/٢٠، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ١٩٨/٢، ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم، ٨٣/٧، شهاب الدّين محمود الآلوسيّ/ روح المعاني، ٢٣٠/٢٣، القميّ/ تفسير القُميّ، ٨٩٢/٣.
(٧) الطَّبريّ/ جامع البيان، ١٥٢/٢٠، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ١٩٨/٢.
(٨) الطَّبريّ/ جامع البيان، ١٥٢/٢٠، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ١٩٨/٢، محمَّد تقي التُّستريّ/ بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة، ٢٤٢/٦، محمَّد الحسينيّ الشّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٢٩٨/١.
(٩) شهاب الدّين محمود الآلوسيّ/ روح المعاني، ٢٣٠/٢٣، محمَّد الأمين الشَّنقيطيّ/ أضواء البيان، ٤٠/٧.

لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ۞ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[1]، وهذا دليل على إنَّ لكلِّ خبر حقيقة ووقوع، فإن كان حقًّا تبيَّن صدقه ولو بعد حين وإنْ كان كِذبًا تبيّن كذبه ولو بعد حين[2]، فالإمام عليّ (عليه السلام) يبيّن مقدار علمه بأنَّه لو ثُنِيَت له الوسادة لحكم بين كل طائفة حسب مذهبهم، وأنَّه يتمكَّن من الجواب عن كل سؤال[3]، وكان يقول: ((سلوني قبل أنْ تفقدوني))[4]، ذلك لبيان منزلته الَّتي خصَّها الله تعالى به[5]، كما قال النبيّ محمَّد (صلى الله عليه وآله): ((أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب))[6]، فكان (عليه السلام) عارفًا بحقائق الأمور وكليَّاتها وجزئيَّاتها وسيتبيَّن لهم صدق أقواله وما أخبر به بعد زمان وكان كما قال (عليه السلام) فكلُّ إخباراته ظهر صدقها، ولكن بعد فوات الأوان[7].

وظهر ممَّا تقدَّم أنَّ الإمام عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) عارفًا بحقيقة الخبر وما يُنبِّأُ به من العلم والمعرفة متحقِّق لا محال، وفي ذلك تهديد وتحذير من العلم بحقيقة الخبر ومعرفة صدقه ووقوعه بعد فوات الأوان؛ إذ ليس بعد ذلك إلَّا الحسرة والنَّدامة، وذلك التَّهديد المصرَّح به في نهج البلاغة قائم على استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

---

(١) الأنعام/٦٦-٦٧.
(٢) محمَّد الأمين الشَّنقيطي/ أضواء البيان، ٤١/٧.
(٣) محمَّد الحسيني الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٢٩٥/١.
(٤) الصَّدوق/ الأماليّ/٤٢٤.
(٥) محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٢٩٥/١.
(٦) المجلسيّ/ بحار الأنوار، ٢٠٥/٤٠.
(٧) محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٢٩٨/١.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، الدَّالة على التَّعليم والإرشاد[٣]، وقد اشتملت هذه الخطبة على عدة مطالب: تحدَّث في أوَّلها عن عظمة الله سبحانه وعجز العقول أمام عظمته والثَّناء عليه وحمده بذكر أسمائه وصفاته، فمن هذه الصِّفات إنه تعالى حيٌّ قيُّوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، لم ينته إليه بصر، ولم يدركه بصر وهو يُدرِك الأبصار، كما ذكر أوصاف هذا الحمد ليكون شاملًا من جميع النَّواحي[٤]، ثمَّ جرى الحديث عن الرَّجاء وحقيقته بصفته أحد أركان السَّعادة الإنسانية، وإنَّ الرَّجاء الصَّادق هو الرَّجاء المقرون بطاعة الله سبحانه والسَّير على سبيله للفوز برضاه[٥]، ثمّ تطرَّق إلى صفات الأنبياء (عليهم السلام) ذاكرًا زهدهم وتواضعهم، وجانب من صفات النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وأفعاله وأقواله الَّتي ينبغي التَّأسِّي بها من قبل الجميع، وأشار في خاتمة الخطبة إلى تواضعه (عليه السلام) وزهده في الدُّنيا وتحمَّل المشقَّة العاجلة رجاء الراحلة الآجلة[٦].

إنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة تبيين قدرة الله سبحانه الكاملة على الإنسان ومن ذلك قدرته على أن يأخذ المجرمين بنواصيهم وأقدامهم يوم القيامة ويسحبهم إلى النَّار[٧]، لأنَّه قادر لذاته ومتمكِّن من كلِّ مقدور[٨]، وهو سبحانه المالك لهذا الإنسان القادر عليه يتصرَّف فيه كيف يشاء ولا يمنعه من ذلك شيء[٩]، ومِّما يدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١٠]،فهو القادر على أخذ الإنسان بناصيته وبالأقدام

---

(١) الرَّحمن/٤١.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) /٢٥٨، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/٢٩٥.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/٢٩٥.
(٤) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٠٦/٩-١٠٨، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١٤٩/٦-١٥٣.
(٥) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٠٨/٩، ظ: محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٤٤٤/٢-٤٤٧، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١٥٨/٦.
(٦) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١١٠/٩-١١٣، ظ: محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٤٤٧/٢-٤٥٧.
(٧) النَّسفيّ/ التَّيسير في التَّفسير، ٢٠٤/١٤، ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٠٧/٩، البيضاويّ/ أنوار التَّنزيل، ١٧٤/٥، أحمد مصطفى المراغيّ/ تفسير المراغيّ، ١٢٠/٢٧، محمَّد الأمين الشَّنقيطيّ/ أضواء البيان، ٧٢٨/٧، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٠٧/٢، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١٥٣/٦.
(٨) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٠٧/٩.
(٩) الفيض الكاشانيّ/ الصَّافي، ١٥٦/١، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٨/٣.
(١٠) البقرة/٢٨.

أي من رأسه إلى قدميه بدون استثناء[١]، وهذا سبيل من سُبل الإهانة والنّكال والإذلال[٢]، وإنَّما أخذه هذا أخذ تمكُّن حيث لا يفلت منه كما تمسك اليد رجل الهارب أو كما يوضع القيد حيث لا يستطيع انفلاتًا[٣]، وذلك كناية عن كون النَّاس تحت قدرة الله (ﷻ) الكاملة[٤]، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٥]، لأنَّ من يأخذ بناصية شخص وقدمه يكون مسلَّطًا على المأخوذ أقوى سلطة[٦]، وهذا دليل على قصور الفكر المادِّي وبيان قدرة الله العليا الحاكمة على المادَّة والمادِّيَّات[٧].

واضحٌ ممَّا تقدَّم قدرة الله تعالى المطلقة على الخَلْق وإنَّ من مظاهر تلك القدرة أَخْذُ المجرمينَ بالنَّواصي والأقدام يوم القيامة وزجّهم في النَّار، لأنَّه تعالى قادر على كلِّ شيءٍ قدير، وهو خالق الإنسان ومالكه يتصرَّف فيه كيف ما أراد، فحقيقة قدرة الله سبحانه على إهلاك المجرمينَ في اليوم الآخر والَّذي ذكره أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) في نهج البلاغة قائم على استنطاق النَّص القرآنيّ.

(١) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٨/٣.
(٢) أحمد مصطفى المراغيّ/ تفسير المراغيّ، ١٢٠/٢٧.
(٣) محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ٢٦٣/٢٧.
(٤) محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٤٤٣/٢، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١٥٣/٦، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ الأمثل، ٩٢/١.
(٥) البقرة/٢٠.
(٦) محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٤٤٣/٢، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١٥٣/٦.
(٧) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٠٧/٢.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة أمير المؤمنينَ (عليه السلام) الدَّالة على الموعظة والتَّعليم والإرشاد[٢]، وقد ابتدأت هذه الخطبة بحمد الله والثَّناء عليه الَّذي أبان من بدائع الصُّنع في السَّموات والأرض، والشَّهادة بالوحدانيَّة ووصفها بأنَّها شهادة إيمان ويقين، ثمَّ الشَّهادة للنَّبيّ (صلى الله عليه وآله) بالعبوديَّة لله (عزَّ وجلَّ) وإنَّه رسول الله، ظهر بالحقّ الّذي عنده، وهدى إلى الرُّشد للوصول إلى مرضاة الله تعالى[٣]، ونبَّه النَّاس بأن يستيقظوا لأنَّه تعالى لم يخلقنا عبثًا ولم يتركنا هملًا، ثمَّ ذكر صفات الله (عزَّ وجلَّ) وقدرته العظيمة وقوَّته وإحسانه وفضله[٤]، وأوصى (عليه السلام) بتقوى الله وبيَّن بأنَّها المقود الّذي يمنع الإنسان من التَّردِّي في الضَّلال وإنَّها قوام الطَّاعات، وأمر بالتَّمسُّك بالأمور الشَّرعيَّة الّتي تقودنا إلى منازل العزّ في يوم القيامة ووصفه لهذا اليوم بأوصاف مرعبة لهوله وشدَّته[٥].

إنَّ الإمام عليًّا (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ لذكر وصف من أوصاف يوم القيامة بأنَّه (تشخص فيه الأبصار)، أي تبقى مفتوحة لا تطرف[٦]، ولا تغمض لهول ما ترى في ذلك اليوم ولشدَّة الحيرة والدَّهشة[٧]، وشخوص البصر حدَّة النَّظر وعدم استقراره في مكانه[٨]، ويقال شخص من بلده إذا خرج منها، أي: بعد والشَّخص في الأصل سواد الإنسان القائم المرئيّ من بعيد[٩]، فالظاهر في اعتبار الصِّيغة هو عدم الاستقرار في المكان لسفرٍ أو لقلق وعدم استقرار[١٠]، وفي ذلك إشارة لما يحدث في يوم القيامة من أهوال[١١]، كما قال تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ

---

(١) إبراهيم/٤٢.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) /٣٥٨، محمَّد عَبْدُه/ شرح نهج البلاغة، ٣٢٣/٢، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/٤١٦.
(٣) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة،٧٦/١٠-٧٧، عبَّاس علي الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٨٢/٣، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ١٨١/٣.
(٤) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة،٧٧/١٠-٧٨، عبَّاس علي الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٨٣/٣.
(٥) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة،٧٨/١٠، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ١٨٣/٣.
(٦) الواحديّ/ التفسير البسيط، ٤٩٤/١٢، إبن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٧٨/١٠، عبَّاس علي الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٨٥/٣، شهاب الدِّين محمود الآلوسيّ/ روح المعاني، ٢٤٥/١٣، محمَّد صدِّيق خان/ فتح البيان، ١٣٠/٧.
(٧) الواحديّ/ التفسير البسيط، ٤٩٤/١٢، عبَّاس علي الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٨٥/٣، شهاب الدِّين محمود الآلوسيّ/ روح المعاني، ٢٤٥/١٣، محمَّد صدِّيق خان/ فتح البيان، ١٣٠/٧.
(٨) ابن جزّيّ/ التَّسهيل لعلوم التَّنزيل، ٤١٣/١، شهاب الدِّين محمود الآلوسيّ/ روح المعاني، ٢٤٥/١٣، محمَّد صدِّيق خان/ فتح البيان، ١٣٠/٧.
(٩) شهاب الدِّين محمود الآلوسيّ/ روح المعاني، ٢٤٥/١٣، محمَّد صدِّيق خان/ فتح البيان، ١٣٠/٧، محمَّد تقيّ النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٣٣٢/١٣.
(١٠) شهاب الدِّين محمود الآلوسيّ/ روح المعاني، ٢٤٥/١٣.
(١١) محمَّد تقيّ النَّقويّ/ مفتاح السعادة، ٣٣٢/١٣، محمَّد جواد مغنيه/ في ظلال نهج البلاغة، ١٣٨/٣، محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة،٢٦٨/٣.

أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1]، فالمشهد فيه عنصر المفاجأة الَّتي تبهت المفجوئينَ، مما جعل ابصارهم لا تطرف من شدَّة الهول الَّذي فوجئوا به[2]، وشخوص البصر كناية عن دهشة الإنسان والمراد بها حركة الأبصار هنا وهناك لتجد ملجأً ومفرًا كما هو شأن الخائف[3].

يبدو ممَّا تقدَّم أنَّ من أهوال يوم القيامة إنَّه تشخص فيه الأبصار، أي: تبقى مفتوحة لا تغمض ولا تطرف ولا تتحرَّك من شدة الحيرة والدَّهشة والقلق لما في ذلك اليوم من الخوف والرُّعب وعدم الاستقرار، وتلك الإشارات إلى أهوال اليوم الآخر وما فيه من الخوف والرُّعب والحيرة الَّذي تطرَّق إليه أمير المؤمنينَ (عليه السلام) قائم على استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

(١) الأنبياء/٩٧.
(٢) سيّد قطب/ في ظلال القرآن، ٢٣٩٨/١٧.
(٣) محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة،٢٦٨/٣.

٤- قَالَ تَعَالَى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾(١)

وردت الآية الكريمة في خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) الدَّالة على التَّنفير والتَّزهيد في الدُّنيا(٢)، والتَّحذير منها وذلك بذكر معايبها وكونها معروفة بغدرها، وإنَّها لا تدوم أحوالها، وإنَّ التَّنعُّم والتَّلذُّذ فيها مذمومًا لأنَّه يؤدِّي إلى الغفلة(٣)، وكونها معهم على سبيل من قد مضى من القرون الخالية في سكون أحوالهم وخمول ذكرهم بعد العظمة في الصُّدور، وإنَّها قد بُنِيَت على خراب ما كان معمورًا من الأبدان والمساكن، وإنَّ ساكنها وإن اقترب محلَّه فهو غريب عن أهله، لأنَّ سكُّانها موحشينَ متشاغلينَ لا يستأنسونَ بالأوطان ولا يتواصلونَ تواصل الجِّيران(٤)، ثمَّ سألهم عن حالهم عند انتهاء آجالهم في يوم القيامة إذا بُعثِرت القبور وخرج منها أهلها(٥).

إنَّ الإمام عليًّا (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ للتَّذكير بالأهوال والأحوال الّتي تحدث في يوم القيامة حين تذوق كلّ نفس مؤمنة وجاحدة وشاكرة وكافرة جزاء ما عملت في حياتها الدُّنيا وتسلِّم إلى أربابها ما عليها من الحقوق بغير اختيارها(٦)، وفي ذلك اليوم وفي تلك الأوقات الصعبة الحرجة الحاسمة تطَّلع كلُّ نفس ما كانت قد عملت فتجده محضرًا مكشوفًا(٧)، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾(٨)، وعندها يرجع الإنسان إلى الله ويتزيَّف الباطل وتُردُّ الدَّعاوى الفاسدة الضَّالَّة ويظهر الحقُّ من الباطل والصَّحيح من الفاسد، وهذا تخويف لهم وتذكير بشدَّة ذلك اليوم ليفزعوا إلى العمل الصَّالح(٩)، وكلُّ ذلك في كتاب لم يترك عملًا صغيرًا ولا كبيرًا إلَّا أحصاه(١٠)، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا

---

(١) يونس/٣٠.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٤٠٦، محمَّد عَبْدُه/ شرح نهج البلاغة، ٣٦٢/٢، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٤٧٤.
(٣) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٨٢/٤، ظ: محمَّد تقي التُّستريّ/ بهج الصِّباغة، ٥٤٤/١١-٥٥٤.
(٤) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٨٣/٤، ظ: عبَّاس علي الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٦١/٤-٦٣، ظ: محمَّد تقي التُّستري/ بهج الصِّباغة، ٥٥٤/١١-٥٦٣.
(٥) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٨٤/٤، ظ: عبَّاس علي الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٦٣/٤-٦٤.
(٦) القرطبيّ/ الجامع لأحكام القرآن، ٤٨٨/١٠، ظ: السَّمين الحلبيّ/ الدُّر المصون، ١٩٢/٦-١٩٤، محمَّد رشيد رضا/ المنار، ٣٥٤/١١.
(٧) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٨٤/٤، عبَّاس علي الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٦٤/٤، محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليّة، ٧/٥.
(٨) الطَّارق/٩.
(٩) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٨٤/٤، عبَّاس علي الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٦٤/٤، محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ٧/٥.
(١٠) محمَّد صدِّيق خان/ فتح البيان، ٦٤/٨.

حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1]، ويظهر أثر عمل الإنسان وكسبه من خيرٍ وشرٍّ ونفعٍ وضرٍّ بما يرى من الجزاء كونه ثمرة طبيعيَّة لا شأن فيه لوليٍّ ولا شفيعٍ ولا معبودٍ ولا شريكٍ وفيه مواقف وأوقات لا سؤال فيها ولا جدال بل تُغنِي فيها دلالة الحال عن المقال[2]، وفيه كما قال (ﷻ): ﴿لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[3]،[4]وتلك هي محكمة المحشر الَّتي لا حكم فيها إلَّا لله تعالى إذ تُفنَى وتُمحَى فيها جميع ما في الأرض من الأصنام والمعبوداتِ المختلفة الَّتي جعلها الكفار شريكة لله كذبًا، لأنَّ القيامة هي ساحة ظهور كلِّ الأسرار الخفيَّة للعباد فلا تبقى أيَّة حقيقة إلَّا وتظهر نفسها لتحقيق حكمه العادل[5].

ظهر ممَّا سبق أنَّه عند مجيء يوم الحساب تطَّلع النُّفوس على ما قدَّمت وأسلفت في الدُّنيا من خيرٍ وشرٍّ وتردُّ إلى المولى الحقِّ دون ما اتَّخذت من دونه بالباطل وحينها لا تجد من ينصرها وذلك على سبيل التَّذكير بتلك الأحوال والتَّخويف بتلك الأهوال ليذكروا شدَّتها ويُسرعوا إلى الأعمال الصَّالحة.

---

(١) الكهف/٤٩.
(٢) محمَّد رشيد رضا/ المنار، ٣٥٤/١١.
(٣) الشُّعراء/٨٨-٨٩.
(٤) محمَّد تقي التَّستُّري/ بهج الصِّباغة، ٥٦٤/١١.
(٥) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ الأمثل، ٤٦٧/٥.

٥- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾[١]

وردت الآية المباركة في رسالة أمير المؤمنينَ علي بن أبي طالب (عليه السلام) لشريح بن الحارث قاضيه[٢]، وهذه الرِّسالة في القضاء[٣]، وهي تبيّن موقف الإمام (عليه السلام) من أحد قضاته حين اشترى على عهده دارًا غالية الثَّمن نسبيًّا، ومضمون الرِّسالة أنَّ الإمام (عليه السلام) يوبِّخ شريح على شرائه الدَّار، ثمَّ يكتب له سندًا، لكن هذا السَّند ليس كالأسناد المتداولة للدُّور والعقارات بل هو سند زاخر بالعبر يتضمَّن تغيُّر الدُّنيا وعدم الوثوق بها، وغفلة النَّاس، واغترارهم بزخارفها[٤]، وأنَّهم بعيدون عن حقيقة الأمر، وهو زوال ذلك كلَّه بعد رحيل الإنسان ووقوفه بين يَدي الله سبحانه، ولو أنَّ شريح اطَّلع على هذا السَّند الأخلاقي قبل شراءه الدَّار كما يقول الإمام (عليه السلام) فسوف يصرف النَّظر عن شرائها، وهو(عليه السلام) يوجِّه من تولَّى منصب القضاء، لابدَّ أن يعيش بعيدًا عن مطامع الدُّنيا والتَّكالب عليها، ويتَّخذ إلى ربِّه سبيلًا بعقله ليكون قدوة للنَّاس في هذا المجال[٥].

إنَّ الإمام عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ في بيان خسارة الكافرينَ وهلاكهم عند مجيء بأس الله[٦]، حيث غبنت صفقتهم ووضُع في بيعتهم الآخرة بالدُّنيا والمغفرة بالعذاب والإيمان بالكفر لأنَّهم جحدوا توحيد خالقهم واتَّخذوا من دونه آلهة يعبدونها من دون بارئهم[٧]، فحتى إيمانهم لا ينفع في ذلك الوقت -وقت تلبس العذاب-[٨]، وقطع الحكم بفصل القضاء بين أهل الحقِّ وأهل الباطل، وعندئذٍ يربح المحقُّون ويخسر المبطلونَ الغافلونَ في الدُّنيا[٩]، بدليل قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾[١٠]، فلا توبة تُقبَل إذا بلغت الرُّوح الحلقوم[١١]، ورأوا العذاب، وانقضت حياتهم وسلطانهم وصاروا إلى ترقّب عذاب خالد مستقبل نتيجة لكفرهم

---

(١) غافر/٨٥.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٤٢٥، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤١٦/١٤، محمَّد حسين الجلاليّ/شرح نهج البلاغة،١٦/٤، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٤٩٦.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٤٩٦.
(٤) ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السعادة، ٤١٨/١٤-٤٢٠، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/شرح نهج البلاغة،١٧/٤، ٢٣، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية،٢٩/٩.
(٥) ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السعادة، ٤٢١/١٤-٤٢٢، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية،٣٠/٩.
(٦) الطَّبريّ/ جامع البيان، ٣٧٤/٢٠، أبو حيَّان الأندلسيّ/ البحر المحيط، ٤٥٨/٧، المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٢/٣.
(٧) الطَّبريّ/ جامع البيان، ٣٧٤/٢٠.
(٨) أبو حيَّان الأندلسيّ/ البحر المحيط، ٤٥٨/٧، أحمد مصطفى المراغيّ/ تفسير المراغيّ، ١٠١/٢٤.
(٩) عبد الله شُبَّر/ نخبة الشَّرحين، ١٤٦٤/٣، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤٢١/١٤، محمَّد حسين الجلاليّ/شرح نهج البلاغة،٢٤/٤.
(١٠) غافر/٧٨.
(١١) أحمد مصطفى المراغيّ/ تفسير المراغيّ، ١٠١/٢٤.

وإنكارهم الحقَّ[1]، فإنَّ جميع أشكال الهيمنة والقدرة والثَّروات معرَّضة للزَّوال، وجميع الثَّروات والأموال سيبقى بعد الرَّحيل من هذه الدنيا وإنَّ ملائكة الموت هم المسؤولونَ عن كشف الخلل والفساد في الأملاك الدُّنيويَّة يوم القيامة عند موقف العرض والميزان[2]، وعند نزول العذاب بساحتهم سيفهم هؤلاء بأن رصيدهم في الحياة الدُّنيا لم يكن سوى الغرور والظنون والأوهام، ولم يبق لهم من دنياهم سوى التَّبعات والعذاب الإلهي الأليم، وهل ثمَّة خسران أكبر من هذا؟[3].

واضحٌ ممَّا تقدَّم أنَّ الخاسرينَ في يوم البعث والنُّشور هم الكافرونَ لأنَّهم جحدوا توحيد الله وقدَّموا الدُّنيا ونعيمها على الآخرة، فسيعرفونَ عند نزول العذاب بهم إنَّ الدُّنيا لم تكن إلَّا دار غرور وإنَّ الآخرة هي دار البقاء والخلود، وعندئذٍ لا تنفع توبة ولا إيمان؛ لأنَّه وقت الفصل بين أهل الحقِّ وأهل الباطل، وهذا ما أكَّده الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) من خلال استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

(١) محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ٢٢٣/٢٤.
(٢) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية،٤٠/٩.
(٣) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ الأمثل، ١٣٦/١٢.

خُلَاصَةٌ واسْتِنْتَاجٌ:

إنَّ نهج البلاغة في هذا الفصل عرضَ هذه المضامينَ، واستنطق القرآن فيها، فجاء مطابقًا لما طُرِحَ في النَّهج

١- اشتملت خُطب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) على نصوص قرآنِيَّة متعلِّقة بالله سبحانه كالنُّصوص المتضمِّنة صِفاته (عزَّ وجلَّ)، فالخبير هو العارف بظواهر الأمور وخفاياها، وإنَّ كلَّ ما ينبّئ به حقيقة لا شكَّ فيها، والظُّلم منفيٌّ عن الله سبحانه، وهذا يوجب التَّوجُّه إليه تعالى والتَّوبة من الذِّنوب.

٢- إنَّ الله سبحانه وتعالى ذو فضلٍ عظيمٍ على النَّاس، يُؤتي فضله من يشاء من عباده، فمن صَلُحَ عمله يرقى إلى أعلى مراتب القرب منه تعالى وذلك هو الثَّواب العظيم لنيل خير الدُّنيا والآخرة.

٣- إنَّ طلب الحاجة لا تكون إلَّا من ذي القدرة المطلقة الَّذي نتوجه إليه في دعائنا وطلب حوائجنا لأنَّه وحده القادر المُنعم الَّذي يعطي من يشاء ويمنع عمَّن يشاء.

٤- التَّوجه إلى الله تعالى، فهو الحاكم العادل، وفي ذلك ترغيب لجذب الإنسان إلى طريق الصَّواب المتمثِّل بالعبادة الحقَّة لله تعالى والتَّوبة إليه.

٥- بيان حقيقة القرآن الكريم بأنَّه ليس فيه تفريط ولا اختلاف ولا نقص، مشتمل على كل ما يحتاجه الإنسان من أمور الدّين والدُّنيا، وهو تبيان لكلِّ شيء، وما أُشكِل من معانيه يتم الرجوع فيها إلى السُّنة المطهّرة، يهدي للَّتي هي أقوم، فهو الطريق السَّليم إلى الهداية والأسلوب القويم في كافَّة الجوانب؛ لتفوّقه على سائر الكتب السَّماويَّة والشَّرائع السَّابقة في ميّزاتٍ كثيرة.

٦- ، ذِكْرُ الملائكة وأوصافهم للاقتداء بهم في العبوديَّة المطلقة لله سبحانه، وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه والتَّوجُّه إليه وحده، وكذلك ذِكْرُ حقائق عن اليوم الآخر للتَّرهيب والمسارعة نحو الأعمال الصَّالحة، والتَّحذير من معرفة الحقائق بعد فوات الأوان.

٧- بيان عاقبة المشبَّهة والمجسِّمة واعترافهم بخطئهم وندمهم؛ لأنَّهم لم يسمعوا آيات الله فكانوا في ضلالٍ مبين.

٨- يظهر في يوم القيامة عمل الإنسان ويتبيَّن أهل الطَّاعة وأهل المعصية؛ ليُثيبَ المُطيعينَ ويعاقبُ العاصينَ ويأخذهم من نواصيهم؛ فإنَّه تعالى وحده القادر على كلِّ شيءٍ قدير.

٩- إنه سبحانه يسوق المتَّقين العابدين لله وحده إلى الجنَّة على شكل جماعات، جماعة بعد جماعة تكريمًا وتشريفًا لهم.

مَدْخَلٌ إلَى الفَصْلِ الثَّانِي

كانت خطب وكلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) تلمع وتبرق بفضل القرآن الكريم، وتتناثر، كتناثر النُّجوم في كبد السَّماء، فيأتلق الكون، ويزدهر الوجود، ويزهو العالم بكلام خالقه رب العالمين. كان كلام الإمام (عليه السلام) عن القرآن وفي القرآن يستحق أن نقف عنده طويلًا لنعرفَ أثر ذلك في شخصيَّة من تربَّى في بيت النَّبيَ وربيب الوحي، واهتمامه به وشوقه له وشغفه به وتأكيده عليه وتوصيته به، حتى وهو على مشارف رحيله عن هذه الدنيا واستشهاده في سبيل الحقِّ والقرآن والإسلام.

تعدُّ الخطب الَّتي تناولت العبادات في نهج البلاغة ذاتَ أهميَّة كبيرة؛ لأنَّها تعرَّضت لأهمّ المواضيع الَّتي أخذت منحى أساسيًّا في بناء الانسان وسلوكه، والمتتبع لخطب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يجد فيها تراثًا ثريًا، وإن هذه الخطب تعقد اللِّواء بين المتضادَّاتِ الَّتي تلازم حياة المؤمن في رحلته في الحياة الدُّنيا، وتنظِّم العلاقة بين العبد والمعبود، وتجعله يتكيَّف مع الحياة، ويتأقلم معها في إطار تلك المبادئ الَّتي تؤكِّد في جوهرها مبدأ الثَّواب والعقاب.

وهناك ترابط وثيق بين العبادة والسُّلوك، والباري (عزَّ وجلَّ) بيَّن أهميَّة هذا التَّرابط ليُنبِّه الأمَّة من خلاله إنَّه لا خير في عبادة دون أخلاق أو دون سلوك قويم، والعبادة الحقيقيَّة لا بدَّ أن تكون ثمرتها الأخلاق الفاضلة، فإن انعدمت الأخلاق انعدمت العبادة، ومن هنا تتبيَّن أهميَّة طاعة الله سبحانه ووجوب عبادته؛ لأنَّها سبيل السَّعادة والفرح وسبيل كلِّ خير يعود على الأفراد والجَّماعات.

ومن أهمّ تلك العبادات الصَّلاة فإنَّها بركوعها وسجودها وأذكارها تطهِّر النَّفس من التَّكبُّر وتذكِّر بالاستقامة وتنهى عن الفحشاء والمنكر ووسيلة من وسائل التَّزكية، فلا بدَّ من الثَّبات عليها والصَّبر على مشَّاقِّها.

ولا يخفى ما للحجِّ من أثرٍ بالغٍ في سلوك الإنسان وأخلاقه، فالمسلم المخلص الصَّادق تراه دائم المحاسبة لنفسه، فيظهر أثر العبادة عليه صدقًا لا تصنُّعًا، ويحارب الشَّر ويدافع عن الأمَّة الإسلاميَّة ومقدَّساتها، ويطارد المعتدينَ لفسح المجال أمام انتشار الحقِّ والعدل، ويمتلك روحيَّة عمل المعروف والحثّ عليه، فذلك دليل على خُلُق فاعله وروحيَّته العالية، لذلك دعت الشَّريعة الإسلاميَّة إلى عمل المعروف، ووعدت عليه بالثَّواب بكلِّ ما هو جميل في الدُّنيا والآخرة.

وذلك كلُّه تناوله أمير المؤمنينَ (عليه السلام) بشكل دقيق ليوضِّح للنَّاس أهميَّة السُّلوك الحسن في تنمية الدِّين وتعزيزه عند الفرد، اذ يجب أن تنعكس العبادة على سلوك الانسان ومعاملته، فقد جاء هذا الفصل يبيّن بناء سلوك الانسان في عباداته.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: اسْتِنْطَاقُ نُصُوصِ (سُلُوكِيَّاتِ مَرَاتِبِ الطَّاعَةِ)

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۖ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾(١)

وردت الآية الكريمة في رسالةٍ لأمير المؤمنينَ (عليه السلام) كتبها للأشتر النَّخعيّ(٢)، وهي من الرَّسائل الَّتي تشتمل على الوصايا والتَّعاليم(٣)، وقد تضمَّنت عدَّة محاور منها: بيان أهميَّة المسؤوليَّة الملقاة على عاتق مالك الأشتر، والتنبيهات الأخلاقيَّة العامَّة في مجال الحكومة وتدبير الأمور، وتقسيم الرعيَّة وشرائح المجتمع المختلفة إلى عدَّة فئات وطوائف، والاهتمام الكبير فيما يتَّصل بالطَّبقات المحرومة(٤)، ثمَّ بيَّن ضرورة تعيين وقت للقاء ومواجهة عامَّة النَّاس، والانفتاح على العامَّة وفتح الباب لهم ولأرباب الحاجات، ووجوب اختيار متشاورينَ أقوياء من أهل الخبرة، والتَّصدِّي لكلِّ أنواع الرَّشوة والامتيازات الذَّاتيَّة، وأكَّد على الاهتمام بأمر الصُّلح مع العدوّ، وفي الوقت ذاته أَخْذُ جانب الحذر منه والابتعاد عن كلِّ أشكال سفك الدِّماء بلا دليل، كما أكَّد وجوب الاهتمام بأمر إقامة الفرائض الدِّينيَّة لعامَّة النَّاس، وأخيرًا الدُّعاء لتحقيق النَّجاح والتَّوفيق في أداء المسؤوليَّات والاستمداد من الله سبحانه في هذا الشَّأن(٥).

إنَّ الإمام عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في توضيح طرق حلِّ المشكلات بالرّجوع إلى الله والرَّسول، والأمر بلزوم طاعة الله فيما أمر به ونهى عنه وطاعة الرَّسول أيضًا وأولي الأمر(٦)، فطاعة الله تعالى متمثِّلة بالآيات القرآنيَّة المُحكمَة الَّتي لا شكَّ ولا شُبهة في مفهومها وتفسيرها، وطاعة الرَّسول هي طاعة الله، وامتثال أوامره هو امتثال لأوامر الله، وطاعة الرَّسول (صلى الله عليه وآله) واجبة في حياته وبعد مماته، وأولي الأمر هم الأئمَّة من آل محمَّد (صلى الله عليه وآله) أوجب الله طاعتهم بالإطلاق، والرَّدّ إلى الأئمَّة القائمينَ مقام الرَّسول بعد وفاته، هو نفس الرَّدّ إلى الرَّسول (صلى الله عليه وآله) في حياته؛ لأنَّهم الحافظون لشريعته وخلفاؤه في أمَّته فجروا مجراه فيه(٧)، فكلٌّ من وَلِي أمر

---

(١) النِّساء/ ٥٩.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٥٠٨، ظ: د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٥٨٩-٦١٧.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٥٨٩-٦١٧.
(٤) ظ: أبن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٤/١٧-٢٦، ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤١٥/١٥-٤٦٩، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٨٧/١٠.
(٥) ظ: أبن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٧/١٧-٦٣، ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤٧٠/١٥-٥٦٢.
(٦) العيَّاشيّ/ تفسير العيَّاشيّ، ٤٠٤/١، الطَّبرسيّ/ مجمع البيان، ٩٦/٣، ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٦/١٧، أبو حيَّان الأندلسيّ/ البحر المحيط، ٢٩٠/٣.
(٧) الطَّبرسيّ/ مجمع البيان، ٩٦/٣، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٨٢/١٠.

شيءٍ ولاية صحيحة تجب طاعته، فحتَّى المرأة يجب عليها طاعة زوجها، والعبد مع سيّده، والولد مع والديه، واليتيم مع وصيّه فيما يُرضي الله وله فيه مصلحة[1]، فما يشكل عليك من أمر دينك ويشتبه عليك فلا تقل فيه من عند نفسك بل ردَّه إلى الله ورسوله فالآية صريحة في المدَّعى، والرَّدُّ إلى الله معناه: الأخذ بمحكم كتابه والرَّدُّ إلى الرَّسول معناه: الأخذ بسنته الجامعة للسَّعادة في الدَّارين غير المفرّقة للآراء فإنَّ المفرّقة لها ليست بسنَّته الواقعيَّة[2]، أمَّا أولوا الأمر فهو الإمام المعصوم المنصوص عليه من قبل الرَّسول، كما إنَّ كلّ متصدٍّ لأمر الحكومة فهو أولوا الأمر يجب على النَّاس طاعته وردُّ المعضلات والمشتبهات إليه[3] فعن أبي بصير قال: سألت الإمام الصَّادق (عليه السلام) عن قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، فقال (عليه السلام): ((نزلت في عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين ... فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ألا من كنت مولاه فعليّ مولاه، وقال: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي فإنّي سألت الله (عزَّ وجلَّ) أنْ لا يفرّق بينهما حتَّى يردَّهما على الحوض فأعطاني ذلك))[4]، كما إنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[5]، تأكيد على تقرير ولاية الله ورسوله والمؤمنينَ[6]، وبناءً على ذلك فإنَّ المرجع فيما تختلف فيه وجهات النَّظر في المسائل الطَّارئة المتجدّدة والقضايا الَّتي لم ترد فيها أحكام نصّية هو الله سبحانه ورسوله الكريم (صلى الله عليه وآله)، وبهذا يبقى المنهج الرَّبانيّ مهيمنًا على ما يطرأ على الحياة من مشكلات وقضايا أبد الدَّهر في حياة الأمَّة المسلمة، وتمثِّل هذه القاعدة نظامها الأساسيّ الَّذي لا تكون مؤمنة إلَّا به، ولا تكون مسلمة إلَّا بتحقيقه[7]، فالاعتصام بالسُّنَّة النَّبويَّة في المشتبهات والرَّد إلى الله ورسوله وأولي الأمر من موجبات تلاحم الشَّعب مع الحكم القائم والقرار الصَّائب في الحكم، لأنَّ الإسلام لم ينجح على الشِّرك، ولا يستقيم إلَّا بهذا التَّلاحم التَّام الواضح من السِّيرة النَّبويَّة بين الرَّسول القائد والمسلمين[8].

فالإمام عليّ (عزَّ وجلَّ) بيَّن وظيفة مالك الأشتر فيما يتَّصل بأحكام الشَّرع، وطريق الكشف عن الأحكام الإلهيَّة المتعلِّقة بالجيش والحرب والصُّلح وسائر المسائل الَّتي تتَّصل بشأن الحكومة وإدارة البلاد، حيث يدعوه الإمام (عليه السلام) للاجتهاد في الأحكام الإلهية من خلال الاستفادة من المنابع الأصليَّة؛

(١) أبو حيَّان الأندلسيّ/ البحر المحيط، ٢٩٠/٣.
(٢) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤٧٢/١٥، محمَّد حسين الجلابيّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٠٨/٤.
(٣) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤٧٢/١٥.
(٤) الحاكم الحسكانيّ/ شواهد التَّنزيل، ١٩١/١.
(٥) المائدة/ ٥٥.
(٦) محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ٢٣٩/٦.
(٧) سيد قطب/ في ظلال نهج البلاغة، ٦٨٧/٢.
(٨) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٠٧/٤.

لأنَّه يرى فيه القابليَّة لمثل هذا الاستنباط الشَّرعيّ، وهذه إشارة إلى إنَّ كلَّ حكم مُشكِل ومعقَّد يواجهه الإنسان لا بدَّ له لحمله من مراجعة الكتاب والسُّنَّة، فالإنسان المؤمن يجب عليه سواء في الأمور الهامَّة أم في الأمور العاديَّة الرّجوع إلى نصوص الكتاب أو السنَّة فيما لو واجه مشكلة في حكم من الإحكام الشَّرعيَّة فيستوحي من النُّصوص الشَّريفة الحلول لتلك المشاكل(١).

ويبدو ممَّا تقدَّم أنَّ الإمام عليًّا (عليه السلام) يأمر بالرَّد إلى الله تعالى المتمثِّل بمحكم كتابه العزيز الَّذي لا شُبهَة فيه، وإلى الرَّسول الأكرم المتمثِّل بالسُّنة المطهَّرة، وإلى أولي الأمر وهم الأئمَّة المعصومون (عليهم السلام)، فإنَّهم المرجع فيما يطرأ على الإنسان من مشكلاتٍ وما يستجدُّ من مسائلَ وأمورٍ، لذلك تجب طاعتهم؛ لأنَّهم القرار الصَّائب في الحكم، والحلَّ الأمثل لكلِّ ما يواجه الإنسان في حياته.

(١) ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٨٢/١٠.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، الدالَّة على التَّعليم والارشاد[٣]، وابتدأت بتعريف أحبَّ العباد إلى الله، وإنَّ كلَّ مؤمن صالح يحبُّ هذه الدَّرجة الرَّفيعة، وذكر الصِّفات الَّتي تستلزم الحُبَّ الإلهيّ والَّتي تكشف عن شخصية العبد الَّذي هو أحبُّ العباد إلى الله سبحانه[٤]، ثمَّ سرد صفات الفسَّاق مدَّعي العلم المبغوضينَ عنده تعالى من الجهال الَّذين انتسبوا إلى أهل العلم ونسبوا أنفسهم إليهم وهم ليسوا من أهل العلم[٥]، ثمَّ تطرَّق إلى ذكر عترة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وهم البديل الحاضر لمدَّعي العلم وذكر صفاتهم الَّتي توجب اتِّباعهم في معرفة الأحكام الاسلاميَّة[٦]، ودورهم في نشر سنَّة النَّبيّ (صلى الله عليه وآله) الَّتي ورثوها عنه وطبَّقوها في حياتهم جيلًا بعد جيل[٧]، ثمَّ بيَّن إنَّ الحقائق لا بدَّ لها وأن تظهر وتحكم القلوب وإنَّ الباطل له فترة محدودة وينتهي أمده، إذ للحقِّ دولة وللباطل جولة[٨].

إنَّ أمير المؤمنينَ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ لتنبيه الفُسَّاق وتوبيخهم بسبب مذهبهم في غير سبيل الحق الَّذي ظهر لهم بدلائله الواضحة[٩]، فسألهم عن أيِّ طَّريقٍ يسلكونه أبين من الطريق الَّذي بُيِّنَ لهم[١٠]، وهذا من أحسن اللَّازم وهو أنْ تبيّن للسَّامع الحقِّ ثمَّ تقول له: ماذا تقول خلاف هذا؟ وأين تذهب خلاف هذا؟ كما قال (عزَّ وجلَّ): ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[١١]، فالأمر منحصر في الحقِّ والباطل والهدى والضَّلال، وعند العدول عن الهدى والحقِّ فأين العدول وأين المذهب[١٢]، مع كون الحجج واضحة والأعلام قائمة للإرشاد والهداية والآيات بيّنة، وفي ذلك دلالة وتصريح

---

(١) التَّكوير/ ٢٦.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ١٣٠.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ١٣٨.
(٤) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٤١٩/١، المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٢٤٢/١، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥١٥/١-٥١٩.
(٥) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٤١٩/١، المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٢٤٣/١.
(٦) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٤٢٠/١، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٢١/١.
(٧) المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٢٤٣/١، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٢٢/١.
(٨) المصدر نفسه، ٢٤٣/١، المصدر نفسه، ٥٢٤/١.
(٩) السَّمعانيّ/ تفسير القرآن، ١٧٠/٦، ابن قيّم الجوزية/ الضَّوء المنير، ٢٩٠/٦، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٢٣٤/٧، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٦١/٦، محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ٢٣٢/٢.
(١٠) ابن قيّم الجوزية/ الضَّوء المنير، ٢٩٠/٦، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٢٣٤/٧، سيّد قطب/ في ظلال القرآن، ٣٨٤٣/٦، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٦١/٦، محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ٢٣٢/٢.
(١١) المرسلات/ ٥٠.
(١٢) ابن قيّم الجوزية/ الضَّوء المنير، ٢٩٠/٦.

بأنَّهم كانوا على غير مذهب الحقِّ وهذا هو الوجه في توبيخهم وتخطئتهم؛ لأنَّ أكثر النَّاس بعد النَّبيُّ محمَّد (ﷺ) رجعوا وارتدُّوا عن طريق الحق وأخذوا بما تهوى أنفسهم من تعيين الخليفة، فقوله (عليه السلام) إشارة إلى إنَّ هذا الطَّريق الَّذي اتَّخذتموه مذهبًا ليس بالطَّريق الصَّحيح[1]، وليس هناك مسلك يسلكونه أو حجَّة يقولونها بعد أن سوت عليهم الحجج والبراهين وبطلت جميع المفتريات الَّتي يفترونها[2]، وهذا يوجب ملازمة أئمَّة الدِّين وأعلام اليقين وسلوك طريقهم، واقتباس أنوار الحقِّ منهم؛ كونهم القادة الهداة الأذلَّاء على طريق النَّجاة، وكون لزومهم باعثًا على التَّقوى، ومُحصِّلًا للقربى، وهؤلاء القادة هم عترة النَّبيِّ (ﷺ)[3].

وواضحٌ ممَّا تقدَّم إنكار الإمام (عليه السلام) ما ذهب إليه أهل الضَّلال من تيه وعمى عن الحقِّ وتوبيخهم لما هم عليه من طريق جائر مع وجود الأدلَّة الواضحة والبراهين السَّاطعة والآيات الظَّاهرة للأخذ بطريق الحقِّ والصَّواب والسِّلوك إلى الله تعالى والاقتداء بأئمَّة الدِّين (عليهم السلام) الَّذين يمثِّلون عترة النَّبيِّ (ﷺ)، فتنبيه الإمام (عليه السلام) وتوبيخه للفُسَّاق، وإنكاره عليهم ذلك مستندٌ إلى استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

(١) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٢٣٦/٧.
(٢) محمَّد محمود حجازيّ/ التَّفسير الواضح، ٨٣١/٣، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٢١/١.
(٣) ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٦١/٦، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٢١/١، محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ٢٣٢/٢.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، الدالَّة على الأحكام الشَّرعيَّة[٣]، واستفتح الكلام بالصَّلاة والزَّكاة وهما مسؤوليَّتان متلازمتان لا يمكن التَّفكيك بينهما في إداء السِّلوكيَّة الإسلاميَّة[٤]، ثمَّ عقبهما بإداء الأمانة الَّتي هي جزء من المسؤوليَّة الإسلاميَّة كالصَّلاة والزَّكاة مبيّنًا عظم هذه المسؤوليَّة[٥]، وختمها بحدود علم الله تعالى الواسع بأعمال العباد بما في ذلك من نيَّاتهم في الأعمال من حبِّ النَّفس وعدمه، وإن كان ثوابه وعقابه على الأعمال، ولكنَّ النيَّات لها أثرها في نفس الإنسان ودرجات القبول[٦].

إنَّ الإمام عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة الأمانة الَّتي اختار الإنسان حملها ظلمًا لنفسه وجهلًا بها، وهذه الأمانة هي العبادة والطَّاعة المطلوبة من الإنسان بما هو إنسان، وظاهرًا إنَّها لا يمكن من غيره، لأنَّه إنَّما حملها من حيث كونه مستصلحًا لدينه، وتضييع هذه الأمانة تنبيهًا للإنسان على جرأته على المعاصي، وجهله بعظمة الله تعالى وبغاية هذه الأمانة وتقصيره في إداء واجباتها المستلزم لعقوبته واستحقاق سخط الله، وبذلك ظلم نفسه، لعدم محافظته على هذه الأمانة ولجهله بأسرارها وغفلته عمَّا يستلزمه فعله وتركه[٧]، لقلَّة حيلته وضعف قوَّته، حيث وضع الشَّيء في غير محلِّه لما غطَّى من شهواته على عقله، وغلب جهله على حلمه فأوقعه في الظُّلم[٨]، والله سبحانه وتعالى نهى عن خيانة الأمانة بترك الأعمال الَّتي ائتمن الله عليها العباد حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٩]،[١٠]، وذلك ينطبق على غالب أفراده الَّذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السَّليمة أو اعترافهم السَّابق دون

---

(١) الأحزاب/ ٧٢.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٣٦٨.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٤٣٠.
(٤) ظ: ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٣٣/٣-٤٣٥، ظ: محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ١٨٨/٤-١٩١.
(٥) ظ: ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٣٥/٣-٤٣٧، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٠٦/٣، ظ: محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ١٩١/٤-١٩٤.
(٦) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٣٨/٣، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٠٨/٣.
(٧) ظ: ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٣٥/٣-٤٣٨، أبو السُّعود العماديّ/ ارشاد العقل السَّليم، ١١٩/٧، محمَّد حسين فضل الله/ من وحي القرآن، ٣٦٢/١٨، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٠٧/٣، محمَّد بن حبيب الله/ التُّحفة العليَّة، ١٩٤/٤.
(٨) برهان الدِّين البقاعيّ/ نظم الدُّرر، ٤٢٦/١٥، أبو السُّعود العماديّ/ ارشاد العقل السَّليم، ١١٩/٧.
(٩) الأنفال/ ٢٧.
(١٠) السِّيوطيّ/ الدُّرُّ المنثور، ٩٣/٧.

من عداهم من الَّذين لم يبدِّلوا فطرة الله تبديلًا[1]، لأنَّ الله سبحانه وتعالى منح الإنسان القدرة والإرادة والعقل وميَّزه بذلك عن جميع الكائنات وأهَّله لتحمُّل المسؤوليَّة في دين الله الَّذي بيَّنه على لسان أنبيائه، وعليه فحمل الإنسان للأمانة يعني إنَّ فيه كلَّ الصِّفات والشُّروط الَّتي تؤهِّله للخطاب بالدِّين والتَّكليف بالحلال والحرام واستحقاق العقاب إن قصَّر وأهمل؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى لم يترك له من عذرٍ يتعلَّل به حيث قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾[2]،[3].

ويبدو ممَّا تقدَّم أنَّ حمل الإنسان للأمانة نتيجة جهله بعظم المسؤوليَّة وبالتَّاليّ ظلم نفسه، لأنَّ المراد من الأمانة العمل بالواجبات وترك المحرَّمات والوفاء لدين الله وعبادته تعالى وحده، وذلك يدلُّ على عظم مسؤوليَّة الأمانة، والتَّقصير في إداء تلك الواجبات يعني جرأة الإنسان على المعاصيّ المستلزم للعقوبة واستحقاق سخط الله (ﷻ)، وذلك ما أكَّده الإمام من خلال استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

(١) أبو السُّعود العماديّ/ ارشاد العقل السَّليم، ١١٩/٧، ابن عثيمن/ تفسير القرآن الكريم/ ٥٣٦.
(٢) الطَّلاق/ ٧.
(٣) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٢١٠/٣.

٤- قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، الدالَّة على الوصف[٣]، وتتضمَّن صفات الذَّات المقدَّسة من حيث أنَّه سبحانه لا تدركه الشَّواهد ولا تحجبه السَّواتر، وإنَّ له العظمة والسُّلطان حاكم على جميع المخلوقات[٤]، ثمَّ بيَّن صفات النبيِّ محمَّد (صلى الله عليه وآله) وخصائص رسالته الخاتمة[٥]، ثمَّ ذكر صفة خلق أصناف من الحيوان مبيّنًا إنَّ هذه الخصائص الموجودة في أصغر الحيوانات تدعو للتَّدبُّر والتَّأمُّل[٦]، ثمَّ أشار إلى مخلوقات الله تعالى في الكون كالسَّماء والهواء والشَّمس والقمر وغير ذلك[٧]، موضِّحًا إنَّ كلَّ هذه الآثار يُستدَلُّ بها على وجود الله سبحانه[٨].

إنَّ الإمام عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ للإقرار بخضوع من في السَّموات والأرض لله سبحانه تعالى طوعًا وكرهًا، فمن آمن يسجد لله طائعًا ومن كفر يسجد له كارهًا[٩]، كالذي يُجبَر على الإسلام، ومن لم يسجُد فظلُّه يسجُدُ له بالغداة والعشيِّ[١٠]، لقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[١١]، وهذا يوجب على العاقل أن يطيع ربَّه ولا يعصيه بنقض ما عهِد إليه يوم الميثاق[١٢]، فالباري (عزَّ وجلَّ) تسجد له جميع الكائنات، وله تذلُّ وتخضع الوجوه والنُّفوس وجميع من في السَّماء والأرض يكون تحت قدرته سبحانه مستسلمًا ضعيفًا يعطيه القياد ويسلِّمه زمام أمره خوفًا منه وفزعًا من

---

(١) الرَّعد/ ١٥.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٣١٥.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٣٦٠.
(٤) ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢١٨/٣-٢١٩، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٥٣/٣.
(٥) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٢٠/٣، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٦٢/٣.
(٦) ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٢١/٣-٢٢٣، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٥٨/٣، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٦٦/٣-٦٩.
(٧) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٢٣/٣، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٦١/٣.
(٨) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٦٢/٣، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٧١/٣-٧٤.
(٩) الهوَّاريّ/ تفسير كتاب الله العزيز، ٣٠١/٢، هاشم البحرانيّ/ البرهان، ٢٦٢/٤، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٢٥/٣، محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ٣٢٢/١١، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٧٣/٣.
(١٠) هاشم البحرانيّ/ البرهان، ٢٦٢/٤.
(١١) آل عمران/ ٨٣.
(١٢) إسماعيل حقّيّ/ روح البيان، ٥٧/٢.

سلطانه[1]، وسجود المؤمن يكون اختيارًا في حال الشِّدَّة والرَّخاء، أمَّا سجود الكافر والمنافق فيكون اضطرارًا في حال الشِّدَّة فقط كالَّذي لا يصلِّي إلَّا خوفًا[2]، فالواجب هو الخضوع والتَّذلُّل لله سبحانه وتعالى والانقياد لأمره في جميع الأحوال لا في حالٍ دون حالٍ[3]، وهذا إقرار بالقدرة العليا الَّتي إليها تنتهي كلَّ العِلل والأسباب الحاكمة في الكون بأسره، ونتيجة هذا السُّجود يمثِّل غاية الخضوع بالاعتراف بالعجز في تفسير ما يراه في الطَّبيعة من أسرارٍ وحكمٍ، كما إنَّ المؤمن والكافر سواء في الانقياد للأمر للواقع من الآثار والأسرار الطَّبيعيَّة الكامنة في الكون رهبة منها، وآثارها وإن تختلف نتيجة هذه الرَّهبة في المؤمن بالإيمان والاعتقاد، والكافر بالجرأة في القرار[4].

ظهر ممَّا سبق إنَّ الله سبحانه وتعالى يسجد له جميع من في السَّموات والأرض، وتخضع وتتذلَّل له جميع الكائنات طوعًا في حالة الشِّدَّة والرَّخاء من العارفين وكرهًا في حالة الشِّدَّة من الجاهلينَ، وهذا يدلُّ على قدرة الله تعالى وسلطته، وعجز المخلوقات من إدراك ما في الطبيعة من الأسرار والحِكَم، والاعتراف بضُعف المخلوقات أمام هذه القُدرة.

(١) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٢٥/٣.
(٢) محمَّد بن يوسف/ هميان الزَّاد/ ١٧٢٥، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٧/١١.
(٣) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٦٢/٣.
(٤) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٧٣/٣.

المَبْحَثُ الثَّانِي: اسْتِنْطَاقُ نُصُوصِ (سُلُوكِيَّاتِ عِبَادَةُ الصَّلَاةِ)

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة أمير المؤمنينَ (عليه السلام) الدَّالة على الأحكام الشرعيَّة[٢]، حيث أوصى (عليه السلام) في هذا الموضع من الخطبة بالصَّلاة، وأشار إلى الإكثار منها والمحافظة عليها والتَّقرُّب بها إلى الله[٣]، وبيَّن عقوبة تارك الصَّلاة بأنَّ مصيره إلى النَّار للدَّلالة على أهمَّية الصَّلاة[٤]، وإنَّها تحول دون الذِّنوب في المستقبل، كما إنَّها تؤثِّر في الذِّنوب السَّابقة، وتقضي على المعاصي وتُحرِّر الإنسان منها، ثمَّ ذكر بأنَّ الرَّسول (صلى الله عليه وآله) شبَّهها بعين الماء الحارَّة؛ لما لها من آثار في القضاء على الأدناس[٥]، ثمَّ بيَّن إنَّ من يعرف حقَّها هم أُمناء نور الله الذِّينَ لم تستهوهم زخارف الحياة الدُّنيا أو تصدَّهم عن ذكر الله والإحسان إلى خَلقِه، وأخيرًا أشار إلى سيرة النَّبيّ المقتبسة من القرآن الكريم، لبيان مدى تأثير الصَّلاة في تهذيب الإنسان وسعادته إلى جانب المخاطر الَّتي يستبطنها الابتعاد عن الصَّلاة والحرمان من بركاتها[٦].

إنَّ الإمام عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ في ذكر حكم شرعيّ عن كون الصَّلاة كتابًا موقوتًا على المؤمنينَ، أي: فرضًا وواجبًا في أوقات معلومة[٧]، وتوقيت الصَّلاة بأوقات خمس في نهاية الحُسْنِ نظرًا إلى المعقول؛ لأنَّ الحوادث لها مراتب خمس هي: مرتبة الحدوث، ومرتبة الوقوف، ومرتبة الكهولة، ومرتبة الشَّيخوخة، والأخيرة تبقى آثاره بعد موته مدَّة ثمَّ تُمحى، وهذه المراتب حصلت للشَّمس بحسب طلوعها وغروبها؛ لذلك أوجب الله تعالى عند كل مرتبة من أحوالها الخمس صلاة، وعيَّن أوقاتها للعبادة والإقبال على المعبود الحقِّ تعالى[٨]، وهذه

---

(١) النِّساء/١٠٣.

(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) /٣٦٧، محمَّد عَبْدُه/ شرح نهج البلاغة،٣٣١/٢، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٤٣٠.

(٣) البيهقيّ/ معارج نهج البلاغة،٦٣٥/١، ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤٢٨/١٣-٤٢٩، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٥٥٢/٧.

(٤) المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٣٨٧/٢، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤٣٠/١٣، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٥٥٥/٧.

(٥) المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٣٨٧/٢، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤٣٢/١٣.

(٦) ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤٣٢/١٣-٤٣٥، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٥٥٧/٧.

(٧) أبو حيَّان الأندلسيّ/ البحر المحيط، ٣٥٦/٣، النيسابوري/ غرائب القرآن/ ٤٩٠، أحمد مصطفى المراغيّ/ تفسير المراغي، ١٤٣/٥، محمَّد عزَّت دروزة/ التفسير الحديث، ٢٢٢/٨، ميرزا بن حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٩١/١٢، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٥٥٥/٧، عبَّاس عليّ حسين الفحَّام/ الأثر القرآنيّ في كتاب نهج البلاغة/ موقع إسلام أون لاين.

(٨) أبو حيَّان الأندلسيّ/ البحر المحيط، ٣٥٦/٣، النيسابوري/ غرائب القرآن/ ٤٩٠.

الأحوال أمور عجيبة لا يقدر عليها إلَّا خالقها وخالق كلِّ شيء، وممَّا يدُّل على أوقات الصَّلاة ووجوبها قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾[2][3]، فالصَّلاة من أعظم الواجبات الشَّرعيَّة وأشرفها وأفضلها بحيث إن قُبلَت قُبِل ما سولها وإنْ رُدَّت رُدَّ ما سواها، وهي عمود الدِّين وأوَّل ما ينظر فيه من عمل ابن آدم فإنْ صحَّت نظر في عمله، وإنْ لم تصُحّ لم يُنظَر في بقيَّة عمله[4]، والحكمة من توقيتها بتلك الأوقات المعلومة؛ إنَّ الأشياء إذا لم يكن لها وقت معيَّن لا يحافظ عليها الكم الغفير من النَّاس، إلى ما في هذا النَّوع من الذِّكر المُهذِّب للنَّفس من التربية العمليَّة للأمَّة الإسلاميّة بأنْ تلتزم إداء أعمالها في أوقات معيَّنة مع عدم الهوادة فيها، ومن قصَّر في تلك الأوقات الخمسة في اليوم واللَّيلة فهو جدير بأن ينسى ربَّه ويغرق في بحار الغفلة[5]، فالآية المباركة فيها ترغيب للمؤمنينَ على الصَّلاة في أوقاتها المعلومة الثَّابتة، وليس التَّعجيل قليلًا أو التَّأخير قليلًا بالَّذي يضرُّ ما لم تضيّع تلك الإضاعة، فإنَّ الله تعالى يقول لقومٍ: ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[6]، وتخصيص المؤمنينَ بالذِّكر لتحريضهم وترغيبهم على حفظها، وحفظ أوقاتها في حالتي الأمن والخوف، ومراعاة جميع حدودها في حال الأمن، وايماء بأنَّ ذلك من مقتضى الإيمان وشعار أهله فلا يجوز أنْ تفوتهم، كما إنَّ التَّساهل فيها يخلُّ بالإيمان، وإنَّهم هم المنتفعونَ بها لعدم صحَّتها من غيرهم[7].

ظهر ممَّا سبق أهميَّة الصَّلاة وكونها فرضًا واجبًا وكتابًا ثابتًا على المؤمنينَ يجب أداؤها في أوقاتها ولا يجوز التَّهاون فيها، أو التَّسويف في أوقاتها؛ لأنَّها عمود الدِّين وركن من أركان الإيمان، لذلك ينبغي مراقبتها بدقَّة، وإتيان كلِّ صلاة في وقتها، وبيان هذه الحقيقة الَّتي أوردها أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) في نهج البلاغة قائم على استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

---

(١) هود/ ١١٤.
(٢) الإسراء/ ٧٨.
(٣) النيسابوري/ غرائب القرآن/ ٤٩٠، محمَّد الأمين الشَّنقيطيّ/ أضواء البيان، ٤٨٦/١.
(٤) ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤٢٥/١٣-٤٣٠.
(٥) أحمد مصطفى المراغيّ/ تفسير المراغي، ١٤٤/٥.
(٦) مريم/ ٥٩.
(٧) ميرزا بن حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٩١/١٢.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) الدَّالة على الأحكام الشرعيَّة[٢]، حيث تكلَّم الإمام (عليه السلام) فيها عن الصَّلاة والزَّكاة والأمانة، فذكر أهميَّة الصَّلاة، وبيَّن إنَّها من العبادات المهمَّة، وإنَّها حسنة لا تضُّر معها سيِّئة، وبها تُغفَر الذِّنوب مهما تضاعفت[٣]، وتحُثُّ على التَّوبة، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وتُقرّب الإنسان من ربَّه، لذلك يجب المحافظة عليها، والاهتمام بها لأنَّها عمود الدِّين[٤]، ثمَّ بين بأنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يُجهِد نفسه في الصَّلاة وعبادة الله تعالى، ثمَّ تحدَّث عن الزَّكاة الَّتي جُعِلت مع الصَّلاة قربانًا إلى الله سبحانه؛ لأنَّها تحثُّ على التَّعاون والأخوَّة بين النَّاس، وتكفِّر الذِّنوب، وتقي من النَّار، فلا بدَّ من إعطاءها عن طيب نفس فهي حقٌّ الفقراء على الأغنياء[٥]، ثمَّ تكلَّم (عليه السلام) عن إداء الأمانة والمحافظة عليها والوفاء بها، وعدم خيانتها، ويشمل ذلك الوفاء للدِّين والوطن والأصدقاء والأهل والإنسانيَّة جمعاء[٦]، وأخيرًا تكلَّم عن علم الله سبحانه وإحاطته بما في السموات وما في الأرض، وإنه كلُّ سرٌّ عنده علانيَّة وكلُّ غيب عنده شهادة[٧].

إنَّ الإمام عليًّا (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ في مسألة الأمر بالصَّلاة والتَّعاهد على أدائها والمحافظة عليها والاستكثار منها والصَّبر على فعلها، فهي عملٌ كُلِّف به النبيُّ محمَّد(صلى الله عليه وآله)[٨]، وأمرٌ من الله سبحانه بأنْ يأمر أهل بيته ودينه بالصَّلاة ويتمثَّلها معهم ويصطبر عليها ويلازمها[٩]، وهذا الخطاب وأنْ كان للنَّبيّ إلَّا إنَّه يدخل في عمومه جميع أمَّته وأهل بيته على التَّخصيص، وممَّا يدلُّ على ذلك إنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يذهب كلَّ صباحٍ بعد نزول هذه الآية إلى بيت فاطمة وعليّ (عليه السلام) فيقول الصَّلاة[١٠]، كما وردت الكثير من الأحاديث الَّتي ترغِّب في الصَّلاة منها قوله

---

(١) طه/ ١٣٢.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) /٣٦٨، محمَّد عَبْدُه/ شرح نهج البلاغة،٣٣١/٢، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٤٣٠.
(٣) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٩١/١٠، عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحينِ، ١١٥١/٣، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٢٠٦/٣.
(٤) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٩١/١٠، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٢٠٧/٣.
(٥) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٩٢/١٠-٩٣، عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحينِ، ١١٥٣/٣.
(٦) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٩٤/١٠، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٢٠٩/٣.
(٧) عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحينِ، ١١٥٥/٣، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٢١٠/٣.
(٨) الثَّعلبيّ/ الكشف والبيان، ٢٦٧/٦.
(٩) الطَّبرسيّ/ مجمع البيان، ٥٠/٧، القرطبيّ/ الجامع لأحكام القرآن، ١٦٤/١٤، محمَّد عليّ الشُّوكانيّ/ فتح القدير، ٥٤٠/٣، محمَّد محمود الحجازيّ/ التَّفسير الواضح، ٥١٤/٢.
(١٠) القرطبيّ/ الجامع لأحكام القرآن، ١٦٤/١٤.

(ﷺ): ((الصَّلاة عمود الدِّين، فمن تركها فقد هَدَمَ الدِّين))[1]، لذلك كان النبيُّ (ﷺ) يحبس نفسه عليها[2]، فضَرْبُ المثل بسيّد المرسلينَ الَّذي أتعب نفسه كثيرًا في الوقوف بين يدي الله في الصَّلاة من باب التَّرغيب، عندما بشَّره الله بالجنَّة وأمره أن يأمر أهله بالصَّلاة ويصبر عليها فكان يقف بين يدي الله وقفة العزّ والشُّموخ[3]، كان يقف حتَّى تتورَّم قدماه فينزل الله قرآنًا بحقِّه يقول له: ﴿طه ۞ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾[4]، أي: لتتعب[5]، فكان يقول: ((أفلا أكون عبدًا شكورًا))[6]، كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[7]، فالمراد بالحسنات: الصَّلوات[8]، كما إنه لم يذكر الأمر له (ﷺ) بالصَّلاة، بل قصر الأمر على أهله لكون إقامته لها أمرًا معلومًا، ولأنَّ أمره بالأمر أمرًا له، ولهذا قال: ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[9]، فلا بدَّ من الصَّبر على الصَّلاة والاستعانة بها على قضاء حوائجنا وفكِّ أزماتنا وغفران ذنوبنا وعدم الانشغال عنها بشيءٍ من أمور الدُّنيا[10].

تبيَّن ممَّا سبق وجوب المحافظة على الصَّلاة والاستكثار منها، ففيها غفران الذِّنوب، والتقرُّب إلى الله تعالى، والاستعانة بها على قضاء الحوائج، لذلك فقد أمر الله سبحانه نبيَّه محمَّد (ﷺ) أنْ يأمر أهله وأقاربه وأصدقاءَه وجميع أمَّته بالصَّلاة والمداومة عليها، وكان (ﷺ) يصبر في أدائها يتحمَّل المشاقّ في سبيلها ومع التبشير له بالجنَّة يُتعِب نفسه فيها فلا يتركها لتعبها، ومن الجدير بالذِّكر أنَّ بيان أهميَّة الصَّلاة والحثُّ على المداومة عليها والتَّحذير من تركها مبنيٌّ على استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

---

(١) ابن أبي جمهور الإحسائيّ/ عوالي اللَّئالي، ٣٢٢/١.
(٢) المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٣٨٧/٢.
(٣) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٢٢/٣، محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٢٩٣/٣.
(٤) طه/١-٢.
(٥) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٢٢/٣.
(٦) الكلينيّ/ الكافي، ٩٥/٢.
(٧) هود/ ١١٤.
(٨) عبد الله شبَّر/ نحبة الشَّرحين، ١١٥٣/٣.
(٩) محمَّد علي الشُّوكانيّ/ فتح القدير، ٥٤٠/٣
(١٠) محمَّد محمود حجازيّ/ التَّفسير الواضح، ٥١٤/٢.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة أمير المؤمنينَ (عليه السلام) الدَّالة على الأحكام الشرعيَّة[٢]، حيث أمر (عليه السلام) بالصَّلاة والمحافظة عليها، وإدائها على الوجه المطلوب، ومراقبتها حذر أنْ تشوّشها نزعات الشيطان برياء فيها، أو التفات عنها، والتَّقرُّب بها إلى الله كونها أفضل العبادات، وبيّن فضيلتها ووجه وجوبها بأنَّها كتابًا مفروضًا على المؤمنينَ فلا يمكن تركها بأيّ حالٍ من الأحوال، والتنبيه بأنَّ تاركها موجب لدخول النَّار، وإنَّها تُزيل الذِنوب والمعاصي وتمحوها، وتطلق أعناق النُّفوس من أغلالها، وإنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) شبَّهها بالعين الحارَّة على باب الرَّجل، حين يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرَّات، فإنَّها لا تُبقي من الدَّرن شيء[٣]، وإنَّ من المؤمنينَ من عرف حقَّها وفضلها ووجوب الاستكثار منها، وإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان مواظبًا على الصَّلاة محافظًا عليها متعِبًا نفسه فيها حتَّى مع تبشيره بالجنَّة، وهذا من أعظم الدلائل على كثرة فوائدها وقوَّة فضيلتها وتأكيد القرآن الكريم للأمر بها[٤].

إنَّ أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ في مسألة بيان أهمية الصَّلاة ووجوب المحافظة عليها مشيرًا إلى فضيلتها وكونها أفضل ما يتقرَّب به العبد إلى ربِّه، وبها يلين قلب المؤمن ويزول اعوجاج أخلاقه[٥]، فذكر عرفان رجال من المؤمنين بحقِّها وهم الموصوفونَ بأنهم لا تشغلهم تجارةٌ ولا بيعٌ ولا زينة متاعٍ ولا قُرَّة عينٍ من ولدٍ ولا مالٍ عن طاعة الله والمحافظة على الصَّلاة وإتمامها بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها في مواقيتها[٦]، كما رُويَ عن الإمام الصَّادق (عليه السلام) في تفسيره للآية المباركة فقال: ((كانوا أصحاب تجارة فإذا حضرت الصَّلاة تركوا التِّجارة وانطلقوا إلى الصَّلاة، وهم أعظم أجرًا ممَّن لم يتجُر))[٧] وإنَّما ذكر التِّجارة والبيع؛ لأنَّ التِّجارة هي صناعة التَّاجر، وهو يبيع ويشتري لأجل الرّبح، فأراد: لا تشغلهم نوع هذه الصِّناعة، وإنَّما خصَّ البيع بالذِّكر، لأنَّه في الإلهاء أدخل من الشِّراء؛ لأنَّ؛ التَّاجر

---

(١) النُّور/٣٧.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) /٣٦٨، محمَّد عَبْدُه/ شرح نهج البلاغة،٣٣١/٢، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٤٣٠.
(٣) ظ: البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ١٦٥/٢-١٦٦، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٣٣/٣، ظ: محمَّد تقي التَّستُّريّ/ بهج الصِّباغة، ١٥٧/١٣-١٦٠، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٠٣/٣.
(٤) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٣٤/٣، ظ: محمَّد تقي التَّستُّريّ/ بهج الصِّباغة، ١٦٠/١٣-١٦٣، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٠٤/٣.
(٥) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ١٦٦/٢.
(٦) ابن وهب/ الواضح في تفسير القرآن، ٧٢/٢، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٣٤/٣، العروسيّ/ نور الثَّقلين، ١٦٢/٥، محمَّد تقيّ التستُّريّ/ بهج الصباغة، ١٦٠/١٣، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ الأمثل، ٨٩/٩.
(٧) الصَّدوق/ من لا يحضره الفقيه، ١٩٢/٣.

إذا اتَّجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلِّية من صناعته ألهته ما لا يُلهيه شراء شيءٍ يتوقَّع فيه الرِّبح؛ لأنَّ هذا يقينٌ وذلك ظنٌّ[1]، أمَّا المؤمن الحقيقيّ فإنَّه لا يشغله عمل ولا عطاء دنيويّ عن إقامة الصَّلاة والتَّقرُّب إلى الله تعالى[2]؛ لذلك قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾[3].

فالإمام (عليه السلام) ذكر الآية الكريمة؛ لوصف المؤمنينَ بالوصف الَّذي يستلزم الاهتمام بالصَّلاة والزَّكاة اهتمامًا جادًا مساوقًا للحياة المادِّية الَّتي يهتمُّ بها الإنسان عادة كالتِّجارة والبيع فإنَّ التَّوازن بين الرُّوح والمادَّة هدف إسلاميّ، وقد قام بذلك عمليًّا المؤمنون من الصَّحابة في عهد الرَّسول (صلى الله عليه وآله)، من هذا يتبيَّن إنَّ القرآن الكريم الدِّستور الإسلاميّ الخالد والسنَّة النَّبويَّة الكريمة المُفسِّرة لها تأكِّدانِ على الاهتمام بالصَّلاة تعاهدًا وحفظًا واستكثارًا وتقرُّبًا[4].

وواضح ممَّا تقدَّم تأكيد أهميَّة الصَّلاة ولزوم الاستكثار منها بذكر صفة المصلِّينَ بأنَّهم لا يشغلهم شاغل من تجارةٍ أو بيعٍ أو مالٍ أو ولدٍ عن ذكر الله سبحانه، وإقامة الصَّلاة بشروطها وأوقاتها، فلا يلهيهم عنها أيّ أمر دنيويّ؛ لأنَّهم عرفوا حقِّها لذلك حافظوا عليها وتقرَّبوا بها إلى الله، وتحمَّلوا مسؤوليَّاتهم؛ لبلوغ رسالتهم في الحياة.

---

(١) الزَّمخشريّ/ الكشّاف، ٢٤٨/٣.
(٢) الطَّبرسيّ/ مجمع البيان، ١١٥/٧.
(٣) الحج/٤١.
(٤) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٠٤/٣.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: اسْتِنْطَاقُ نُصُوصِ (سُلُوكِيَّاتِ عِبَادَةُ الحَجِّ)

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾(١)

وردت الآية المُباركة في خطبة أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وقد دَلَّ هذا الموضع على حُكْمٌ من الأحكام الشَّرعيَّة في ذِكْر فريضة الحجّ(٢)، وبيَّن وجوبه وكونه ضرورة من ضرورات الدِّين(٣)، وكون الكعبة قبلة للأنام، وبيّن كيفيَّة ورود النَّاس إليها وشبَّهها بالإنعام حين تَرِد الماء، إذ تتسابق وتتسارع إلى مشربهم، وكذلك حال الأفراد في الحجّ، كما شبَّههم بالحمام في التجائهم إلى البيت الحرام إشارة إلى شوق الخلق في كُلِّ عام إلى ورود البيت كما يشتاق إليه الحمام الَّذي يسكنه، ثمَّ ذكر إنَّ الله تعالى جعل الحجَّ علامة لتواضع النَّاس في جنب عظمة الخالق واعتقادهم واقرارهم لعزَّته وكبريائه وهذا ممَّا لا ريب فيه(٤)، ثمَّ أشار إلى علو شأن من حجَّ البيت، وإنَّ الله يزيده شرفًا وتعظيمًا، وبيَّن الثَّواب المترتِّب على الحجّ وشبَّههم بأنبيائه وملائكته(٥)، ثمَّ ذكر مراتب الحجّ ومقاماته الَّتي تترتَّب عندما يكون الحجّ تَّامًّا كاملًا مطابقًا لشرائطه المقرَّرة(٦).

إنَّ الإمام عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ في مسألة ذِكْر حكم شرعيّ هو وجوب حجُّ البيت على المُستطيعِ، لأنَّ الحجَّ مُستَجمِع لعبادة النَّفس وعبادة المال وعبادة البدن وهو الطَّهور الأكبر والنَّسك الأعظم وبه يفارق المسلم أهل المِلَل، كما إنَّ الفريضة إذا كانت مؤقَّتة دلَّ اختصاصها بوقت لها على فضلها وشرفها، ونباهة حالها يستدعي من الموظف عليها فضل جهد في إقامتها، وقد بيَّن الله سبحانه وجه الحكمة في هذه الطَّاعة فقال (عزَّ وجلَّ): ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾(٧)، إذ أراد منافع العاجل والآجل(٨)، لذلك ذكر الله سبحانه الحجَّ بأبلغ ألفاظ الوجوب تأكيدًا لحقِّه وتعظيمًا لحرمته، ولا خلاف في فريضته(٩)، على المُستطِيع

---

(١) آل عمران/ ٩٧.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٢٢، محمَّد عَبْدُه/ شرح نهج البلاغة، ٣٠/١، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٢٢، أويس كريم محمَّد/ المعجم الموضوعيّ/ ١٥٠.
(٣) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ١٤٧/١، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٩٠/١، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٣٩٤/١.
(٤) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٩٠/١، ظ: عبد الله شُبَّر/ نحبة الشَّرحين، ٧٦/١-٧٧.
(٥) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٩٢/١، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤٠٠/١، عبد الله شُبَّر/ نحبة الشَّرحين، ٧٨/١.
(٦) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٩٢/١، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤٠٢/١.
(٧) الحجُّ/ ٢٨.
(٨) ظ: البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ١٤٧/١-١٤٨.
(٩) ظ: القرطبيّ/ الجامع لأحكام القرآن، ٢١٤/٥.

القويّ الَّذي لا تلحقه مشقَّة غير محتملة، بمعنى إنَّه يملك الزَّاد والرَّاحلة وبذلك يجب عليه الحجُّ، وإنْ عَدِمَ الزَّاد والرَّاحلة أو أحدهما سقط عنه فرض الحجِّ[1]، وهذا يدلُّ على وجوبه على كافَّة العباد بالشَّرائط المقرَّرة[2]، لقوله تعالى: ﴿أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[3]، فمن ترك هذه الفريضة وهو قادر عليها فهو كافر[4]، لعدم احتياجه تعالى إليه بل النَّفع عائد إليهم لا إليه[5]، فيجب على العاقل اللَّبيب أن ينظر إلى الحجِّ وسائر الأحكام بعين القلب ورُؤيَة العقل حتَّى ينكشف له إنَّ الحجَّ ليس إلَّا الرَّهبانيَّة بمعناها الواقعي[6]، ومما يؤكِّد أهمَّية هذه الفريضة هو العدول عن الأمر إلى الجملة الخبريَّة بمعنى الطَّلب، وذِكْرُ من يجب عليه عمومًا وخصوصًا وتسمية تاركه كافرًا[7]، وهذا وعيد على جحوده، وبيان لتنزيه الله سبحانه بإزالة ما عساه يسبق إلى أوهام الضُّعفاء عند سماع نسبة البيت إلى الله (ﷻ) والعلم بفرضه على النَّاس أنْ يحجُّوه من كونه محتاجًا إلى ذلك، بل الله سبحانه غنيٌّ عنه وعن حجِّه وعن سائر أعمال خلقه[8].

تبيَّن ممَّا سبق أهميَّة الحجَّ وكونه فريضة واجبة على المُستطِيع الَّذي يملك الزَّاد والنَّفقة، فعلى المسلم القادر تأديته بشروطه المُقرَّرة، وتارك هذه العبادة المفروضة مع القدرة يُعَدُّ كافرًا جاحدًا، لأنَّ الله سبحانه غنيٌّ عن العالمينَ غير محتاج إلى أحدٍ من خَلقِه.

---

(١) ظ: القرطبيّ/ الجامع لأحكام القرآن، ٢٢٣/٥، محمَّد رشيد رضا/ المنار، ١٠/٤، القمِّي/ تفسير القمِّي، ١٦٢/١.

(٢) القرطبيّ/ الجامع لأحكام القرآن، ٣٦١/١٤، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٩٢/١، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤٠٣/١، محمَّد رشيد رضا/ المنار، ١٠/٤، مجموعة من المفسّرينَ/ التَّفسير الميسَّر/٦٢.

(٣) الحجُّ/ ٢٧.

(٤) القرطبيّ/ الجامع لأحكام القرآن، ٢٣١/٥، القمِّيّ/ تفسير القمِّي، ١٦٢/١، مجموعة من المفسّرينَ/ التَّفسير الميسَّر/ ٦٢.

(٥) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤٠٣/١، عبد الله شُبَّر/ نخبة الثَّرحينِ، ٧٩/١، مجموعة من المفسّرينَ/ التَّفسير الميسَّر/ ٦٢.

(٦) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤٢٣/١.

(٧) عبد الله شُبَّر/ نخبة الثَّرحينِ، ٧٩/١.

(٨) محمَّد رشيد رضا/ المنار، ١١/٤.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في رسالة لأمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، وهي من الرَّسائل الإداريَّة[٣]، كتبها الإمام (عليه السلام) إلى قُثم بن العبَّاس وهو عامله على مكَّة، حيث أمره أن يُقيم للنَّاس حجَّتهم بشروطه وأجزائه، وأنْ يذكِّرهم ويَعِظهم بما مرَّ على النَّاس قبلهم من النِّعم والنِّقم والمصائب والخيرات والبركات ، وذلك للرَّغبة في الخير والبعد عن الشرّ[٤]، ثمَّ قسَّم له ثمرة جلوسه لهم على ثلاثة أقسام: وهي أمَّا أنْ يُفتِي مُستفتِيًا من العامَّة في بعض الأحكام، وأمَّا أنْ يُعلِّم مُتَعلِّمًا ممَّن لا تربطه بالإسلام رابطة قوية، أو أنْ يُذاكِر عالمًا ويُباحثه ويقف على آرائه[٥]، ثمَّ نهى عن توسُّط السُّفراء والحجَّاب عندما تكون لأحدٍ حاجة عنده بل يكون سفيره لسانه وحاجبه وجهه، ثمَّ أمره أنْ يأمر أهل مكَّة وسكَّانها المقيمين فيها ألَّا يأخذ من الحجيج أجرة مَسْكن[٦]، وفي النِّهاية دعا الله أنْ يوفقه لما يحبَّه ويرضاه من أعمال الخير[٧].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ في بيان مسألة مساواة النَّاس في الحجّ، فلا فرق بين العاكف المُقيم في مكَّة، والبادي الَّذي يحجُّ إليه من غير أهله، فليس أحدهما بأحقّ بالمَنزِل فيه من الآخر، بل أهل مكَّة وغيرهم سواء في المنازل، وفي تعظيم حرمة المسجد وقضاء نُسكه به والنِّزول فيه حيث يشاء[٨]، وقد ذكرت العديد من الأحاديث عدم جواز الحيلولة دون سُكنِى بيت الله الحرام في منازل مكَّة كما جاء عن الإمام الصَّادق (عليه السلام) في تفسير هذه الآية: ((كانت مكَّة ليست على شيءٍ منها باب، وكان أوَّل من علَّق على بابه المصراعين هو معاوية بن أبي سفيان وليس ينبغي لأحد أنْ يمنع الحاجّ شيئًا من الدُّور ومنازلها))[٩]، فالآية فيها أمرٌ بعدم جواز أخذ أجرة مسكنٍ من الحاجّ مستويًا في ذلك المُقيم في الحرم الملازم له، ومن دخله من غير أهله[١٠]، ويدخل في المُقِيم الغريب إذا جاور وأقام ولزم التَّعبُّد فيه، ويدخل في الباد الطَّارئ عليه

---

(١) الحجُّ/ ٢٥.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة ظ (جمع الشَّريف الرَّضيّ) /٥٣٧، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٦٣٦.
(٣) صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٦٣٦.
(٤) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٣/١٨، عبَّاس عليّ الموسويّ شرح نهج البلاغة، ١٥٨/٥.
(٥) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٤/١٨، محمَّد تقي التَّستَّريّ/ بهج الصِّباغة، ٥٩٦/٦.
(٦) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٤/١٨، عبَّاس عليّ الموسويّ شرح نهج البلاغة، ١٥٩/٥، ظ: محمَّد تقي التَّستَّريّ/ بهج الصِّباغة، ٥٩٧/٦-١٩٩.
(٧) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٥٩/٥، محمَّد تقي التَّستَّريّ/ بهج الصِّباغة، ٦٠٠/٦.
(٨) الطَّبريّ/ جامع البيان، ٥٠١/١٦، السَّمرقنديّ/ بحر العلوم، ٣٩٠/٢، صدِّيق حسن خان/ فتح البيان/ ٣٣، محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٢٤٣/٤.
(٩) الطُّوسي/ التَّهذيب، ٤٢٠/٥.
(١٠) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٤/١٨، عبَّاس عليّ الموسويّ شرح نهج البلاغة، ١٥٩/٥،

المُنتاب إليه من غير فرق بين كونه من أهل البادية أو من غيرهم[١]، فالنَّاس أمَّة واحدة متساوية في الحجّ كأسنان المشط لا فضل لأحدٍ على أحدٍ إلَّا بالتَّقوى[٢]، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣]، فالإسلام يقيم سلوك المسلمين في الحجّ على أساس المساواة، وأساس الأمة الواحدة الَّتي لا تفرّقها طبقة ولا يفرّقها جنس ولا لغة ولا سمة من سمات الأرض جميعًا[٤]، لذلك فإنَّ النَّاس إذا قَدِموا مكَّة نزل البادي على الحاضر حتَّى يقضي حجَّهُ[٥]، لأنَّ بيوت مكَّة ليست كسائر البيوت حتَّى يأخذ المالك الأجرة ممَّن يسكن داره[٦]، فالنَّاس سواسية في هذا المكان الَّذي يوَحَّد الله فيه وليس لأحد الحقُّ أنْ يعرقِل حجَّ النَّاس وعبادتهم بجوار بيت الله الحرام[٧].

يبدو ممَّا تقدَّم أنَّ حجَّاج بيت الله الحرام المقيمينَ في مكَّة والَّذينَ يقصدونه من مكان بعيد متساوونَ في السَّكن في منازل مكَّة فلا يجوز أخذ أُجرة مسكنٍ منهم، فلا فرق بين المقيم الملازم فيه، والغريب الواصل من البادية، لأنَّ الله سبحانه جعلها قبلة لصلاتهم ومنسكًا ومتعبَّدًا للعاكف والبادي على حدٍّ سواء.

ناصر مكارم الشّيرازي/ الأمثل، ٣٨٣/٨.

(١) صدّيق حسن خان/ فتح البيان/ ٣٣.

(٢) سيّد قطب/ في ظلال القرآن، ٢٠٠/١.

(٣) البقرة/ ١٩٩.

(٤) سيّد قطب/ في ظلال القرآن، ٢٠٠/١.

(٥) محمَّد تقي التَّستَّريّ/ بهج الصّباغة، ٦٠٠/٦.

(٦) محمَّد الحسينيّ الشّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٢٤٣/٤.

(٧) ناصر مكارم الشّيرازي/ الأمثل، ٣٨٣/٨.

المَبْحَثُ الرَّابِعُ: اسْتِنْطَاقُ نُصُوصِ (سُلُوكِيَّاتِ الجِهَادِ والقِتَالِ)

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾(١)

وردت الآية الكريمة في خطبة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وفيها دلالة التَّحريض والحثُّ على الجهاد(٢)، وقد خطب الإمام (عليه السلام) هذه الخطبة عندما علم بغزوة النُّعمان بن بشير صاحب معاوية لعين التمر، فدعا الإمام النَّاس لقتالهم واستنهضهم لنصرته ووبَّخهم على التقاعد والتَّثاقل مبيّنًا إنَّ مآل ذلك النَّدامة والملامة(٣).

إنَّ الإمام عليّ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ لوصف شدَّة كراهية ضعفاء الإيمان للقتال مشبّهًا جُبنهم وشدَّة خوفهم واضطرابهم فيما يساقون إليه مثل اضطراب من يُساق إلى الموت وهو ينظر إلى ما أُعِدَّ له من أدواته وأسبابه(٤)، فبسبب خروجهم إلى الجهاد كرهًا عنهم حياءً وخجلًا شبَّه حالهم بمن يُساق قهرًا إلى ما لا يرغب فيه(٥)، وهو ينظر حلوله وورود على موارده(٦)، وبسبب تباطئهم بإجابة دعوة التَّنفير إلى الجهاد فقد عاتبهم الله (عزَّ وجلَّ) بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾(٧)،(٨)، ومع ذلك فقد كرهوا الخروج وثقل عليهم وبُثَّ فيهم الرُّعب من لقاء القوم(٩)، وهذه الفئة عدمها خير من وجودها والوثوق بها مخجل، فما أعظم محنة الإمام وابتلائه بهؤلاء القوم الضُّعفاء الَّذين يتشبَّثون بمختلف الذَّرائع والحجج للفرار من الجهاد، ولو كانت هذه الفئة تمتلك العزم الرَّاسخ والقوَّة والصَّلابة لكان شأنها الانتصار على العدوّ، ونلمس اليوم هذه الحقيقة بوضوح في عالمنا المعاصر، فإذا لم نلتفت إلى تحرشَّات العدوّ فإنَّها تتَّسع شيئًا فشيئًا وآنذاك لا يمكن الصُّمود بوجه الأعداء ومواجهتهم(١٠).

---

(١) الأنفال/ ٦.
(٢) لبيب بيضون/ تصنيف نهج البلاغة/ ٥١١.
(٣) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٢٨٠/١، محقّق من أعلام القرن الثَّامن/ شرح نهج البلاغة/ ٤٥٩، ظ: ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٤٢/٤-١٤٣.
(٤) البغويّ/ معالم التَّنزيل، ٣٢١/٣، الرَّازيّ/ مفاتيح الغيب، ١٣١/١٥، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٥٣٨/٤، محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ١٤/٩، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٤٣/٤.
(٥) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٠٦/١.
(٦) محمَّد بن محمَّد الحسينيّ/ درُّ الأسرار، ٣٩٠/١.
(٧) التَّوبة/ ٣٨.
(٨) محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ١٩٥/١٠.
(٩) عبد الرَّحيم المتميّز/ الأنوار البهيَّة، ٤٨١/١.
(١٠) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٧٠/١.

وواضحٌ ممَّا تقدَّم تحريض الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) المؤمنينَ وحثَّهم على القتال والجهاد في سبيل الله وعدم التَّثاقل والتَّباطئ في مواجهة العدوّ فمثل المتثاقلينَ عن الجهاد كمن يساق إلى الموت وهو ينظر إلى موته ونهايته ويشاهد أسبابه، ومن الجدير بالذِّكر أنَّ تشبيه الإمام عليّ بن أبي طالب لهؤلاء المتثاقلينَ، وحثِّهم على الجهاد والقتال وليد استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١].

وردت الآية الكريمة في رسالة لأمير المؤمنينَ (عليه السلام)[٢]، وهي من الرَّسائل الدَّالة على النَّقد والتَّعريض[٣]، وفيها يجيب الإمام عن فصول من الأباطيل المموّهة الَّتي توغَّل فيها معاوية، ومنها إنَّه (عليه السلام) كان بما أخبره معاوية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعلم من غيره؛ حيث كان (عليه السلام) مع رسول الله منذ ابتداء الدَّعوة إلى حين ارتحاله من الدُّنيا[٤]، وذكر عدم لياقة معاوية لتمييز الفاضل والمفضول وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم؛ لأنَّه ليس أهلًا لذلك ونبَّه على ضعفه وقصور ذرعه عن بلوغ تلك المراتب السَّامية[٥]، ثمَّ نبَّه معاوية على أفضليَّته (عليه السلام) وأفضليَّة من هو من بيته ونسبه من بني هاشم وإنَّها بلغت من الشُّهرة مبلغًا تعرفها قلوب المؤمنينَ بحيث لا يمكن إنكارها[٦]، وذكر احتجاجه على معاوية في أمر عثمان وقتله المقدَّر له[٧]، ثم أشار إلى إنَّ تهديد معاوية له بالسَّيف كان في غير محلِّه، وأنَّ أحبَّ لقاء لهم هو لقاء ربهم[٨].

إنَّ الإمام عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في بيان مسألة علم الله تعالى بالمعوّقينَ المانعينَ من القتال وهم المنافقونَ الَّذينَ يطلبونَ من إخوانهم المنافقينَ الرّجوع وعدم حضور القتال إلَّا قليلًا رياءً وسمعةً، وإنَّ ذلك لو كان لله لكان كثيرًا[٩]، وفي ذلك إشارة إلى تسويف معاوية وقعوده عن نصرة عثمان بعد أن استنصره[١٠]، وحين اتَّهم معاوية الإمام (عليه السلام) بعدم نصرة عثمان وخذله بيَّن له الإمام (عليه السلام) إنَّ الله تعالى يعلم من الَّذي امتنع عن نصرة عثمان وإنَّ المعوّق من النُّصرة هو معاوية، وإنَّه (عليه السلام) هو الَّذي نصره ودعاه إلى الحقّ[١١]، لأنَّه تعالى غير خافٍ عليه مكنونات الشرّ والنِّفاق بدلالة قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

---

(١) الأحزاب/ ١٨.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيُّ) / ٤٥٣.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٥٢٦.
(٤) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٤٣٨/٢، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٣٦/١٥، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٩٢/١٩.
(٥) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٤٣٩/٢، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٩٣/١٩.
(٦) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٤٤٠/٢، ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٣٨/١٥-٥٣.
(٧) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٤٤٢/٢، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٦٤/١٩.
(٨) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٥٦/١٥، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٦٥/١٩.
(٩) السَّمرقنديّ/ بحر العلوم، ٤٣/٣، القرطبيّ/ الجامع لأحكام القرآن، ١٠٢/١٧، عبد الله شبَّر/ تفسير القرآن الكريم/ ٤٩٣، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٥٥/١٥، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٦٥/١٩، محمَّد عليّ الصَّابونيّ/ صفوة التَّفاسير، ٤٧٣/٢.
(١٠) عبد الله شبَّر/ نحبة الشَّرحين، ١٥٥٩/٤.
(١١) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٥٤/١٥.

وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾[1]،[2]، وفي ذلك الصَّرف عن القتال والمنع من الجهاد دليل على ضعف الإيمان والبُخل بالنَّفس[3]، لأنَّ شأن من يثبّط غيره عن الحرب ألَّا يفعله إلَّا قليلًا لغرضٍ خبيث، ليراه الناس فيوهمهم إنَّه معهم إلَّا إنَّه في الحقيقة لا يقاتل إلَّا اضطرارًا فيكون قتاله هذا رياءً وليس بحقيقة[4]، ولا يتوقَّف ذلك البُخل على بذل الأرواح فقط، إنَّما يبخلونَ عن أيِّ نوعٍ من المساعدة والإيثار كالمعونة الماديَّة والبدنيَّة، بل وحتى في المساعدة الفكريَّة[5].

واضحٌ ممَّا تقدَّم علم الله سبحانه وتعالى بأنَّ الَّذي نصر عثمان ونصحه هو الإمام عليّ (عليه السلام) وإنَّ الَّذي امتنع عن نصرته وخذله هو معاوية، وليس الأمر كما زعم بأنَّ النَّاس لا يدرون صنيعه وإنَّ لله تعالى يخفى عليه فعله، بل إنَّ الله تعالى يعلم المثبطينَ الممتنعينَ عن النُّصرة الَّذين يعوِّقونَ إخوانهم في الكفر والنِّفاق عن الجهاد ويصدُّونهم عن القتال فنجدهم لا يأتونَ الحرب إلَّا إذا اضطرُّوا رياء وسمعة.

---

(١) النِّساء/ ٦٣.
(٢) صدِّيق حسن خان/ فتح البيان، ١٦٥/٣.
(٣) محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ٢٨٨/١٦.
(٤) محمَّد عليّ الصَّابونيّ/ صفوة التَّفاسير، ٤٧٣/٢.
(٥) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ الأمثل، ٣٥٦/١٠.

المَبْحَثُ الخَامِسُ: اسْتِنْطَاقُ نُصُوصِ (سُلُوكِيَّاتِ اتّبَاعُ المَعْرُوفِ)

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(١)

وردت الآية الكريمة في رسالة أمير المؤمنينَ (عليه السلام) إلى معاوية(٢)، وقد دلَّت الرِّسالة على النقد والتَّعريض(٣)، حيث أجاب فيه الإمام (عليه السلام) على كتاب قد بعث به معاوية إليه يحمل عليه ويدَّعي كثير من الأمور الكاذبة منها اصطفاء الله لنبيّه وتقويته بأصحابه، وذِكرِه لأفضل النَّاس في الإسلام بحسب زعمه(٤)، فردَّ عليه (عليه السلام) بعدم أهليَّته للتحكيم، واستفهمه تقريعًا وتوبيخًا ونبَّهه إلى ترك ما هو فيه(٥)، وذكر فضائل بني هاشم ومكارمهم وعظم منزلتهم وخيرهم وفضلهم(٦)، ثمَّ بيَّن إنَّه لا منقصة ولا عيب ولا حيف على المسلم أنْ يكون مظلومًا بنفس الصُّورة الَّتي تُمارَس على الإمام (عليه السلام) شرط ألَّا يكون في شكٍّ من دينه أو عقيدته كما هو حال معاوية(٧)، ثمَّ ذكر رَفْضُ عثمان وساطة الإمام ونصرته وارشاده له وإنَّه طَلَبَ النُّصرة من معاوية، وبيَّن أنَّه (عليه السلام) إنَّما أراد بذلك النَّصيحة(٨)، وأخيرًا أخذ الإمام بالرَّدِّ على معاوية مفنِّدًا له بعد تهديده بالحرب مبيِّنًا إنَّ بني عبد المطَّلب لا يُخَوَّفونَ بالسَّيف أو الموت(٩).

إنَّ الإمام عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ في مسألة الإصلاح بين النَّاس قدر المُستطاع وهدايتهم وارشادهم، وهذه الطَّاعة لا تكون إلَّا بتوفيق الله وتيسيره ومعونته(١٠)، فالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر والموعظة وتقديم النَّصيحة كل ذلك لغرض الإصلاح، وإصابة الحقِّ والصَّواب وما ذلك إلَّا بهداية الله تعالى؛ لأنَّه القادر المتمكَّن من كلِّ شيء وما عداه عاجز في حدِّ ذاته، وفي ذلك حسم لأطماع الكفَّار وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرِّجوع إلى الله سبحانه للجزاء(١١)، فالإمام (عليه السلام) لمْ يُرِد في نُصحِه وارشاده لعثمان ومحاولاته المتعدِّدة لنصرته

---

(١) هود/ ٨٨.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٤٥٣، د. صبحي الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٥٢٦.
(٣) د. صبحي الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٥٢٦.
(٤) البيهقيّ/ معارج نهج البلاغة، ٧٤١/٢، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٨٣/٤، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٣٢/٤.
(٥) ظ: البيهقيّ/ معارج نهج البلاغة، ٧٤١/٢-٧٤٢، ظ: ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٨٤/٤-٣٨٥.
(٦) ظ: البيهقيّ/ معارج نهج البلاغة، ٧٤١/٢-٧٤٤، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٣٥/٤.
(٧) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٩١/٤، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٣٧/٤.
(٨) ظ: المصدر نفسه، ٣٩١/٤-٣٩٣، المصدر نفسه، ٢٣٨/٤.
(٩) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٩٣/٤.
(١٠) السَّمعانيّ/ تفسير القرآن، ٤٥٢/٢، محمَّد طنطاويّ/ التَّفسير الوسيط/ ١٤٧.
(١١) البيضاويّ/ أنوار التَّنزيل، ١٤٥/٣، محمَّد بن عبد الحقّ النسفيّ/ مدارك التنزيل، ٣٠٥/٤.

إلَّا لإصلاح ذات البين قدر الاستطاعة[1]، لأنَّ الله سبحانه أمر بالإصلاح بين النَّاس حيث قال (ﷻ): ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]، فالإيمان يقتضي من الإنسان الابتعاد عن الاختلاف والمشاجرة، ويحثُّ على المساعدة والمواساة وإصلاح الحال بين المؤمنينَ[3]، وعدم التَّقصير في اسداد الهداية لتحقيق السَّعادة في الدنيا والآخرة[4]، إذ ليس على المسلم إلَّا العمل بما يمليه عليه الواجب الاسلاميّ[5].

ظهر ممَّا تقدَّم أنَّ الإصلاح بين النَّاس قدر المستَطَاع من الأمور الَّتي يحثُّ عليها الدِّين الإسلامي، فإرشاد النَّاس وهدايتهم إلى الصَّواب والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر وتقديم النَّصيحة والموعظة وغير ذلك ممَّا يتمكَّن منه الإنسان ويقدر عليه من الأمور الَّتي تقوّي روابط المحبَّة والتَّعاون بين المسلمين، وذلك كله بتأييد الله تعالى ومعونته، فله المرجِع في السَّراء والضَّراء.

(١) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٩٢/٤، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٣٩/٤، محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ٩١/٦.
(٢) الأنفال/ ١.
(٣) الفيض الكاشانيّ/ الصَّافي، ٢٩٥/٣
(٤) محمَّد طنطاويّ/ التَّفسير الوسيط/ ١٤٧.
(٥) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٥٤/٤.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في رسالة لأمير المؤمنينَ (عليه السلام) كتبها للأشتر النَّخعي لمَّا ولَّاه على مصر وأعمالها[٢]، وهي من رسائل الوصايا والتَّعاليم[٣]، وفيها أشار إلى عدَّة جوانب تفتقر إليها أيَّة إدارة صالحة في المجتمع، أوَّلها: جباية خرَّاجها، ويمثِّل ذلك الجانب الاقتصادي للدَّولة والشَّعب، وثانيها: جهاد عدوِّها، ويمثِّل الجانب الدِّفاعيّ عن العقيدة والشَّعب والوطن، وثالثها: استصلاح أهلها، وهذا يمثَّل الجانب الاجتماعيّ لمصالح الشَّعب المسلم، ورابعها: عمارة بلادها، وهو الَّذي يمثّل الجانب الحضاريّ للدَّولة، وأكَّد على وجوب مغالبة الحاكم لهوى نفسه والالتزام بالثَّوابت الاسلاميَّة ليتمكَّن من إدارة الحكم[٤].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة النَّهي عن خلف الوعد والقول المخالف للفعل الَّذي يوجب المقت والبُغض عند الله تعالى[٥]، ويوجب القُبح عند النَّاس؛ لأنَّه ينتزع الثِّقة ممَّن وَعَدَ ولم يفِ ولا يُؤخَذ بقوله بعد خَلْفه للوعد وكفى بذلك إهانة وذلًّا[٦]، ولهذا ينبغي للآمر بالخير أنْ يكون أوَّل النَّاس إليه مبادرة، وللناهي عن الشَّرِّ أنْ يكون أبعد النَّاس منه؛ لقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٧]، وقول نبيّ الله شُعيب (عليه السلام) لقومه: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[٨]،[٩]، وشدَّة المقت هذا يهزُّ النَّفس هزًّا شديدًا ممَّا يدلُّ على أهميَّة هذا الرُّكن العظيم الَّذي كتبه الباري (عزَّ وجلَّ) على المسلمينَ؛ لما فيه من قوام وجودهم وكرامتهم وأمنهم وسلامتهم وعزَّة الإسلام وقوَّته[١٠]، وذلك الإنكار ينطبق على كلِّ من خالف قوله فعله سواء في عهدٍ أو وعدٍ أو أمرٍ أو نهيٍ، ولذا جاء أمر الله تعالى بالوفاء بالعهد فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[١١]، كما مدح نبيًّا من الأنبياء

---

(١) الصَّف/ ٣.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيُّ) /٥٢٠.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٥٨٩.
(٤) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٥/١٧-٥٧، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٥٢/٢٠، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٧٠/٤.
(٥) ابن الجوزيّ/ زاد المسير، ٢٧٧/٤، ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٦/١٧، عبَّاس عليّ الموسويّ/ نهج البلاغة، ٧٦/٥، عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعديّ/ تفسير كلام المنَّان/ ٨٥٨، محمَّد عزَّة دروزة/ التَّفسير الحديث، ٥٥٦/٨، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٠/ ٢٧٥.
(٦) عبَّاس عليّ الموسويّ/ نهج البلاغة، ٧٦/٥.
(٧) البقرة/ ٤٤.
(٨) هود/ ٨٨.
(٩) عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعديّ/ تفسير كلام المنَّان/ ٨٥٨.
(١٠) محمَّد عزَّة دروزة/ التَّفسير الحديث، ٥٥٨/٨.
(١١) الإسراء/ ٣٤.

وهو إسماعيل (عليه السلام) بصدق الوعد فقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾[1]،[2]، كما إنَّ خلف الوعد مع الرَّعايا ناشئ عن إكبار النَّفس وتحقير الرَّعايا حيث إنَّه لم يعتنِ بانتظارهم ولم يحترم تعهُّدهم، وخلاف الوعد وإن كان قبيحًا ومذمومًا على العموم، لكنَّه من الولاة والأمراء بالنِّسبة للرَّعيَّة أقبح؛ لاشتماله على العجب والكبر وتحقير الطَّرف الآخر[3]، إذ إنَّ الوعد يوجب الأمل وبخلاف ذلك يتولَّد السخط ويزداد ليتحوَّل إلى نقمة، كما هو شأن السِّياسيينَ المادِّيينَ من كثرة الوعود الكاذبة في حياتهم معتقدينَ إسكات الأصوات المعارضة بالوعود، وهذا الأمر عامٌّ في كلِّ دولة ماديَّة لا تتحرَّك على المبادئ الإسلاميَّة؛ لذلك فقد بيَّن الإمام (عليه السلام) عيوب ذلك الأمر[4].

وواضحٌ ممَّا تقدَّم النَّهي عن خلف الوعد مع النَّاس ومخالفة القول للفعل؛ لأنَّه يولِّد مقت الله وسخطه وغضبه كما يؤدِّي إلى سخط النَّاس ونقمتهم، لاسيما إذا كان من الولاة لاشتماله على غضب الرعيَّة وشعورهم بالخذلان والإهانة وهذا مخالف لما جاء به الِّدين الإسلاميّ، وإنَّ أمير المؤمنينَ عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) في نهيه عن خلف الوعد ومخالفة الأقوال للأفعال مستند إلى استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

---

(١) مريم/ ٥٤.
(٢) محمَّد الأمين الشَّنقيطيّ/ أضواء البيان، ١٧٤/٨.
(٣) ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٠/ ٢٧٥.
(٤) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٥٧/٤.

خُلَاصَةٌ واسْتِنْتَاجٌ:

إنَّ نهج البلاغة في هذا الفصل عرضَ هذه المضامينَ، واستنطق القرآن فيها، فجاء مطابقًا لما طُرِحَ في النَّهج

١. تأكيد طاعة الله سبحانه وتعالى ورسوله والأئمَّة المعصومينَ (عليهم السلام) والرُّجوع إليهم فيما أشكل من الأمور فذلك الحلُّ الأمثل لكلِّ ما يواجه الإنسان في حياته.
٢. التَّنبيه والتَّحذير من سلوك سبيل الباطل بعد ظهور الحقِّ بدلائله الواضحة وآياته الظَّاهرة والحثُّ على اتِّباع الطَّريقة الصَّحيحة والاقتداء بأئمَّة الدِّين المتمثِّلين بعترة النَّبيِّ (صلى الله عليه وآله).
٣. التَّأكيد على أهميَّة الصَّلاة كونها فرضًا واجبًا لا يجوز تأخيرها أو التَّهاون فيها فهي عمود الدِّين وركنًا من أركان الإسلام فلا بدَّ من اتيانها في أوقاتها والأمر بها وتعاهدها والمحافظة عليها ففيها غفران الذِّنوب والتَّقرُّب إلى الله (عزَّ وجلَّ).
٤. وجوب فريضة الحجِّ على المستطيع الَّذي يملك الزَّاد والرَّاحلة كونها عبادة تقرّبنا إلى الله سبحانه وتارك هذه العبادة مع الاستطاعة جاحد كافر.
٥. مساواة النَّاس في الحجِّ من جهة السَّكن في منازل مكَّة ولا فرق في ذلك بين العاكف والبادي.
٦. الحثُّ على الجهاد والقتال في سبيل الله لتحقيق النَّصر وعدم التَّثاقل أو التَّكاسل الَّذي شأنه الخذلان والهزيمة.
٧. الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر والموعظة وتقديم النَّصيحة والإصلاح بين النَّاس وغير ذلك ممَّا هو من مقتضيات الإيمان لتحقيق السَّعادة في الدُّنيا والآخرة.
٨. النَّهي عن مخالفة القول للفعل وخلف الوعد مع النَّاس، لأنَّه يولِّد غضب الله سبحانه وسخطه وهذا يتنافى مع ما جاء به الدِّين الإسلاميّ.

مَدْخَلٌ إلَى الفَصْلِ الثَّالِثِ

أكَّد القرآن الكريم على التَّقوى وأشار إليها بوصفها من المواضيع المهمَّة الَّتي وردت في القرآن وأكَّدت عليها السُّنَّة النَّبويَّة بشكل خاص، إذ نجد في نهج البلاغة شروحًا كثيرة حول هذه المسألة في كثير من المواضع، فإن الإمام عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) في موضوع التقوى له نظرة للآيات القرآنية، وهذه الآيات تنعكس بأشكال مختلفة في كلامه، مما يشير إلى الارتباط العميق بينه وبين القرآن الكريم، وفي الواقع يشير هذا الأمر إلى العلاقة الوثيقة بين الثقليْنِ.

وجاء هذا الفصل لبيان ومحاولة دراسة هذه الأشكال وإظهار الارتباط بين القرآن الكريم ونهج البلاغة في موضوع صفات المؤمنينَ وصفات الكافرينَ، وإذا دقَّقنا في آيات القرآن الكريم نجد أنَّه يصف المؤمنينَ مشيرًا الى جانبينِ أحدهما: معنوي وروحاني وباطني، والآخر: عملي وخارجي، مبيّنًا بذلك خمسَ صفات بعبارة موجزة غزيرة المعنى، ولو أنَّنا طبَّقنا مضامين هذه الآيات على أنفسنا، فهي الَّتي تمثِّل صفات المؤمنينَ بحقٍّ، ولم نتَّكل على هذا وذاك، وأن نخطوا في كل يوم وفي كل مرحلة خطوة جديدة من الايمان، وأن نحسّ دائمًا بالمسؤوليَّة لتكون علاقتنا بالله قويَّة، وعلاقتنا بخلق الله وعباده قوية كذلك، فننفق ما رزقنا الله في سبيل تقدُّم المجتمع، وينبغي التَّذكير بأنَّ الإيمان ذو مراحل ودرجات، فقد يكون قويًّا يقود الإنسان إلى رضا الرَّحمن، أو يكون ضعيفًا في بعض مراحله حتَّى أنَّه لا يبدو منه أي شيء عملي مؤثِّر، وربما يكون ملوَّثًا بكثير من السَّيئات، فجاء هذا الفصل لبيان صفات المؤمنينَ في المباحث الثَّلاثة الأولى، وبيان صفات الظَّالمينَ في المبحثينِ الأخيرينِ.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: اسْتِنْطَاقُ الصِّفَاتِ المُوجِبَةِ لِلاتِّبَاعِ

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في حِكْمَة لأمير المؤمنينَ (عليه السلام)[٢]، وقد دلَّت على الإمامة العامَّة[٣]، وأشارت إلى حالة المستضعفينَ في كلِّ أمَّة، وإنَّ الطبيعة الَّتي استخدمها أصحاب سياسة الاستضعاف بصورها المتعدِّدة في المجتمع لا بدَّ وأنْ تنهار، وإنَّ سلب القوَّة من المجتمع حكم ظالم، والظُّلم لا يدوم وإنْ طال الزَّمن[٤].

إنَّ الإمام عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ للدَّلالة على إرادة الله تعالى وقدرته على جعل المستضعفينَ أئمَّة ووارثينَ، أي: ملوكًا ورؤساء في الخير يُقتَدى بهم[٥]، والَّذينَ جعلهم الله ملوكًا فهم أئمَّة؛ لأنَّه لا يضاف إلى الله سبحانه مُلْكُ من يملك النَّاس عدوانًا وظلمًا، فالمَلِكُ من الله تعالى هو الَّذي يجب أنْ يطاع، وعلى هذا فالأئمَّة (عليهم السلام) ملوك مقدَّمونَ في الدِّين والدُّنيا يطأ النَّاس أعقابهم[٦]، وذلك وعد منه (عليه السلام) بالإمام الغائب الَّذي يملك الأرض في آخر الزَّمان ويستوي على الممالك، ولا يلزم من ذلك إنَّه لا بدَّ أنْ يكون موجودًا وإنْ كان غائبًا إلى أنْ يظهر، بل يكفي في صحَّة هذا الكلام أن يُخلَق في آخر الزَّمان[٧]، فبعد أن تنكَّرت الدُّنيا لأهل البيت (عليهم السلام) إلَّا إنَّها ستقبِل عليهم ولو بعد حين وسيُعلَنُ الحبُّ والولاء لهم وستنتشر علومهم وفضائلهم في شرق الأرض وغربها، ولا شكَّ إنَّ هذه الرِّفعة والوجاهة في الحياة الدُّنيا من أفضل النِّعم وأكملها، وقد منَّ الله تعالى بها على سيد المرسلينَ بقوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[٨]، وقوله تعالى عن عيسى (عليه السلام): ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾[٩]،[١٠]، ومثل تلك الآية في البشارة لأهل البيت (عليهم السلام) قوله

---

(١) القصص/ ٥.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٥٨٨.
(٣) محمَّد تقيّ التَّستُّريّ/ بهج الصِّباغة، ٤٩٥/٣.
(٤) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٠/١٩، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٣٧/٥.
(٥) الطَّبرسيّ/ مجمع البيان، ٣٠٠/٧، عزُّ الدِّين الرّسعنيّ/ رموز الكنوز، ٥٠٨/٥، عبد الحليم عويّس، عليّ عبد المحسن/ تفسير القرآن للنَّاشئين/ ٣٩٨، عبد السَّلام بن محمَّد علوش/ المختصر الجامع/ ٨٦٤.
(٦) الطَّبرسيّ/ مجمع البيان، ٣٠٠/٧.
(٧) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٠/١٩، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٣٢٤/٢١، محمَّد تقيّ التَّستُّري/ بهج الصِّباغة، ٤٩٧/٣.
(٨) الانشراح/ ٤.
(٩) آل عمران/ ٤٥.
(١٠) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٣٤٣/٤.

تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[2]، ولم يكن عباد صالحونَ ولا مؤمنونَ عاملونَ للصَّالحات مثل أهل البيت (عليهم السلام)، فلا بدَّ بمقتضى هذه الآيتينِ أنْ يرثوا الأرض ويستخلفوا فيها بحسب وعد الله تعالى، وذلك لم يتَّفق في زمان الأحد عشر منهم فلا بدَّ أن يكون في عصر ثاني عشرهم، وحيث إنَّ الجميع بمنزلة نفسٍ واحدة يصدُق بإرثه الأرض إرثهم وباستخلافه فيها استخلافهم وتمكينهم وتبديل خوفهم أمنًا[3]، وبناءً على ذلك فإنَّ تنكُّر الدُّنيا للمستضعف في فترة زمنيَّة هو تنكُّر وقتيّ يزول حيث يتحقَّق الوعي الإسلاميّ فيقترب الخطر الحقيقيّ من الظَّالمينَ وتتساقط الأقنعة، وتاريخ أهل البيت يشهد على هذه الحقيقة فإنَّ الحكم الأمويّ أخذ بالسّقوط تدريجيًّا بعد ما انكشفت الحقائق للأمَّة وسقطت أقنعة الأمويينَ بقتلهم الإمام الحسين (عليه السلام) ولم يقم لهم بعد ذلك قائمة حتَّى قُضِيَ عليهم[4]، وصار أهل البيت (عليهم السلام) أئمَّة وارثينَ بفضل صبرهم ويقينهم[5].

تبيَّن ممَّا سبق أنَّ الله سبحانه وتعالى يكافئ عباده الصَّالحينَ من أهل البيت (عليهم السلام) الَّذين استضعفوا في الأرض ويجعلهم أئمَّة ويجعلهم وارثين جزاءً على صبرهم وإيمانهم ويقينهم، وبعد أن تنكَّرت الدُّنيا لهم فإنَّها ستقبِل عليهم وسيعلن الحبُّ والولاء لهم وستنتشر علومهم في مشارق الأرض ومغاربها وهذه الكرامة من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى الَّتي يمنُّ بها على عباده الصَّالحينَ وهذه الحقيقة عن أهل البيت (عليهم السلام) والَّتي ذكرها الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) قائمة على استنطاق النَّصّ القرآنيّ.

---

(١) الأنبياء/ ١٠٥.
(٢) النُّور/ ٥٥.
(٣) محمَّد تقي التَّستُّري/ بهج الصِّباغة، ٤٩٧/٣.
(٤) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٣٧/٥.
(٥) حكمت بن بشير ياسين/ التَّفسير المختصر/ ٤١٦.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في رسالة لأمير المؤمنينَ (عليه السلام) إلى معاوية جوابًا له على كتاب بعثة للإمام (عليه السلام)[٢]، وقد دلَّت هذه الرِّسالة على النَّقد والتَّعريض[٣]، وابتدأ الجواب بذكر شمائل النَّبيّ (صلى الله عليه وآله) وخصائص الإسلام الَّتي هو أعرف النَّاس بها[٤]، ثمَّ تحدَّث عن فضل الصَّحابة، وذكر إنَّ فضلهم بما لهم من العمل في سبيل الإسلام بالجهاد بالنَّفس والمال[٥]، وبيَّن دور أهل البيت النَّبويّ للخصائص الَّتي يمتازونَ بها لتخرُّجهم من مدرسة النُّبوَّة وتمتُّعهم بالرُّؤية الواضحة للمبادئ[٦]، ثمَّ أشار إشاراتٍ قاطعة لتقييم الاتِّهامات الَّتي وجَّهت إليه من الحسد والضُّعف وغيرها[٧].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ للدلالة على أولويَّته بالطَّاعة والخلافة لدين الله ومنهاجه بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)[٨]، لأنَّه كان أقرب الخلق إلى اتِّباع الرسول وأوَّل من آمن به وصدَّقه[٩] وأفضل من أخذ عنه الحكمة وفصل الخطاب وكلّ من كان كذلك فهو أولى بخلافته والقيام مقامه، لذلك فإنَّه أولى برسول الله وبمنصبه من جهة طاعته واتِّباعه[١٠]، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[١١]، فالولاية مقررَّة لله ورسوله والَّذين آمنوا[١٢]، فلا فوضى ولا عشوائيَّة في الواقع ولا في الإسلام؛ فإنَّ الله تعالى اختار محمَّدًا (صلى الله عليه وآله) للسَّفارة بينه وبين عباده؛ لأنَّه أعلم حيث يجعل رسالته، وكذلك الخلافة لا بدَّ لها من سبب موجب وهو التَّبعيَّة والطَّاعة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وليس من شكٍّ إنَّ أهل البيت هم أقرب النَّاس إلى ربِّ البيت وصاحبه،

---

(١) آل عمران/ ٦٨.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٤٥٢.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٥٢٦.
(٤) المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٨٠/٣، عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ١٥٤٧/٤، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٤١/٤.
(٥) المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٨١/٣، عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ١٥٤٨/٤.
(٦) المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٨٣/٣، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٤٦/٤.
(٧) المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٨٧/٣، عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ١٥٥٧/٤، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٥١/٤.
(٨) العيَّاشيّ/ تفسير العيَّاشيّ، ٣١٣/١، الفيض الكاشانيّ/ الصَّافي، ٦٢/٢، أبو بكر جابر الجزائريّ/ أيسر التَّفاسير، ٣٢٨/١، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٥٠/٤.
(٩) المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٨٦/٣، عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ١٥٥٥/٤، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٥٠/٤.
(١٠) عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ١٥٥٥/٤، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٥٠/٤.
(١١) المائدة/ ٥٥.
(١٢) محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ٢٣٩/٦.

وأعلمهم بسنَّته، وأوَّل من آمن به وناصره ودافع عنه، وبهذه الحجَّة العقليَّة النَّقليَّة ثبت إنَّه أولى بالخلافة من السَّابق واللَّاحق[1]، وأعظم من ذلك إنَّ رسول الله (ﷺ) أخذ بيده يوم غدير خم وقال: ((من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمَّ والِ من والاه وعادِ من عاداه ليبلِّغ الشَّاهد منكم الغائب))[2]، فالإمام في موقفه الدَّاعي إلى الحكم بالشُّورى تطبَّق عليه الآية لأنَّه يتَّبع سنَّة النَّبيّ في الحكم بالشُّورى دون معاوية[3]، لأنَّ الارتباط بالأنبياء والولاء لهم إنَّما يكون عن طريق الإيمان واتِّباعهم فقط، وبناءً على ذلك فإنَّ أقرب النَّاس لإبراهيم هم الَّذين يتَّبعون مدرسته ويلتزمون أهدافه سواء بالنِّسبة للَّذين عاصروه أو الَّذين بقوا بعده أوفياء لمدرسته وأهدافه مثل نبيّ الاسلام (ﷺ) وأتباعه؛ لأنَّ احترام الأنبياء إنَّما هو لمدرستهم لا لعنصرهم وقبيلتهم ونسبهم، وقد بقي رسول الله (ﷺ) والمسلمون من أوفى الأوفياء له، فلا بدَّ أنْ يكون هؤلاء هم الأقربون إلى إبراهيم (عليه السلام)[4]، كما جاء عن الإمام عليّ (عليه السلام) قوله: ((إنَّ وليَّ محمَّد من أطاع الله وإنْ بعدت لحمته، وإنَّ عدوَّ محمَّد من عصى الله وإن قربت قرابته))[5].

وظهر ممَّا سبق أنَّ أولى النَّاس بالطَّاعة والتَّبعيَّة لرسول الله (ﷺ) هو الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فهو أقرب الخلق إليه، وأوَّل من آمن به، وصدَّقه، وتعلَّم منه العلم والحكمة وشاركه في كلِّ ما يتعلَّق بأمور الدِّين والدُّنيا، فلا بدَّ من أنْ تكون له الأولويَّة في الحكم والخلافة، وهذه حقيقة دلَّ عليها استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

(١) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤٧٢/٣.
(٢) الحرُّ العامليّ/ اثبات الهُداة، ٥٠/٣.
(٣) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٥٠/٤.
(٤) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ الأمثل، ٣٢٠/٢.
(٥) محمَّد الريشهريّ/ ميزان الحكمة، ٣٠٢٣/٤.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في رسالة لأمير المؤمنينَ (عليه السلام) وتُمثِّل جوابًا على أحد كتب معاوية إلى الإمام (عليه السلام)[٢]، وقد دلَّت هذه الرِّسالة على النَّقد والتَّعريض[٣]، حيث يتعرَّض فيها لفضح ادِّعاءات معاوية الواهية وقبح كلامه فيما يتَّصل بوصف الإسلام وعظمة النَّبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله)، ويُظهِر تعجُّبه الشَّديد منها[٤]، ثمَّ يتعرَّض لذكر فضائل بني هاشم وأهل البيت (عليهم السلام) بأفضل تعبيرات وأبلغ كلمات، ويقارن بينهم وبين بني أميَّة وأتباعهم بالقرائن والشَّواهد التَّاريخيَّة[٥]، ويذكر أحقيَّته بالخلافة، ثمَّ يتعرَّض لنقد بعض عبارات معاوية غير المؤدَّبة في رسالته، وموقفه من قتل عثمان، وأخيرًا قول الأمام في مقام الجواب عن تهديد معاوية بالهجوم والحرب[٦].

أنَّ أمير المؤمنينَ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ في مسألة أولويَّة أولوا الأرحام في الحكم والولاية، فكما لهم الأولويَّة في الميراث، لهم الأولويَّة في الولاية في حكم الله[٧]، فكان عليًّا (عليه السلام) أخصُّ أولي الأرحام برسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأقربهم إليه وهذا يوجب الولاية له (عليه السلام)[٨]، فهو أولى برسول الله من غيره؛ لأنَّه كان أخاه في الدُّنيا والآخرة، وأحرز ميراثه وسلاحه ومتاعه وبَغْلَتِه الشَّهباء، وورث كتابه من بعده، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[٩]، وهو القرآن كله وكان يعلِّم النَّاس من بعد النَّبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) ولم يُعلِّمه أحد، وكان يُسأل ولا يَسأل أحدًا عن شيءٍ من دين الله[١٠]، وبهذا تكون ولايته (عليه السلام) قائمة ومرجَّحة على غيرها؛ لأنَّ ولاية ذوي الأرحام لا تعتبر إلَّا بالنِّسبة لمحلِّ الولاية الشَّرعيَّة، فأولوا الأرحام أولى بالولاية ممَّن ثبت لهم ولاية تامَّة أو ناقصة كالَّذين آمنوا ولم يهاجروا في ولاية النَّصر في الدِّين إذا لم يقم دونها مانع من كفرٍ أو ترك هجرة، فالمؤمنونَ بعضهم لبعضٍ أولياء ولاية الإيمان، وأولوا الأرحام منهم

---

(١) الأنفال/ ٧٥.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٤٥٢.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٥٢٦.
(٤) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٨٨/١٥، المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٨٠/٣، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٤٢/٩.
(٥) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٩١/١٥، ظ: المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٨٢/٣-٨٤.
(٦) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٩٥/١٥-٩٨، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٤٣/٩.
(٧) السَّمرقنديّ/ بحر العلوم، ٢٩/٢، ابن الجوزيّ/ زاد المسير، ٢٢٩/٢.
(٨) هاشم البحرانيّ/ البرهان، ٣٥٨/٣، المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٨٦/٣، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤٦/١٥.
(٩) فاطر/ ٣٢.
(١٠) هاشم البحرانيّ/ البرهان، ٣٥٨/٣، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤٧/١٥.

بعضهم لبعضٍ أولياء ولاية النَّسب، وهذا يبيّن ما لوشائج الأرحام من الاعتبار في نظر الشَّريعة؛ لذلك عُلِّقَت أولويَّة الأرحام بأنَّها كائنة في كتاب الله[1]، فالقربى توجب الأولويَّة في الحكم والإمام في موقفه الدَّاعي إلى الحكم بالشُّورى تُطبَّق عليه هذه الآية فهو أقرب نسبًا إلى الرَّسول من معاوية؛ لأنَّ القرآن الكريم هو المرجع الوحيد والقانون السِّياسيّ للإسلام فما يفوتنا شيء إلَّا ونرجع فيه إلى القرآن في حلِّ المشاكل الَّتي تواجه الأمَّة الاسلاميَّة[2]، فالواقع إنَّ الإمام في ذكره لهذه الآية أوصد جميع الطُّرق على معاوية فإنْ كان المعيار في خلافة النَّبيّ الأكرم (ﷺ) القرابة فهو أولى من الجميع بذلك لأنَّه أقرب للنَّبيّ (ﷺ) من سائر المسلمينَ أمَّا بني أميَّة وغيرهم الَّذين تربَّعوا على كرسيّ الخلافة لا يملكون هذه الميزة لإحراز الأولويَّة[3].

ويبدو ممَّا تقدَّم أنَّ أولي الأرحام بعضهم أولى من بعض في كتاب الله، وأولى النَّاس بالولاية والحكم، وأقربهم إلى النَّبيّ (ﷺ) هو أمير المؤمنينَ (عليه السلام) لذلك تجب ولايته؛ إذ هو أقرب من غيره، كما إنَّه كان ملازمًا له في كلِّ أمور حياته ممَّا يتعلَّق بالدُّنيا والآخرة، وورث كتابه من بعده، فكان لزومًا أن تكون له الأولويَّة في الحكم، وبيان هذه الحقيقة قائم على استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

(١) محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ٩٢/١٠.
(٢) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٤٩/٤.
(٣) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٦٧/٩.

المَبْحَثُ الثَّانِي: اسْتِنْطَاقُ الصِّفَاتِ المُوجِبَةِ لِلظَّفَرِ

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾(١)

وردت الآية المباركة في خطبة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) الدَّالة على تعليم رسوم الحرب والحثِّ على القتال، وقد قالها لأصحابه أوَّل اللِّقاء بصفِّين(٢)، حيث ذكر فيها وصايا عدَّة بمراعاتها يتحقَّق النَّصر على الأعداء، فقد أكَّد على خشية الله تعالى وامتثال أوامره، والصَّبر على الحرب(٣)، وأمرهم بشدَّة التَّحصُّن، وقلقلة السُّيوف من أغمادها؛ لسهولة جذبها عند الحاجة إليها(٤)، ثمَّ بيَّن لهم بأنَّهم بعين الله فهو الَّذي يعلم أعمالهم وأسرارهم، ومع ابن عمِّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلا بدَّ من الثَّبات على القتال(٥)، وعيَّن مقصدهم في مجاهدة العدوّ حتَّى يظهر لهم نور الحقِّ بالنَّصر والظفر(٦).

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ لذكر صفة من صفات المؤمنينَ، للحثِّ على محاربة العدوّ والثَّبات على المقصد، فبيَّن أنَّهم الغالبون العالون، وإنَّه تعالى يؤتيهم أجورهم(٧)؛ لأنَّهم على الحقّ فلا ينقص أو يضيع شيئًا من أعمالهم(٨)، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾(٩)، ولأنَّهم أنصاره فهو سبحانه معهم بالمعونة والنصر على الأعداء، لذلك أخبر بإنَّ الغلبة لهم، فمن كان الله معه فهو العالي الغالب(١٠)، ويؤيِّد ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١١)، وفي ذلك تكريم للمؤمنينَ وإظهار لفضيلة

---

(١) محمَّد/ ٣٥.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٩٦، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ١٠٠.
(٣) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٣٣٩/١، عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ٣٦٥/١، ميرزا بن حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٣/٥.
(٤) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٣٣٩/١، ميرزا بن حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٣/٥.
(٥) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٣٣٩/١، عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ٣٦٧/١.
(٦) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٣٤٠/١، عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ٣٧٠/١، ميرزا بن حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٤/٥.
(٧) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٣٤٠/١، الخازن/ لباب التَّأويل، ١٥٠/٤، الفيض الكاشانيّ/ الصَّافيّ، ٤٨٤/٦، المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ١٩٥/١، ميرزا بن حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٥/٥، القمِّي/ تفسير القمِّي، ٩٨٥/٣
(٨) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٣٤٠/١، القرطبيّ/ الجَّامع لأحكام القرآن، ٤٢١/١٩، الخازن/ لباب التَّأويل، ١٥٠/٤، الفيض الكاشانيّ/ الصَّافيّ، ٤٨٤/٦، المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ١٩٥/١، ميرزا بن حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٥/٥، القمِّي/ تفسير القمِّي، ٩٨٥/٣.
(٩) الحجرات/ ١٤.
(١٠) الخازن/ لباب التَّأويل، ١٥٠/٤.
(١١) الرُّوم/ ٤٧.

سابقة الإيمان حيث جعلهم مستحقِّين النَّصر والظَّفر[١]، وذلك فيه تسكين لنفوسهم، وبشارة بالمطلوب بالحرب وهو العلوّ والقهر وتثبيت لهم على المضي في طاعته وتذكير لمجازاة الله لهم على أعمالهم في الآخرة، وبعث لهم بذلك على لزوم العمل[٢]، كما فيه حثٌّ على عدم الضُّعف عن جهاد المشركينَ، ودعوتهم إلى الصُّلح والمسالمة لإظهار العجز، بل لا بدَّ من الإصرار والثَّبات على مقاتلتهم، كون الله تعالى معهم فلا خوف عليهم[٣]، لأنَّه تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[٤]، فلا بدَّ من الصَّبر على الأذى، والاستعانة على تحقيق النَّصر وتحصيله بمعونة الله تعالى كونه سبحانه مع الَّذين يتَّقونه والَّذين هم محسنون فيكون معهم في التَّأييد والنَّصر[٥].

ويبدو ممَّا تقدَّم أنَّ الله سبحانه ينصر المؤمنينَ ويجعل العلو والغلبة لهم، ويكون معهم في العون والنصَّر على أعدائهم، ولا ينقص أو يضيع شيئًا من أعمالهم بل يجازيهم ويثيبهم عليها لأنَّه تعالى لا يظلم أحدًا ولا يخذل من توكَّل عليه، فلا بدَّ من الصَّبر والثَّبات على المقصد وعدم الاستسلام، وهذا ما دلَّ عليه استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

(١) أبو حيَّان الأندلسيّ/ البحر المحيط، ١٧٣/٧.
(٢) عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحينِ، ٣٧٠/١.
(٣) أحمد مصطفى المراغيّ/ تفسير المراغيّ، ٧٦/٢٦.
(٤) النَّحل/ ١٢٨.
(٥) محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ٣٣٨/١٤.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) يصف فيها المتَّقينَ، وقد دلَّت هذه الخطبة على التَّعليم والإرشاد[٢]، وكانت جواب له (عليه السلام) لصاحبٍ له يُدعى همام بعد سؤاله له أنْ يصف له المتَّقين[٣]، فأشار أوَّلًا إلى ضرورة الرُّؤية الواضحة في الحياة من الجوانب العقائديَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، إذ لكلٍّ منها مسؤوليَّات يتمتَّع المُتَّقون فيها برؤية واضحة في مسيرتهم في الحياة[٤]، ثم استعرض الصِّفات الذَّاتيَّة للمتَّقين، والَّتي لولا وجودها الذَّاتيّ ما ظهر الخير منهم[٥]، وذكر منهاجهم اليوميّ الَّذي يستوعب حياتهم كلَّها في اللَّيل والنَّهار من دون إضاعة لحظة منها فيما لا يعود نفعه على الإنسان والإنسانيَّة[٦]، ثمَّ ذكر علامات المتَّقينَ الدَّالة على تلك الصِّفات[٧]، ثم ختمها بذكر مثال المتَّقين متمثِّلًا بشخصه (عليه السلام)[٨].

إنَّ الإمام عليّ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ لذكر صفتينِ من صفات المتَّقينَ هما: تقوى الله، ففي ذلك التزام بالمسؤوليَّات تجاه الخالق، والإحسان إلى عباده، وفي ذلك التزام بالمسؤوليَّة تجاه خلق الله أجمعين، إذ هما سببًا في تحقيق النَّصر والظَّفر في الدُّنيا والآخرة[٩]، فالَّذي يتَّقِ الله فيما حرَّم عليه ويخافه ولا يشرك به شيئًا، وأحسن فيما افترض عليه ووحَّد ربِّه يكون الله تعالى معه[١٠]، كما وعده الله تعالى في كتابه العزيز أن يكون وليًا وناصرًا له؛ لأنَّه من أهل التَّقوى والاحسان[١١]، إذ كلًا من التَّقوى والاحسان سببًا مستقلًا في موهبة النُّصرة الإلهيَّة، وإبطال مكر أعداء الدِّين

---

(١) النَّحل/ ١٢٨.
(٢) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٤٠٩.
(٣) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٣٥٠، ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٦١/١٠، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٣٣/٣.
(٤) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٦١/١٠، ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٢١٦/١٣-٢١٩، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٣٤/٣.
(٥) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٦١/١٠، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٣٦/٣-٢٣٨.
(٦) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٦٤/١٠-٦٦، ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٢٣٥/١٣-٢٤٩، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٣٩/٣-٢٤٢.
(٧) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٦٧/١٠-٧٢، ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٢٤٩/١٣-٢٨٥.
(٨) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٧٣/١٠، ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٢٨٥/١٣، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٥٤/٣.
(٩) الزَّجاج/ معاني القرآن، ٢٢٢/٣، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٣٣/٣.
(١٠) الواحديّ/ التَّفسير البسيط، ٢٣٩/١٣، ميرزا بن حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٠٥/١٢، مجموعة من المؤلِّفينَ/ التَّفسير الميسَّر/ ٢٨١.
(١١) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٦١/١٠.

ودفع كيدهم[١]، ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[٢]، وهذه المعيَّة خاصَّة بعباده المؤمنينَ، وهي بالإعانة والنَّصر والتَّوفيق[٣]، لذلك صار فرضًا على العبد القيام بالتَّقوى، والأخذ بها على قدر ما حصل له المعرفة به من معناها، وحقيقتها في الكتاب والسنَّة، وما تبيَّن اجمالًا من ماهيَّتها، وكما يعرفها جميع المؤمنينَ[٤]، وسُئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن التَّقوى فقال: ((أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك))[٥]، كما يجب عليه الإحسان في عمله، فقد سيقت الآية المباركة ترغيبًا للقيام بهما، أي: الواجب على العبد الأخذ بالتَّقوى، والقيام بالحسنى من الأعمال الصالحة[٦]، لأنَّ جميع تفاصيل صفات المتَّقين ترجع إلى هذين الأصلين (التَّقوى والإحسان)، وأيّ عمل لا يرجع إلى هذين الأصلين لا يكون من التَّقوى؛ لأنَّ المفهوم اللُّغويّ للمادَّة هو الوقاية ممَّا يحرف الإنسان عن انسانيَّته ؛ فإنَّ مقتضى طبيعة الإنسان تحمُّل المسؤوليَّة الإنسانيَّة وإداء الدَّور الإنسانيّ في الحياة بأنْ يعيش حياة ذات هدف إنسانيّ تختلف عن سائر الحيوانات وهذا الهدف الإنسانيّ له جانبان بالنِّسبة إلى الخالق وبالنِّسبة إلى الخلق، فمن أتى بهما وقى نفسه من الهلاك في الدُّنيا والآخرة، دون من قصَّر في مسؤوليَّاته فيهما[٧].

يتَّضح ممَّا تقدَّم أنَّ تقوى الله والإحسان إلى العبد من صفات المتَّقين وهما سببًا في تحقيق النَّصر والمعونة والظفر، لأنَّ الله سبحانه مع الَّذين اتقوه بتوفيقه وعونه وتأييده ونصره، من خلال امتثال أوامره واجتناب نواهيه، كما إنَّه تعالى مع الَّذين يُحسنون إليه بإداء فرائضه والقيام بحقوقه ولزوم طاعته، وممَّا يجدر ذكره إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) في ذكره لصفات المتَّقينَ مستند إلى استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

---

(١) محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ٣٧٥/١٢.
(٢) التَّوبة/ ٤٠.
(٣) محمَّد الأمين الشَّنقيطيّ/ أضواء البيان، ٤٦٥/٣.
(٤) ميرزا بن حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٠٤/١٢.
(٥) المجلسيّ/ بحار الأنوار، ٢٨٥/٦٧.
(٦) ميرزا بن حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٠٥/١٢.
(٧) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٣٤/٣.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِين﴾[١]

وردت الآية الكريمة في حِكْمَة للإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، وقد دلَّت الحِكْمَة على الإحسان وأعمال البرّ[٣]، وفيها ينهى الإمام عن الزُّهد في المعروف بسبب عدم شكر المُحسِن إليه ويرغِّب في العمل الحسن[٤].

إنَّ أمير المؤمنينَ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ لبيان إنَّ الله سبحانه وتعالى مع المحسنينَ، فالمؤمنونَ الَّذين يعملون الأعمال الصَّالحة يكون الله تعالى معهم بالنَّصر والمعونة في دنياهم وبالثَّواب والمغفرة في آخرتهم[٥]، ففي ذلك ترغيب بالعمل الصَّالح لمحبَّة النَّاس للإحسان والمحسنينَ، ومحبَّة الله سبحانه للإحسان والمحسنينَ، فلابد من عمل المعروف للدخول في زمرتهم[٦]، فإنْ أنعمتَ على إنسان غير شاكر لك فلا يوجب عدم شكره لك ترك المعروف؛ بسبب كفران النِّعمة من الكافر بها لأنَّ الله سبحانه يحبُّ المحسنينَ[٧]، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٨]،[٩]، فكلُّ من كان عملُ الحسنات شِعاره كان في عِداد من مضى من الأنبياء والصَّالحينَ[١٠]، وكلُّ من اتَّقى في أفعاله، وأحسن في أعماله كان الله معه في جميع أحواله؛ لأنَّه تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[١١]،[١٢]، وفي ذلك حثٌّ على إسداء المعروف للشَّاكر والكافر، وتنبيه على عدم حصره بالشَّاكر بظنِّ ضياع المعروف عنده وكفرانه له، فإنَّ المعروف لا يضيع فإنْ لم يؤدِّ شكره من أعطيته فإنَّ الله أعدَّ لإداء شكره غيره، فضلًا عن إنَّ الله تعالى هو الشَّاكر الحقيقيّ لكلِّ معروفٍ ويحبُّ كلَّ محسن[١٣]، فلا يتسبَّب ذلك في نفرتك وابتعادك عن العمل الخيريّ، ولا تقول: لا خير في هذا العمل الَّذي لا يحمد الإنسان عليه،

---

(١) العنكبوت/ ٦٩.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٥٨٧.
(٣) أويس كريم محمَّد/ المعجم الموضوعيّ لنهج البلاغة/ ٣٠٢.
(٤) عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ١٩٣١/٤.
(٥) الماورديّ/ النُّكت والعيون، ٢٩٥/٤، الطَّبرسيّ/ مجمع البيان، ٣٣/٨، الفيض الكاشانيّ/ الأصفى، ٩٥٢/٢.
(٦) عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ١٩٣١/٤.
(٧) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ١٧/ ٢٠١، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٣١٩/٢١.
(٨) البقرة/ ١٩٥.
(٩) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ١٧/ ٢٠١.
(١٠) محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ٣٧/٢١.
(١١) النَّحل/ ١٢٨.
(١٢) محمَّد عبد الحقّ النَّسفيّ/ مدارك التَّنزيل، ٥٤١/٤.
(١٣) ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٣١٩/٢١.

فإنَّ من النَّاس من إذا سمع الإحسان مَدَحَ المُحسِن حتَّى وإنْ لم يبلغه إحسانك إليه، فأحسِن حتَّى يحبُّك الله تعالى وإنْ لم يشكرك النَّاس[1].

وواضحٌ ممَّا سبق الحثُّ على عدم ترك المعروف من قِبَل المُنعِم بسبب كُفران النِّعمة من الكافر بها وعدم شكره، بل لا بدَّ من الاستمرار في عمل المعروف بغية نيْل محبة الله سبحانه ورضاه ورحمته ومغفرته، لأنَّ الله سبحانه وتعالى مع المُحسنينَ، وهو الشَّاكر الحقيقي لكلِّ عملٍ حسن، كما إنَّ ترك الشُّكر من بعض الأفراد وإنْ كان قبيحًا، فإنَّه لا ينبغي أنْ يؤدِّي إلى ترك المعروف، ومن الجدير بالذِّكر إنَّ أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) في ذكر هذه الحقيقة مستند إلى استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

(١) محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٣٦٥/٣.

٤- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في رسالةٍ لأمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وهي نوع من رسائل الوصايا والتَّعاليم، قالها (عليه السلام) لأهله قبل موته لمَّا ضربه ابن ملجم لعنه الله[٢]، وتشتمل على قيم عالية، وموعظة بالغة؛ ليعتبروا بحاله (عليه السلام) حيث أوصاهم أنْ لا يشركوا بالله شيئًا، كما أوصاهم بسُنَّة رسول الله للعمل بها والقيام بإحيائها، وإنَّ هذين العمودينِ يشكِّلان العمود الفقري للدِّين والشَّريعة، ثمَّ نعى (عليه السلام) إليهم نفسه ووعظهم بحاله باعتبار أوقاته الثَّلاثة الأمس، واليوم والغد[٣]، ورغَّب في العفو عن الظالمينَ، وذكر إنَّه (عليه السلام) كان على بيّنة واضحة من أمر الموت وما بعده، وشبَّه نفسه بالقارب الَّذي ورد، وبطالب أمرٍ ضائع منه فوجده، وقد أدرك ما سعى إليه وما كان يعمل من أجله[٤].

إنَّ الإمام عليّ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ للإشعار بوجدان مطلوبه منبِّهًا على أنَّ مطلوبه في الدُّنيا لم يكن إلَّا ما عند الله الَّذي هو خير لأوليائه الأبرار من كلِّ مطلوب يُطلَب، لأنَّ طيب النفس وبهجتها بما تصيبه من مطالبها وهذا ممَّا يتفاوت لتفاوت المطالب في العزَّة والنَّفاسة ولمَّا كانت المطالب الأخرويَّة أهمّ المطالب وأعظمها قدرًا وأعزَّها جوهرًا أوجب أنْ يكون بهجة نفسه بها، وقرَّة عينه بما أصاب منها أتمُّ كلّ بهجة بمطلوبٍ[٥]، فقد قيل للإمام الصَّادق (عليه السلام) صف لنا الموت؟ فقال: ((الموت للمؤمن كأطيب ريح يشمَّه فينعس لطيبه، وينقطع التعب والألم كلَّه عنه))[٦]، لذلك فإنَّ الإمام عليّ (عليه السلام) كان يطلب الوصول إلى الله والانتقال إلى الدَّار الفانية؛ لأنَّه يعلم إنَّ ما عند الله من ثوابٍ وأجرٍ ونعيمٍ وخلودٍ أفضل للأبرار والأتقياء من الدُّنيا وما فيها من عذابٍ وشقاءٍ[٧]؛ لأنَّه تعالى يقول: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾[٨]، فالنَّعيم المقيم هو ما عند الله، ولا شكَّ إنَّه أفضل ممَّا يتقلَّب فيه الفجَّار من المتاع القليل الزائل[٩]، فأنَّ الله سبحانه في موضع التَّربية،

---

(١) آل عمران/ ١٩٨.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٤٤٢، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٥٤/٤، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٥١٦.
(٣) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٥٥/٤، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٩٨/٤، محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٩/٤.
(٤) ظ: ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٥٥/٤-٣٥٦، ظ: محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٩/٤-١٠.
(٥) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٥٦/٤.
(٦) الصَّدوق/ علل الشَّرائع، ٢٩٨/١.
(٧) السَّمين الحلبي/ الدرُّ المصون، ٥٤٩/٣، محمَّد تقي التَّستريّ/ بهج الصِّباغة، ٦٠/١١، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٩٩/٤.
(٨) الانفطار/ ١٣.
(٩) السَّمين الحلبي/ الدرُّ المصون، ٥٤٩/٣، محمَّد جمال الدِّين القاسميّ/ محاسن التَّأويل/ ٤٨٦.

وفي مجال إقرار القيم الأساسيَّة في التَّصور الإسلاميّ لا يَعِدُ المؤمنينَ بالنَّصر ولا يَعِدهم بقهر الأعداء أو التَّمكين في الأرض أو بشيءٍ من الأشياء في هذه الحياة، إنَّما يَعِدهم شيئًا واحدًا هو (ما عند الله) وهذا هو الأصل في هذه الدَّعوة ونقطة الانطلاق في هذه العقيدة، وهذا هو التَّجرُّد المطلق من كلِّ هدفٍ وغايةٍ ومطمعٍ؛ لأنَّها عقيدة وفاءٍ وعطاءٍ وأداءٍ بلا مقابل[1]، لذلك فأنَّ الإمام عليّ (عليه السلام) أومأ إلى السَّبب الموجب لحثّه للموت وهو إنَّ ما عند الله خير للأبرار، وهو (عليه السلام) صفوة الأبرار وإمام الأخيار[2]، كما إنَّ الجنَّات المذكورة مع كلّ ما فيها من المواهب الماديَّة هي أوَّل ما يقدَّم يوم القيامة إلى المؤمنينَ المتَّقينَ، أمَّا الضِّيافة المهمَّة والعليا فهي النِّعم والمواهب المعنويَّة المقصودة من قوله: (ما عند الله)[3].

وظاهرٌ ممَّا تقدَّم أنَّ ما عند الله تعالى من النَّعيم المقيم والأجر والثَّواب خير للأبرار المتَّقينَ مما في الدُّنيا من المتاع الزائل، والإمام عليّ (عليه السلام) خير الأبرار؛ لذلك كان ينتظر الموت والفناء؛ لأنَّ غاية مطلوبه هو نيل ما عند الله من النَّعيم الدائم المختصِّ بالأبرار، وهذه حقيقة دلَّ عليها استنطاق النَّصِّ القرأنيّ.

(١) سيِّد قطب/ في ظلال القرآن، ٥٥٠/١.
(٢) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤٤١/٣.
(٣) ناصر مكارم الشَّيرازيّ/ الأمثل، ٥٥٤/٢.

٥- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة أمير المؤمنينَ عليّ (عليه السلام) وفيها يحمد الله ويُثني على نبيّه ويوصي بالزُّهد والتَّقوى[٢]، وقد دلَّت الخطبة على التَّعليم والإرشاد[٣]، وتحدَّث فيها عن التَّقوى وأهلها، وإنَّها كانت مطلوبة في كلِّ الأمم المتعاقبة، ورغَّب فيها، وبيَّن خصائصها[٤]، ثمَّ تحدَّث عن الدُّنيا باعتبارها أهمُّ ما يعترض حياة الإنسان لكثرة مغرياتها المادّية والخياليَّة وذكر صفاتها، وبيَّن أهمُّ المسؤوليَّات تجاهها، وأسباب عدم الاغترار بها[٥]، وأشار إلى خصائص أهل الدُّنيا وذكر النتائج الحتميَّة لمن يتَّصف بهذه الصِّفات، وإنَّ مصيره إلى الخسران بسبب تقصيره[٦].

إن أمير المؤمنينَ عليًا (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة الشَّكر وتقوى الله والعمل بطاعته[٧]، وتعجَّب من قلَّة من قَبِل التَّقوى وحَمَلَها حقّ حَمْلها، أي: أخذها وحفظها بشرائطها واستعدَّ بها ليؤدِّي أمانة الله فيها، إذ هي الأمانة المعروضة، وحَكَمَ بكون حاكمها وقابلها هم أقلُّ النَّاس عددًا، وإنَّهم أهل صفة الله سبحانه الَّذين وصفهم الله بلفظة (الشَّكور)[٨]، وهو من يشكر الله على جميع أحواله، وفي ذلك تحريض وتنبيه على الشُّكر[٩]، لأنَّ العامل بطاعة الله سبحانه الشَّاكر من عبادهِ لنعمته قليل[١٠]، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[١١]، فالشَّكور يجب أنْ يتكرَّر منه الشُّكر، ويكون قادرًا على إداءه بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته، كثير الطَّاعة لله[١٢]، ويشهد على ذلك ما روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله: ((كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند عائشة ليلتها فقالت يا رسول الله لِمَ تُتعِب نفسك، وقد غفر لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، فقال: يا عائشة ألا أكون عبدًا شكورًا))[١٣]، وهذه الفئة أقلُّ عددًا بالنِّسبة إلى من لا يتقيَّد بالتَّقوى ولا يطبّقها بشروطها، وبالنِّسبة إلى من لا يعتقد بالتَّقوى كأصلٍ ثابت في الحياة، بل الأكثر ممَّن يعبد المادَّة

---

(١) سبأ/ ١٣.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٣٢٩.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٣٨٠.
(٤) ظ: الرَّاونديّ/ منهاج البراعة، ١٦٣/٢-١٦٤، ظ: ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٠٠/٤-٢٠٤.
(٥) ظ: الرَّاونديّ/ منهاج البراعة، ١٦٥/٢-١٦٦، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٣٨/٣.
(٦) ظ: الرَّاونديّ/ منهاج البراعة، ١٦٦/٢-١٦٨، ظ: ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٢١٠/٤-٢١٣، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٤٣/٣-١٤٥.
(٧) الثَّعلبيّ/ الكشف والبيان، ٧٩/٨.
(٨) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٠٢/٤، محمَّد بن حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢١٢/١١.
(٩) أبو حيَّان الأندلسيّ/ البحر المحيط، ٢٥٥/٧.
(١٠) محمَّد عليّ الشُّوكانيّ/ فتح القدير، ٤١٩/٤، أحمد مصطفى المراغيّ/ تفسير المراغيّ، ١١٥/٨.
(١١) الأعراف/ ١٧.
(١٢) محمَّد بن حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢١٢/١١.
(١٣) الكلينيّ/ الكافيّ، ٩٥/٢.

والمادِّيات والعناوين الخياليَّة ويرجِّحها على متطلِّبات الرُّوح في الحياة، فإنَّ القلَّة العدديَّة مع الرُّؤية الواضحة في المبدأ والمسير والمصير أكثر نفعًا في المجتمع من الكثرة الَّتي تتبع كلّ ناعق[1]، فالشُّكر المقصود ليس هو الشُّكر باللِّسان فقط، إنَّما هو الشُّكر العمليّ، أي: الاستفادة من المواهب الإلهيَّة في طريق الأهداف الَّتي خُلِقت من أجلها، وهم النُّدرة النَّادرة، لأنَّ الشُّكر يكون بالقلب بتصوُّر النِّعمة والرِّضا بها، وباللِّسان بالحمد والثَّناء على المُنعِم، وبسائر الأعضاء والجوارح بتطبيق الأعمال مع متطلِّبات تلك النِّعمة، فالمراد كثرة الشُّكر ودوامه بالقلب واللِّسان والأعضاء والجوارح، وفيه إشارة إلى تعظيم مقام هذه المجموعة النَّموذجيَّة، وحثِّ المُستمِع ليكون من أفراد تلك الزُّمرة؛ ليزيد جمع الشَّاكرينَ[2].

انكشف ممَّا تقدَّم وجوب شُكْر الله تعالى على نعمه في أحواله كلّها، فإنَّ أهل التَّقوى الآخذينَ بها بشرائطها ووظائفها القابلونَ الحاملونَ لها، وأهل الشُّكر والطَّاعة الصَّادقة لله تعالى هم قِلَّة قليلة؛ لذلك لا بدَّ من كثرة الشُّكر لله تعالى ودوامه في كلِّ الأوقات، كما لابدَّ من تقوى الله سبحانه في السِّر والعلن؛ للاستعانة بها على الله، إذ فيها الطريق إلى الجنَّة، وبيان أهميَّة الشُّكر الَّتي ذكرها الإمام عليّ (عليه السلام) في نهج البلاغة وليد استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

(١) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٣٦/٣.
(٢) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ الأمثل، ٥٢٧/١٠.

المَبْحَثُ الثَّالِث: اسْتِنْطَاقُ الصِّفَاتِ المُوجِبَةِ لِلفَلَاحِ

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١)

وردت الآية الكريمة في رسالة لأمير المؤمنينَ (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف الأنصاريّ، وكان واليًا على البصرة(٢)، وقد دلَّت الرسِّالة على التَّوبيخ والتَّقريع(٣)، كتبها حين دُعِي عثمان إلى وليمة فبلغه ذلك فعاتبه ووعظه بهذه الموعظة الَّتي تكشف عن مدى زهد الإمام ومراقبته لعمَّاله حيث استبعد الإمام استجابة عثمان لهذه الوليمة؛ لأنَّها من جهة معادية للإمام (عليه السلام)، فأمره أن يجتنب كل أمرٍ فيه شبهة حرام(٤)، ثمَّ نبَّهه إلى أنَّ على الولاة أنْ ينظروا إلى الخليفة وطريقة حياته وأسلوب مسيرته وزهده(٥)، ثمَّ أخذ يخاطب الدُّنيا وكأنَّها تسمع وأقسم إنَّها لو تتجسَّد في الخارج بشيءٍ محسوس لأقام عليها الحدود والعقوبات(٦)، وبيَّن (عليه السلام) كيفيَّة ترويض النفس عن شهواتها لتكون من أهل السعادة والكرامة(٧).

إنَّ أمير المؤمنينَ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ لبيان إنَّ من يوصفونَ بأنَّهم حزب الله هم المفلحونَ يوم القيامة، فهم الَّذينَ جعل الله في قلوبهم التَّصديق وأعانهم وقوَّاهم بنور الإيمان وإحيائه، وهؤلاء يدخلون الجنَّة في الآخرة؛ لأنَّ الله سبحانه رضي بإيمانهم وطاعتهم(٨)، فهم جند الله وجند الله هم النَّاجون الَّذين فازوا بالجنَّة وبنعمة الله تعالى وفضله(٩)، لأنَّ الله تعالى قوَّاهم بالقرآن الَّذي هو حياة القلوب من الجهل فاهتدوا للحقِّ وعملوا به لما فيه من الحجج والبراهين، وفازوا بإخلاص الطَّاعة والعبادة فهم أولياء الله المفلحون النَّاجون الظَّافرون(١٠)، وهم أصحاب عِشرة حسنة عيونهم ساهرة تتهجَّد وتتعبَّد في جوف اللَّيل، لا ينامون لانشغالهم بالعبادة والمناجاة، وهم في ذِكرٍ دائمٍ واستغفار لا ينقطع وتسبيحٍ وتهليلٍ(١١)، أدُّوا ما عليهم من الواجبات وصبروا على الشَّدائد، وكمال

---

(١) المجادلة/ ٢٢.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٤٨٦.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٥٧٢.
(٤) ميثم البحرانيّ/ اختيار مصباح السَّالكينَ/ ٥٣٢، عبَّاس علي الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٧٣/٤، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٣٢٥/١٥.
(٥) ميثم البحرانيّ/ اختيار مصباح السَّالكينَ/ ٥٣٢، ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٣٢٧/١٥-٣٢٨.
(٦) ظ: عبَّاس علي الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٧٩/٤، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٣٥٥/١٥، محمَّد بن حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٨٧/٢٠.
(٧) ظ: عبَّاس علي الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٨٠/٤، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٣٥٩/١٥.
(٨) السَّمرقنديّ/ بحر العلوم، ٣٣٩/٣.
(٩) المصدر نفسه، ٣٣٩/٣، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٨٢/٤، محمَّد عبد الحقّ النَّسفيّ/ مدارك التَّنزيل، ٢٥٣/٧.
(١٠) الطَّبرسيّ/ مجمع البيان، ٣٢٤/٩.
(١١) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٨٢/٤، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٣٥٩/١٥.

الإنسان في السِّلوك إلى الله وصوله إلى هذه المقامات من خلال الاتيان بالفرائض وقيام اللَّيل فمن وُصِف بهذه الصِّفات فقد فاز فوزًا عظيمًا[1]، لأنَّه آمن بالله واليوم الآخر ولم يؤاخي من حادَّ الله ورسوله، وهؤلاء الحزب هم الأئمَّة أعوان الله[2]، لأنَّ قبول الولاية الإلهيَّة والأولياء الإلهيّين تُعدُّ من صفات حزب الله لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[3]، فالإمام يتحدَّث عن أفراد حزب الله ويبيّن إنهم الأشخاص المحبوبينَ عند الله تعالى لأنَّهم يتحرَّكون في سلوكهم اليوميّ من موقع إداء الفرائض الدِّينيَّة والتَّكاليف الفرديَّة ويقضون ساعات اللَّيل بالدُّعاء والابتهال وطرق باب الرحمة والدُّعاء خوفًا من الحساب والقيامة وهؤلاء المتَّقون القائمون بالأسحار والعابدونَ والزَّاهدونَ يوصفون بأنَّهم حزب الله[4].

وواضحٌ ممَّا تقدَّم أنَّ حزب الله الَّذين يعبدونه ويطيعونه ويؤدون ما عليهم من حقوقه، فيقيمون اللَّيل ويقضون أوقاتهم بالعبادة والاستغفار والتَّهليل هم المفلحونَ يوم القيامة، الباقونَ في النَّعيم المقيم، الفائزونَ بكلِّ محبوبٍ، الآمنونَ من كلِّ مرهوبٍ؛ لأنَّهم أنصار الله ودُعاة خَلْقِه.

(١) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٣٥٩/١٥.
(٢) القمِّي/ تفسير القمِّيّ، ١٠٥٧/٣.
(٣) المائدة/ ٥٦.
(٤) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١٨٩/١٠.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في حكمة لأمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، وقد دلَّت الحكمة على الإرشاد والموعظة[٣]، وفيها تحدَّث الإمام عن أمانيْنِ من العذاب كائنيْنِ في الأرض وهما وجود النَّبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله)، والاستغفار[٤]، وإنَّ المعني بالخطاب هم أهل مكَّة بعدم العذاب مع وجود النَّبيّ (صلى الله عليه وآله) بينهم وحال كونهم يستغفرون إلَّا إنَّ الحكم شمل كافَّة أهل الأرض، وبيَّن إنَّ الأمان الأوَّل قد رُفِع بوفاة نبيّ الرَّحمة محمَّد (صلى الله عليه وآله)، أمَّا الثَّاني فإنَّه يبقى معهم وهو الاستغفار[٥].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ لبيان أمرين فيهما الأمان من العذاب جعلهما الله سبحانه في الأرض، هما: وجود رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبركته القائمة أمانٌ من العذاب لأهل ملَّته وزمانه وبلده، فإنَّ الله سبحانه لا يعذِّب قومًا وفيهم نبيُّهم مقيمٌ بين أظهرهم، حتى يُخرِج النَّبيّ والَّذين آمنوا[٦]، فإرساله (صلى الله عليه وآله) رحمة للعالمين يقضي بعدم تعذيبهم وهو فيهم حتَّى يستحقُّوا سلب النِّعمة بأخذه عنهم[٧]، لذلك فإنَّ الله سبحانه لا يأخذهم بالخسف والهدم والصَّيحة وغيرها ممَّا أخذ به الأمم من العذاب[٨]، لأنَّه تعالى أكرم نبيَّه (صلى الله عليه وآله) أنْ يُريهُ في أمَّته ما يكره[٩]، كما قال تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ۝ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾[١٠]، فالإمام عليّ (عليه السلام) استنبط أمرًا غير ظاهر وهو تعميم الحكم على كافَّة النَّاس ولولا هذا التَّعميم لانحصرت الآية بعصر النَّبي خاصَّة[١١].

أمَّا الأمان الثَّاني: فهو الاستغفار، فإنَّ الله تعالى لا يعذِّب قومًا وفيهم المؤمنونَ يستغفرونَ[١٢]، فالرَّسول الكريم (صلى الله عليه وآله) بعد رحيله عن دار الفناء وغيابه ترك لأمَّته الاستغفار الَّذي يعني الإقلاع

---

(١) الأنفال/ ٣٣.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٥٦٥.
(٣) لبيب بيضون/ تصنيف نهج البلاغة، ٨١٣/٢.
(٤) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٦٧/٥، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٥٥٣/١٦.
(٥) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٩٩/٥، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٥٥٣/١٦.
(٦) الطَّبريّ/ جامع البيان، ١٥٧/١١، الواحديّ/ التَّفسير البسيط، ١٢٣/١٠، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٦٧/٥، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٥٥٣/١٦، أحمد مصطفى المراغي/ تفسير المراغيّ، ٣٠٢/٩، عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعديّ/ تيسير الكريم الرَّحمن/ ٣٦٤.
(٧) الواحديّ/ التَّفسير البسيط، ١٢٣/١٠، أحمد مصطفى المراغي/ تفسير المراغيّ، ٣٠٢/٩.
(٨) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٦٧/٥.
(٩) محمَّد تقي التَّستريّ/ بهج الصِّباغة، ٥٠٨/٢.
(١٠) الزُّخرف/ ٤١-٤٢.
(١١) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٩٩/٥.
(١٢) الطَّبريّ/ جامع البيان، ١٥٧/١١، الواحديّ/ التَّفسير البسيط، ١٢٣/١٠، أحمد مصطفى المراغي/ تفسير المراغيّ، ٣٠٢/٩.

عن الذَّنب والرّجوع إلى الله والتَّوبة عن المعصية، فإنَّ من قال استغفر الله متضمِّنًا قوله توبة صادقة واقلاعًا عن المعصية يتقبَّل الله منه توبته، ويؤمِّنه من العذاب[١]، فطلب المغفرة باقٍ للأمَّة إلى يوم القيامة، لذلك علينا أخذه والتَّمسُّك به؛ لأنَّ الله سبحانه يغفر الذِّنوب جميعًا، فأمير المؤمنينَ (عليه السلام) عبَّر عن الرَّسول والاستغفار بالأمانيْنِ، لأنَّ الله تعالى أمَّن النَّاس بوجودهما عن العذاب في الدُّنيا[٢]، ومنع من وقوعه بهم بعدما انعقدت اسبابه[٣]، ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[٤]، كما جاء عن الإمام الباقر عن النَّبي محمَّد (صلى الله عليه وآله) قوله: ((إنَّ لكم في حياتي خيرًا وفي مماتي خيرًا ... أمَّا في حياتي فقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾[٥]، وأمَّا في مماتي فتُعرَض علَيَّ أعمالكم فأستغفر لكم))[٦]، ولعلَّ هذا السِّر في عدم نزول العذاب في العواصم الفاسدة؛ لوجود من يستغفر الله فيها، فالباري (عزَّ وجلَّ) رحيم بعباده جعل الاستغفار وسيلة لتطهير النَّفس لمن انزلق في المعاصي، ومعه لا يبقى مجال للقنوط واليأس من رحمة الله مهما كانت الذِّنوب عظيمة[٧].

ظهر ممَّا تقدَّم أنَّ الله سبحانه وتعالى جعل وجود الرسول بين أظهر النَّاس، واستغفار المؤمنينَ أمْنًا لهم من عذاب الله سبحانه؛ لأنَّه تعالى جاء بالرَّسول الكريم رحمة للعالمينَ وهذا يقضي بعدم تعذيبهم مع وجود الرَّسول بينهم، كما إنَّه تعالى لا يعذِّب قومًا وفيهم المؤمنونَ يستغفرونَ، وذلك تحريض على الاستغفار وبيان لأهميَّته لما فيه من غفران للذُّنوب وقُرْب من الله سبحانه.

---

(١) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٦٧/٥.
(٢) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٥٥٣/١٦.
(٣) عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعديّ/ تيسير الكريم الرَّحمن/ ٣٦٤.
(٤) النِّساء/ ٦٤.
(٥) الأنفال/ ٣٣.
(٦) الكلينيّ، الكافي، ٢٥٤/٨.
(٧) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٩٨/٥.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[١]

وردت الآية الكريمة في حِكْمَة لأمير المؤمنينَ (عليه السلام)، وقد دلَّت الحِكْمَة على خطوة أخلاقيَّة وهي التَّأكيد على القناعة والرِّضا بالكفاف[٢]، ومعنى القناعة هو الرِّضا بما دون الكفاية، كما أكَّد الإمام عليّ (عليه السلام) على حُسنِ الخُلْقِ، فمَنْ حَسُنَ خُلُقَهُ يستحقُّ الإنسانيَّة[٣].

إنَّ أمير المؤمنينَ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ لبيان أنَّ الحياة الطيِّبة هي حياة الغنى والقناعة من الرِّزق الحلال، وحلاوة العبادة والعافية ومطلق الكفاية من كلِّ شيء[٤]، فطيب الحياة اللازم للصَّالحينَ إنَّما هو بنشاط نفوسهم ونيلها وقوَّة رجائهم، والرَّجاء للنَّفس أمر مُلِذ، وبهذا تطيب حياتهم؛ لأنَّهم احتقروا الدُّنيا فزالت همومها عنهم، وإن انضاف إلى هذا مالٌ حلال وعافية فهذا كمال[٥]، والقناعة تتطلَّب الصَّبر والزُّهد والعلم والجود بما في يدك، وعمَّا في يد غيرك، وهذا لا يحصل إلَّا لمن يعرف الدُّنيا ماهي، ويعرف عيوبها وآفاتها، ويعرف الآخرة وافتقاره إليها، فيبيع الدُّنيا بالآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[٦]،[٧]، فالقناعة كنزٌ لا ينفد، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((من أراد أن يكون أغنى النَّاس فليكن بما في أيدي الله أوثق منه في أيدي غيره))[٨]، فالحياة الطيِّبة توجد في القناعة بما رزقه الله تعالى، فمن لم يقنع بما رزقه الله تعالى يرى نفسه في الدُّنيا محتاجة إلى أبناء زمانه، فيكون خاضعًا خاشعًا لغيره؛ لأجل الوصول إلى آماله، ومن المعلوم إنَّ الحياة إذا كانت ملازمة للذلَّة والحقارة فهي حياة خبيثة قذرة، وأمَّا إذا كانت ملازمة للاستغناء عن النَّاس فهي الحياة الطيِّبة ولا تحصل إلَّا بالقناعة[٩]، لذلك قال تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١٠]، وتلك هي القناعة[١١]، فالإنسان القنوع يتلذَّذ بعمله فوق تلذُّذ صاحب المال والجاه، ولا يبطل تلذُّذه إعساره، إذ يرضيه الله بقسمته فيقنعه ويقلُّ اهتمامه بحفظ المال وتنميته، أمَّا الكافر فلا يهنأ عيشه بالمال والجاه إذ

---

(١) النَّحل/ ٩٧.
(٢) أويس كريم محمَّد/ المعجم الموضوعيّ لنهج البلاغة/ ٢٦٣.
(٣) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٨/١٩.
(٤) السَّمعانيّ/ تفسير القرآن، ٢٠٠/٣، ابن عطيَّة الأندلسيّ/ المحرّر الوجيز، ٤١٩/٣، ابن الجوزيّ/ زاد المسير، ٥٨٢/٢، محمَّد محمود حجازيّ/ التَّفسير الواضح، ٣٣٧/٢.
(٥) ابن عطيَّة الأندلسيّ/ المحرّر الوجيز، ٤١٩/٣.
(٦) التَّوبة/ ١١١.
(٧) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٩/١٩.
(٨) الطَّبرسيّ/ مشكاة الأنوار/ ٢٣١.
(٩) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٢٤٤/١٧.
(١٠) النُّور/ ٣٢.
(١١) صدِّيق حسن خان/ فتح البيان/ ٢١٣.

يزداد حرصًا وخوف فوات[١]، والحياة الطيّبة هي الحياة الَّتي فيها تثلج الصُّدور بلذَّة اليقين وحلاوة الإيمان والرَّغبة في الموعود والرِّضا بالقضاء وعتق الرُّوح والاستكانة إلى المعبود والتَّنوُّر بسرِّ الوجود الَّذي قام به[٢]، والاستغناء عن الخلق والافتقار إلى الحقِّ، فهي حياة لا ضنك فيها ولا تعب[٣]، ولمَّا كان الغرض من المُلْك اطمئنان النَّفس وضمان القوت والغنى عن الآخرينَ، فالقناعة تكفل هذا الغرض وتحققه وتقود إلى الرِّضا بما أعطى الله وما لم يعطِ، والصَّبر على ما حدث ويحدث من المفاجئات والمُخبِّآت[٤].

يبدو ممَّا تقدَّم أنَّ الحياة الطيّبة هي القناعة وغنى النَّفس والكفاية من كلِّ شيء، وهي حياة كريمة فيها سعادة ونعيم وتوفيق وتوجُّه إلى الله سبحانه وتعالى، واستغناء عن الخلق لتتلذَّذ النفوس وتهنأ بما أعطاها الله سبحانه من دون أن ترى نفسها محتاجة إلى أحدٍ من الخلق لتحيا حياة لا ضنك فيها ولا تعب.

(١) محمَّد جمال القاسميّ/ محاسن التأويل، ٤٠٧، محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ١٧٧/٧.
(٢) محمَّد جمال القاسميّ/ محاسن التأويل، ٤٠٧.
(٣) محمَّد محمود حجازيّ/ التَّفسير الواضح، ٣٣٧/٢.
(٤) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٣٥٤/٤.

٤- قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) الدالَّة على الشَّكوى من أمر الخلافة وترجيح الصَّبر ثمَّ مبايعة النَّاس له[٢]، وقد تعرَّضت الخطبة بجميع نصوصها إلى مسألة الخلافة بعد رحيل الرَّسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) والمشاكل الَّتي أفرزها عصر الخلفاء[٣]، كما أشارت لأصلح الأفراد وأجدرهم بالأخذ بزمام شؤون الأمَّة، ثمَّ يتطرَّق صراحة إلى أحقِّيته بالخلافة معربًا عن أسفه وابتئاسه لخروج الخلافة عن محورها الأصلي الَّذي خطَّط له الإسلام والنبيُّ (صلى الله عليه وآله)[٤]، ثمَّ يتحدَّث عن قضيَّة مبايعة الأمَّة والأهداف الكامنة وراء قبول البيعة بعبارات قصيرة غاية الرَّوعة والبيان[٥].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ ليُخبِر إنَّ الدَّار الآخرة ونعيمها المقيم الَّذي لا يزول جعلها الله لعباده المؤمنينَ المتواضعينَ الَّذين لا يريدونَ علوًّا في الأرض وترفُّعًا على خلق الله وتعاظمًا وفسادًا[٦]؛ لأنَّ التَّفاخر والتَّطاول على الغير مذموم، أمَّا إذا أحبَّ ذلك لمجرَّد التجمُّل فهذا لا بأس به[٧]، وفي ذلك زجرٌ عظيم ووعظٌ بليغ[٨]، لأنَّ من أراد الآخرة فلابدَّ له من رعاية ثلاثة أمور في دار الدُّنيا، أحدها: أنْ لا يريدوا علوًّا في الأرض والعلوُّ خروج عن الحدِّ وهو مذموم؛ لقوله تعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾[٩]،[١٠]، وثانيها: الفساد في الأرض وهو مذموم أيضًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[١١]، وثالثها: كونه من المتَّقين لأنَّ العمل لا يُقبَل إلَّا من أهل التَّقوى، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ

---

(١) القصص/ ٨٣.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٢٨، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٢٦.
(٣) ظ: البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ١٥٩/١-١٦٣، ظ: محقِّق من أعلام القرن الثَّامن/ شرح نهج البلاغة/ ٨٨-٩٥، ظ: ناصر مكارم الشيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢١٣/١-٢١٧.
(٤) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ١٦٤/١، ناصر مكارم الشيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢١٨/١.
(٥) ظ: البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ١٦٥/١-١٧١، شارح محقِّق من أعلام القرن الثَّامن/ شرح نهج البلاغة/ ٩٦، ظ: ناصر مكارم الشيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٢٠/١-٢٢٢.
(٦) ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم، ٢٥٩/٦، الفيض الكاشانيّ/ الصَّافيّ، ٤٥٣/٥، عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعديّ/ تيسير كلام المنَّان/ ٦٢٤.
(٧) ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم، ٢٥٩/٦.
(٨) النَّيسابوريّ/ غرائب القرآن/ ٣٦٤، عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعديّ/ تيسير كلام المنَّان/ ٦٢٤.
(٩) ص/ ٧٥.
(١٠) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٦٠٦/٢.
(١١) المائدة/ ٦٤.

الْمُتَّقِينَ﴾[1]،[2]، فمن لا يكون مراعيًا لهذه الأمور في الدُّنيا ما له في الآخرة من نصيب[3]، ووجه استدلاله (عليه السلام) هو إنَّهم كانوا موصوفينَ بالعلوّ والفساد، فلو إنَّهم تدبَّروا الآية حقّ التَّدبُّر لما أقدموا على ما لا يوافقها[4]، أمَّا إذا كانوا لا إرادة لهم في العلو في الأرض، والإفساد، لزم أنْ تكون إرادتهم مصروفة إلى الله وقصدهم الدَّار الآخرة، وحالهم التَّواضع لعباد الله والانقياد للحقِّ، وهؤلاء لهم النَّجاح والفلاح والعاقبة الَّتي تستمرُّ وتستقرُّ لمن اتَّقى الله[5]، على عكس من تعالى على النَّاس، فقد حرَّم الله عليه الجنَّة ومأواه جهنَّم وساءت مصيرًا[6]، من هنا يمكن القول إنَّ الاختلافات السائدة في أوساط المسلمينَ إنَّما تعزى لما بيَّنه الإمام (عليه السلام)، فالعلو في الأرض والفساد والتكالب على الدُّنيا وحطامها أساس الفرقة والتَّشتُّت في المجتمعات الإسلاميَّة[7].

وواضحٌ ممَّا سبق الحثُّ على التَّواضع وترك التَّكبُّر والتَّعالي؛ لأنَّ الله سبحانه جعل الدَّار الآخرة للمتواضعينَ الَّذين لا يريدون العلوَّ في الأرض والتَّفاخر المستلزم للسَّعي في الأرض بالفساد والتَّسلُّط على النَّاس بغير الحقِّ فإنَّ ذلك كلُّه مذموم، وإنَّ العاقبة الحسنة المحمودة جُعِلت للمتَّقينَ الَّذين يتَّقونَ الله ويخافونَ عقابه.

---

(١) المائدة/ ٢٧.
(٢) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٦٠٧/٢.
(٣) المصدر نفسه، ٦٠٧/٢، عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعديّ/ تيسير كلام المنَّان/ ٦٢٤، محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ١٦٩/١.
(٤) محمَّد تقيّ النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٦٠٧/٢.
(٥) عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعديّ/ تيسير كلام المنَّان/ ٦٢٤.
(٦) محمَّد جواد مغنية/ التَّفسير الكاشف، ٨٩/٦.
(٧) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٥٣/١-٢٥٤.

٥- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، الدَّالَّة على التَّعليم والإرشاد[٣]، وقد ابتدأت بحمد الله والثَّناء عليه والشَّهادة للنَّبي (صلى الله عليه وآله) بالنّبوَّة والرّسالة[٤]، ثمَّ أكَّد (عليه السلام) على مسألة التَّقوى مبيّنًا بأنَّها موضوعٌ مصيريٌّ، وإنَّها كالحصن الحصين، وكقمَّة الجبل المنيعة، وإنَّها وسيلةٌ للنَّجاة، ودعا الجميع إلى الاستعداد للآخرة، والحديث عن نهاية الحياة وخطورة الموت، والحوادث الَّتي تعقبه[٥]، ثمَّ الحديث عن مصير الصَّالحينَ في الآخرة والجنَّة السَّكينة التَّامَّة والثَّواب الأخرويّ الخالد، وشرح العذاب الأخرويّ الَّذي ينتظر المجرمينَ[٦]، وأخيرًا خاطب أصحابه وحذَّرهم من التَّسرُّع في القرارات غير المجدية، والعجلة في مواجهة العدوّ لنيل الشَّهادة فإنَّ الشَّهادة ستكون من نصيب السَّائرينَ على الطَّريق المستقيم[٧].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة أحقيَّة المؤمنينَ وأهليتهم بالجنَّة ونعيمها لأنَّهم عملوا لها عملها، وأحقيَّتهم بنزول السَّكينة عليهم وأهلَيَّتهم لها[٨]، وإنما عبَّر بكلمة (أحقُّ)؛ لأنَّه قد يكون حقٌّ أحقُّ من حقٍّ غيره لأنَّ الحقَّ الَّذي هو طاعة يستحقُّ بها المدح أحقّ من الحقِّ الَّذي هو مباح لا يستحقُّ به ذلك[٩]، فاستحقُّوا ذلك؛ لأنَّهم كانوا أكرم النَّاس فألزموا تقواه[١٠]، وكانوا خير أمَّة أُخرِجت للنَّاس[١١]، لذلك فقد جعل الله تعالى لهم الجنَّة مآبًا وجزاءً وثوابًا لما عملوا في الدُّنيا فإنَّ الله لا يضيع أجر العاملينَ، فلا جرم كانوا أحقَّ وأولى بالجنَّة والقرار فيها[١٢]، لأنَّه تعالى يقول: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾[١٣]، وأنَّ هذه الأحقيَّة راسخة فيهم حاصلة في الزَّمن الماضي، أي: في قدر الله تعالى، فهم أحقُّ بها من الَّذين كفروا، وأهلٌ لها؛ لأنَّها

---

(١) الفتح/ ٢٦.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيُّ) / ٣٢٧.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٣٧٦.
(٤) الرَّاونديّ/ منهاج البراعة، ١٤٨/٢، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١١٨/٣.
(٥) ظ: الرَّاونديّ/ منهاج البراعة، ١٤٨/٢-١٥٠، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٢٣/٧-٢٢٦.
(٦) ظ: الرَّاونديّ/ منهاج البراعة، ١٥١/٢-١٥٧، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٢٤/٣-١٢٧، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٢٧/٧-٢٣١.
(٧) الرَّاونديّ/ منهاج البراعة، ١٥٨/٢، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٢٧/٣-١٣٠.
(٨) الطُّوسيّ/ التِّبيان، ٣٣٤/٩، الآلوسيّ/ روح المعانيّ، ١١٩/٢٦، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٩٧/٣.
(٩) الطُّوسيّ/ التِّبيان، ٣٣٤/٩.
(١٠) الرَّازيّ/ التَّفسير الكبير، ١٠٣/٢٨.
(١١) الآلوسيّ/ روح المعانيّ، ١١٩/٢٦.
(١٢) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤٣٥/١٢، أحمد مصطفى المراغيّ/ تفسير المراغي، ١٧/٣٠.
(١٣) النَّبأ/ ٣٦.

تناسب ضمائرهم وما انطوت عليه قلوبهم، وهذه الأهليَّة مثل الأحقيَّة متفاوتة في النَّاس، فكلَّما اهتدى أحدٌ من المشركينَ إلى الإسلام دلَّ اهتداؤه على أنَّه حصلت له هذه الأهليَّة للإسلام[١]؛ لأنَّه أدَّى مسؤوليَّاته فكان أولى وأحقّ بالجنَّة من غيره[٢]، ولأنَّه من ذوي المقامات الرَّفيعة، ومن السُّعداء أصحاب النَّجاة فاستحقُّوا بذلك تلك الدَّرجات والأجر والثَّواب العظيم؛ لأنَّهم حاربوا هوى أنفسهم مدَّة قليلة وأثبتوا أهليَّتهم ورفعة مقامهم من خلال عبادتهم لربِّهم وخشيتهم منه وسهرهم اللَّيالي بالعبادة وإخلاصهم لله تعالى، فأفاض الله الجواد الكريم عليهم عظيم أجره وثوابه الَّذي يفوق تلك الأعمال والَّذي لا يعرف من معنى للزَّوال والفناء[٣].

واضحٌ ممَّا سبق أنَّ المؤمنينَ المتَّقينَ الَّذين عملوا الصَّالحات في الدُّنيا واتَّقوا الله سبحانه، جعل الله لهم الجنَّة جزاءً لهم، وكانوا أولى وأحقَّ بها من غيرهم وهم أهلها؛ لأنَّ الله سبحانه لا يضيع عمل المحسنينَ فكانت لهم الجنَّة مرجعًا ومقامًا، وهذا ما دلَّ عليه استنطاق النَّصِّ القرآنيّ في بيان جزاء المؤمنينَ العابدينَ لله.

(١) محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ١٩٧/٢٦.
(٢) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٢٦/٣.
(٣) ناصر مكارم الشِّيرازيّ، نفحات الولاية، ٢٣١/٧.

٦- قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلام كلَّم به الخوارج حين اعتزلوا الحكومة وتنادوا أنْ لا حكم إلَّا لله[٢]، وقد دلَّت الخطبة على التَّهديد والإنذار[٣]، وفيها دعا الإمام (عليه السلام) على الخوارج بريحٍ تحصبهم، ثمَّ بالفناء غضبًا من مقالتهم، ثمَّ أخذ في تقريعهم وإنكار مقالتهم وطلبهم شهادته على نفسه في صورة سؤال، ثمَّ أردف ذلك بجذبهم بالغضب والقهر وأمرهم بالرجوع إلى الحقِّ على أعقابهم، وإخبارهم بما سيلقونَ بعده من الذلِّ الشَّامل والسَّيف القاطع[٤].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة عدم اتِّباع الهوى، وبيان ضلاله في حالة اتِّباعه أهواء مخالفيه، وميلانه عن طريق الرُّشدِ والهدى[٥]، وذلك لتنبيههم على خطأهم في حقِّه ببيان غلطه على نفسه لو أجابهم إلى ما سألوا[٦]، فإنَّ شهادة الإنسان على نفسه بالكفر ضَّلال عن الحقِّ وعدم اهتداء في سبيل الله[٧]، فلو اتَّبع أهواءهم لضلَّ عن طريق الحقِّ وما كان من المهتدينَ[٨]، ومن يضلُّ عن الحقِّ فإنَّ وبال ضلاله على نفسه[٩] لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾[١٠]، فالإمام عليّ (عليه السلام) وضَّح إنَّه لو شهد على نفسه بالكفر مع إنَّ إقرار العقلاء على أنفسهم جائز فإنَّه قد ضلَّ إذًا حين شهادته، وما كان من المهتدين بالله وبرسوله وقد ثبت اهتداؤه برسول الله[١١]، لذلك صرَّح لهم إنَّه لا يجري على طريقتهم الَّتي سلكوها في دينهم من اتِّباع الهوى دون اتِّباع الدليل، وهذا بيان للسَّبب الَّذي منه وقعوا في الضَّلال[١٢]، فإنَّهم إنَّما يدعونَ إلى ذلك عن هوى لا عن علمٍ ولا عن حقٍّ، فلو اتَّبعهم فما تقوده أهواءهم وما

---

(١) الأنعام/ ٥٦.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٨٩.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٩٤.
(٤) ميثم البحراني/ شرح نهج البلاغة، ١٥٣/٢، المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ١٨٤/١، محمَّد بن حبيب الله/ التُّحفة العليَّة، ٩٣/٢.
(٥) القرطبيّ/ الجامع لأحكام القرآن، ٣٩٧/٨.
(٦) ميثم البحراني/ شرح نهج البلاغة، ١٥٣/٢.
(٧) ميثم البحراني/ شرح نهج البلاغة، ١٥٣/٢، عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ٣٤/١.
(٨) الخازن/ لباب التَّأويل، ١١٧/٢، أبو حيَّان الأندلسيّ/ البحر المحيط، ١٤٥/٤، محمَّد عبد الحقّ النَّسفيّ/ مدارك التَّنزيل، ١٦٥/٣.
(٩) الفيض الكاشانيّ/ الصَّافي، ١٠٧/٦.
(١٠) سبأ/ ٥٠.
(١١) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٣٩٧/٥.
(١٢) محمَّد عبد الحقّ النَّسفيّ/ مدارك التَّنزيل، ١٦٥/٣.

تقودهم إلَّا إلى الضَّلال والهلاك[1] إذ الشَّهادة على النَّفس بالكفر مع وجود الإيمان الرَّاسخ ضلال عن الهدى وعدول عن الرَّشاد لا محالة[2].

وظاهرٌ ممَّا سبق النَّهي عن اتِّباع الهوى؛ لأنَّ فيه ضلال عن طريق الحقِّ والهدى وعدم الاستجابة لأهواء المخالفين مادام الإيمان راسخ في نفس صاحبه، لذلك فإنَّ الإمام عليّ (عليه السلام) لم يستجب لما طلب منه من الشَّهادة على نفسه بالكفر؛ لأنَّ في ذلك ضلال عن طريق الحقِّ والرَّشاد ولنا في أمير المؤمنينَ أسوة حسنة.

(١) سيّد قطب/ في ظلال القرآن، ١١٠٩/٢.
(٢) ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٩٥/٤.

٧- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، وقد دلَّت على الوصف[٣]، وفيها إظهار عظمة الله سبحانه وكمال قدرته وجبروته في خلق السَّموات والأرض والجبال، ما يدلُّ على عجائب الصُّنع ولطائف التَّدبير التَّي يعجز عن إدراك أقلّ قليلها عقول البشر، ومن تدبير الله وحكمته خلقه الأرض، وخلق السَّموات وفتقه منهما سبع سماوات وسبع أرضين[٤]، وأشار إلى خلق الله سبحانه للجبال العظيمة الصَّلبة وإثباتها وفق ما اقتضته الحكمة الإلهيَّة وجعلها عمادًا للأرض[٥]، وإنَّه سبحانه أمسك الأرض بقدرته وجعلها مهادًا لخلقه، وكلُّ ذلك آثارٌ للقدرة ودلائل العظمة والجبروت[٦].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة الاعتبار بآثار قدرة الله تعالى ودلائل عظمته وجبروته، وذلك عبرة لمن خشي ربَّه، فآمن به سبحانه وتعالى[٧]، وإنَّما خصَّ العبرة بمن يخشى الله سبحانه؛ لأنَّ عدم الخشية يوجب عدم المبالاة بالعبر والالتفات إليها، والمراد بـ(من يخشى) هم العلماء، وذلك بموجب الحصر الوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٨]،[٩]، وتخصيص الخشية بهم؛ لأنَّ شرطها معرفة المخشي والعلم بصفاته وأفعاله وقدرته، فمن كان أعلم به كان أخشى منه[١٠]، وبذلك لا يجرُء على تكذيب آيات الله تعالى بعد ما تبيَّن له الحقّ[١١]، فيتَّعظ ويخاف؛ لأنَّه تعالى يقول: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَىٰ﴾[١٢]،[١٣] فكلُّ ما في الكون من آيات الله تعالى الأرضيَّة والسَّماويَّة دلالة على وجود الخالق العظيم وعلمه وقدرته

---

(١) النَّازعات/ ٢٦.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٣٨١.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٤٤٤.
(٤) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٤/١١، المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٤٠٨/٢، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٦٧/١٤.
(٥) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٦/١١، ظ: المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٤٠٩/٢-٤١٠.
(٦) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٧/١١، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٧٠/١٤.
(٧) ابن أبي زمنين/ تفسير القرآن العزيز، ٩٠/٥، الخازن/ لباب التَّأويل، ٣٩٢/٤، محمَّد لطفي الصَّبَّاغ/ تهذيب تفسير الجلالين/ ٥٨٤، فخر الدِّين قباوة/ التَّفسير الوافي/ ٥٨٤.
(٨) فاطر/ ٢٨.
(٩) المجلسيّ/ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، ٤١١/٢، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٧١/١٤، محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ٢٢٤/٤.
(١٠) ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٧١/١٤.
(١١) أبو بكر جومي/ درُّ الأذهان، ٧٩٠/١.
(١٢) الأعلى/ ١٠.
(١٣) أبو بكر جومي/ درُّ الأذهان، ٨٠٤/١.

وحكمته وهذا يوجب الاعتراف بالله سبحانه وطاعته[1]، فجميع المخلوقات من الأرض والسَّماء والجبال والماء وغيرها وتسخيرها لمصلحة الإنسان وتصريف القدرة الربَّانيَّة تنبيهًا على عظمته سبحانه[2].

ظهر ممَّا سبق وجوب الاعتبار بآيات الله سبحانه وتعالى وآثار عظمته وقدرته في السَّموات والأرض والكون أجمع الَّتي تدلُّ على وجود الخالق العظيم وعلمه وحكمته، فكلُّ ما في الكون عبرة لمن يخشى ربَّه فيعترف بالباري (ﷻ) ويطيعه وحده لا شريك له.

(١) محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٣٣٣/٣.
(٢) محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ٢٢٤/٤.

المَبْحَثُ الرَّابِعُ: اسْتِنْطَاقُ الصِّفَاتِ المُوجِبَةِ لِلخُسْرَانِ

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(١)

وردت الآية المباركة في خطبة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)(٢)، وهي من الخطب الدالَّة على الذَّمِّ والهجاء(٣)، وتتضمَّن الحمد لله والسُّؤال منه تعالى، ثمَّ الشَّهادة للنَّبيِّ محمَّد (صلى الله عليه وآله) بالعبوديَّة والرسالة، والتَّأييد والنَّصر منه (عزَّ وجلَّ) للنَّبيِّ ولرسالته وأحقِّيته على أعداء الإسلام(٤)، ثمَّ سرد صفات المنافقينَ الَّذين يجب الحذر منهم؛ لأنَّهم في الدَّرجة الثَّانية في العداوة للإسلام وللنَّبيِّ (صلى الله عليه وآله) وضررهم أقوى من الأعداء، حيث لا يمكن محاربتهم لإظهارهم الإسلام، وإخفائهم الكفر والنِّفاق معتقدين إنَّ ذلك لا يضرُّ بالعقيدة، وإنَّ النِّفاق يَظهَر في أقوالهم باختلاف الحقيقة مع ما يقولونه، وإنَّهم يشبِّهون الحقَّ بالباطل في القول، إلى غير ذلك من الصِّفات الَّتي يتَّصف بها المنافقونَ في كلِّ عصرٍ وزمانٍ(٥).

إنَّ الإمام عليّ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في بيان نتيجة وهي خسارة المنافقينَ حزب الشَّيطان رضا الله سبحانه؛ لاتِّصافهم بأسوأ الصِّفات وأنكرها(٦)، ولأنَّهم باعوا الجنَّة بجهنَّم، والهدى بالضَّلالة، وصاروا طائفة تابعة للشَّيطان وغروره(٧)، وأنصاره وجنوده السَّائرونَ على خطاه فكان مأواهم النَّار وبئس المصير وليس هناك خسارة أكبر من هذه الخسارة(٨)، فكإنَّ خسارة غيرهم بالنِّسبة إلى خسرانهم ليس بخسران، بسبب كذبهم على الله وعلى رسوله، وحلفهم الأيمان الفاجرة في الدُّنيا والآخرة(٩)،لذلك فقد توعَّدهم الله بالعذاب الأليم الدَّائم ولعنهم وجعلهم ملحقين بالشَّياطينَ الملعونينَ، وممَّا يدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾(١٠)،(١١)، فقد فوَّتوا على أنفسهم النَّعيم

---

(١) المجادلة/ ١٩.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيُّ) / ٣٥٦.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٤١٤.
(٤) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ١٣٩/٢، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٥٤/٣-٢٥٦.
(٥) ظ: البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ١٤٠/٢-١٤٢، ظ: محمَّد تقي التُّستريّ/ بهج الصِّباغة، ٥٧٥/١٢-٥٩٥، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٥٨/٣-٢٦١.
(٦) السَّمعانيّ/ تفسير القرآن، ٣٩٢/٥، أحمد مصطفى المراغيّ/ تفسير المراغيّ، ٢٤/٢٨، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٦٦/١٢.
(٧) القرطبيّ/ الجامع لأحكام القرآن، ٣٢٨/٢٠، محمَّد عليّ الشوكانيّ/ فتح القدير، ٢٥٦/٥، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٦٦/١٢.
(٨) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٧٧/٣.
(٩) محمَّد عليّ الشوكانيّ/ فتح القدير، ٢٥٦/٥.
(١٠) التَّوبة/ ٦٨.
(١١) محمَّد عبد الحقّ النَّسفيّ/ مدارك التَّنزيل، ٧٢/٤.

المقيم واستبدلوا به العذاب الأليم بما اتَّصفوا به من صفة النِّفاق، وليس من دأب العاقل أن يقبل مثل هذا لنفسه[١]، فالتاريخ يشهد بأنَّ القوى الماديَّة مهما عظمت والوسائل الشَّيطانيَّة مهما بلغت في القوَّة فإنَّ الإنسان المسلم المتَّقي سيتغلَّب عليها بالوعي والثَّبات[٢]، ليكون من حزب الله المفلحونَ الَّذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣]، وهؤلاء ينصرهم الله تعالى على أعدائهم وتكون بأيديهم حكومة الحقِّ والعدل الَّتي تستوعب هذا العالم أخيرًا، والفرق واضح بين حزب الشَّيطان الخاسرون، وحزب الله المفلحون.[٤]

وظاهرٌ ممَّا تقدَّم أنَّ المنافقينَ جنود الشَّيطان وحزبه الَّذين يظهرونَ خلاف ما يبطنون ويكذبون على الله ورسوله ويكتمونَ الحقَّ ويسعون في الأرض فسادًا توعَّدهم الله بأشدِّ العذاب وخسروا الدُّنيا والآخرة، وتلك حقيقة أدلى بها الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) من خلال استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

(١) أحمد مصطفى المراغيّ/ تفسير المراغيّ، ٢٤/٢٨، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٦٦/١٢.
(٢) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٦٢/٣.
(٣) المجادلة/ ٢٢.
(٤) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ الأمثل، ٤٨/١٤.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، الدالَّة على التَّعليم والارشاد[٣]، وقد اشتملت على عدة فصول ابتدأت بموعظة النَّاس، والإتيان بالأوامر والانتهاء عن النَّواهي، وترك الدُّنيا والاقبال على الآخرة[٤]، ثمَّ شرَّع ببيان فضل القرآن وكونه مشتملا على كل ما يحتاج إليه المرء من الأحكام والأخلاق، مما يوجب على العبد التَّدبُّر والامعان في آياته[٥]، ثمَّ أخذ في حثِّ النَّاس على العمل وملازمة الاستقامة فيه، إذ الأعمال المنحرفة لا تنفع ولا تعطي الثَّمن الحسن[٦]، وتطرقَّ إلى تحريم البدع مبيّنًا إنَّ الحلال ما أحلَّه الله والحرام ما حرَّمه الله تعالى وإنَّه ينبغي الابتعاد عن الأوهام والأباطيل[٧]، ثمَّ ذكر أنواع الظلم، ولزوم طاعة الله تعالى لإصلاح الدين والدنيا[٨].

إنَّ الإمام عليّ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في بيان نوع الظلم الَّذي لا يُغفَر وهو الشِّرك بالله تعالى وغفران ما دونه من الذِّنوب[٩]، فإذا مات الإنسان مصرًّا على الشِّرك لم يكن من أهل المغفرة الَّتي تفضَّل الله تعالى بها على غير أهل الشِّرك[١٠]، أمَّا صغائر الذِّنوب والتَّي تتعلَّق بحقوق البشر فمن الممكن غفرانها لقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[١١]،[١٢]، وإنَّ تزكية الإنسان لنفسه بما لم يزكِّه به الله لا ينفع[١٣]، وبعبارة أخرى: إنَّ الله سبحانه لا يغفر الشِّرك بدون توبة بل غفرانه يكون بها، أمَّا ما سواه من الذِّنوب فيغفرها الله سبحانه بدون توبة لمن يشاء

---

(١) النِّساء/ ٤٨.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيُّ) / ٢٩٤.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٣٣٤.
(٤) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٨/١٠، ميثم البحرانيّ/ اختيار مصباح السَّالكين/ ٣٦٣.
(٥) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٩/١٠، ظ: محمَّد الحسينيّ الشيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٦٢/٣-٦٤.
(٦) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١١/١٠، ميثم البحرانيّ/ اختيار مصباح السَّالكين/ ٣٦٣، محمَّد الحسينيّ الشيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٦٥/٣.
(٧) ميثم البحرانيّ/ اختيار مصباح السَّالكين/ ٣٦٤، ظ: محمَّد الحسينيّ الشيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٧٠/٣-٧٢.
(٨) المصدر نفسه/ ٣٦٤، ظ: المصدر نفسه، ٧٥/٣-٧٧.
(٩) الطَّبريّ/ جامع البيان، ١٢١/٧.
(١٠) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٥/١٠، أبو حيَّان الأندلسيّ/ البحر المحيط، ٢٧٨/٣، صدِّيق حسن خان/ فتح البيان، ١٤٤/٣.
(١١) النِّساء/ ٤٨.
(١٢) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٥/١٠.
(١٣) أبو حيَّان الأندلسيّ/ البحر المحيط، ٢٧٨/٣.

تفضُّلًا منه وكرمًا؛ لأنَّه تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[1]،[2]، فالشِّرك أمَّا أنْ يكون عظيم بإثبات شريك لله تعالى في الوهيَّته وهو الَّذي لا يُغفَر ويحرِّم الله تعالى على صاحبه الجنَّة لقوله (ﷻ): ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾[3]، أو يكون شرك صغير وهو مراعاة غير الله تعالى معه في بعض الأمور وهو الرِّياء والنِّفاق[4]، وإنَّما جعل الله تعالى الشِّرك به غير مغفور له؛ لأنَّ له تبعة أخرويَّة لذلك سمِّي بالظلم العظيم حيث لا يُرجى غفرانه كما في موعظة لقمان لابنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[5]، امَّا ظلم الإنسان لنفسه عند بعض المعاصي فهو ذنب يُغفَر كما إنَّ ضرره راجع على الإنسان نفسه[6].

وواضحٌ ممَّا سبق أنَّ الله سبحانه وتعالى يغفر الذِّنوب جميعًا لعباده إلَّا الشِّرك فإنَّه ذنب لا يُغتفَر، فإن مات العبد على كفره ولم يستغفر ويتوب إلى الله (ﷻ) فإنه سبحانه لن يتوب عليه، أمَّا غير الشِّرك من الذِّنوب فيمكن أن يغفرها الله تعالى بمشيئته وإرادته، وممَّا يجدر ذكره أنَّ ما ذكره أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) بشأن عدم غفران ذنب الشرك قائم على استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

---

(١) النِّساء/ ٤٨.
(٢) عبد الله شبَّر/ تفسير القرآن الكريم/ ١٥٧، صدِّيق حسن خان/ فتح البيان، ١٤٤/٣.
(٣) المائدة/ ٧٢.
(٤) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٥٠٩/١١.
(٥) لقمان/ ١٣.
(٦) محمَّد الحسينيّ الشيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٧٦/٣.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ.﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة أمير المؤمنينَ (عليه السلام) المتضمِّنة أحكامٍ شرعيَّةٍ[٢]، وقد ذكر فيها ثلاث فرائض، وأوَّلها: الصَّلاة وأمر بالمحافظة عليها وتعاهدها؛ لأنَّها كانت على المؤمنينَ كتابًا موقوتًا، وإنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يوصي بالمواظبة عليها وأمر أهله بها، وهذا من أوضح الدَّلائل على فضلها وأهميَّتها[٣]، وثانيها: الزَّكاة وهي قرينة الصَّلاة في الذِّكر في القرآن الكريم، وفي الفضيلة، وأشار إلى سرِّها وهو إنَّها قربانًا لأهل الإسلام، وقبولها مشروطًا بطيب النَّفس[٤]، وثالثها: إداء الأمانة وإنَّها عُرضَت على السَّموات والأرض والجبال فأشفقنَ منها وحملها الإنسان بجهله بأسرار هذه الأمانة، وتقصيره في أداء واجباتها المستلزم لعقوبته[٥]، ثمَّ أشار إلى إحاطة علم الله تعالى بجميع أحوال الإنسان وما يكسبه في ليله ونهاره، وإنَّه ينفذ علمه في البواطن كما يقع على الظَّواهر[٦].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ لتحذير تارك الصَّلاة والتَّنبيه على استلزام تركها لدخول النَّار[٧]، وعندئذٍ يعترف المجرمون بذنبهم حين يسألهم أهل الجنَّة وهم في الغرفات وأولئك في الدَّركات عن سبب دخولهم النَّار فيصرِّحونَ بخطئهم ويعترفونَ بأنَّهم لم يعبدوا ربِّهم ولو يحسنوا إلى خلقه ولم يؤدُّوا الصَّلاة المفروضة[٨]، وذلك يدلُّ على أنَّ الكفَّار مطالَبون بفروع الشَّرع ويعاقبونَ عليها كما يعاقَبونَ على الأصول،[٩]، كما فيه إشعار بل تصريح بثبوت العقاب والعذاب لتارك الصَّلاة وهو كذلك[١٠]، لأنَّه تعالى يقول في محكم كتابه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[١١]، فاستحقُّوا تلك العاقبة نتيجة

---

(١) المدَّثر/ ٤٢-٤٣.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشّريف الرَّضيُّ) / ٣٦٧، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٤٣٠.
(٣) ظ: ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٣٣/٣-٤٣٤، عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ١١٥١/٣، ظ: محمَّد تقي النَّقوي/ مفتاح السَّعادة، ٤٢٧/١٣-٤٣٣.
(٤) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٣٤/٣، ظ: محمَّد تقي النَّقوي/ مفتاح السَّعادة، ٤٤٣/١٣-٤٤٧.
(٥) ظ: ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٣٥/٣-٤٣٧، عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ١١٥٤/٣.
(٦) عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ١١٥٥/٣، ظ: محمَّد تقي النَّقوي/ مفتاح السَّعادة، ٤٦٠/١٣-٤٦٢.
(٧) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٣٣/٣، محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ١٨٩/٤.
(٨) ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم، ٢٧٣/٨، محمود بن محمَّد الحسينيّ/ درُّ الأسرار، ٥٤٦/٢، محمَّد الأمين الشَّنقيطيّ/ أضواء البيان، ٦٢٦/٨.
(٩) عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ١١٥١/٣، محمَّد الأمين الشَّنقيطيّ/ أضواء البيان، ٦٢٦/٨.
(١٠) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤٣٠/١٣.
(١١) مريم/ ٥٩.

إهمالهم إداء الواجبات وانهماكهم في المعاصي والآثام[1]، وعدم نهيهم عن الفحشاء والمنكر؛ لأنَّ الصَّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[2]،[3]، كما إنَّ تارك الصَّلاة يعد كافرًا؛ لما جاء عن النَّبيُّ محمَّد (ﷺ): ((بين العبد وبين الكفر ترك الصَّلاة))[4]، فترك الصَّلاة قُدِّم على سائر الذِّنوب الأخرى؛ ممَّا يدلِّل على أهميَّتها ودورها في سعادة الإنسان في الدُّنيا والآخرة[5].

تبيَّن ممَّا تقدَّم أنَّ ترك الصَّلاة ذنب عظيم، وإثم كبير يؤدِّي بصاحبه إلى دخول النَّار؛ لأنَّه قد ضيَّع ركن مهم من أركان الإسلام وهَدَمَ عمود الدِّين الَّذي به يُقام، فاستحقَّ بذلك العذاب والعقاب الأليم، وفي ذلك تحذير من ترك الصَّلاة أو الاستهانة بها؛ لما لها من أثرٍ كبير في سعادة الإنسان واستقراره.

(١) أحمد مصطفى المراغيّ/ تفسير المراغيّ، ٦٧/١٦.
(٢) العنكبوت/ ٤٥.
(٣) محمَّد جواد مغنية/ الكاشف، ٤٦٥/٧.
(٤) محمَّد الرّيشهريّ/ الصَّلاة في الكتاب والسُّنة/ ١٥٩.
(٥) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٥٥٥/٧.

المَبْحَثُ الخَامِسُ: اسْتِنْطَاقُ الصِّفَاتِ المُوجِبَةِ لِلمِحَنِ

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة أمير المؤمنينَ (عليه السلام) الَّتي تسمَّى الغرَّاء[٢]، وقد دلَّت هذه الخطبة على التَّعليم والارشاد[٣]، وتضمَّنت عددًا من الدُّروس، يستهلُّها الإمام بالحمد والثَّناء والصَّلاة على النَّبيِّ (صلى الله عليه وآله) ثمَّ يعرّج بذكر صفات الله تعالى[٤]، ثم الوصيَّة بالتَّقوى الَّتي تلعب دورًا مهمًا في تقرير مصير الإنسانيَّة وتختزن كافَّة مقوِّمات السَّعادة[٥]، وشرح أوضاع الدُّنيا وغدرها، وذكر المعاد وأحوال الخلائق فيه بما لا يُبقي مجالًا للغفلة[٦]، إلى جانب ذكر المواعظ القيِّمة والارشادات والنَّصائح الَّتي توصل الإنسان إلى برّ الأمان[٧]، مع الإشارة إلى بداية خلق الإنسان ومتابعته منذ كونه جنينًا إلى اختتام عمره ومفارقة الدُّنيا وبعثه يوم القيامة[٨]، وأخيرًا حذَّر كافة العباد من فقدان الفرص قبل حلول الأجل وانتهاء العمر[٩].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في خطابه للَّذين يصدُّونَ عن عبادة الله وينصرفونَ عنه إلى غيره وهو الَّذي يستحقُّ العبادة وحده[١٠]، إذ لا ملاذ من العقاب ولا فرار ولا مرجع يجيرهم منه، فما هذه الغفلة العظيمة التَّي هم فيها، وأينَ يُصرَفونَ عن غوايتهم، أم بماذا يفترونَ[١١]، وكيف يصدُّونَ عن عبادة الله ويتوجَّهونَ إلى عبادة من لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا[١٢]، وكيف يعدلون من الحقِّ إلى الباطل فيعبدون معه غيره[١٣]، وهو سبحانه يقول: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ

---

(١) الأنعام/ ٩٥.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ١٣٠.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ١١٦.
(٤) الرَّاونديّ/ منهاج البراعة، ٢٦٨/١، ظ: عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ٤١٧/١-٤٢٠، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٠٣/٣.
(٥) الرَّاونديّ/ منهاج البراعة، ٢٦٨/١، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٠٦/٣-٢٠٩.
(٦) المصدر نفسه، ٢٦٩/١، ظ: المصدر نفسه، ٢١٧/٣-٢٢٠.
(٧) الرَّاونديّ/ منهاج البراعة، ٢٧١/١، ظ: عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ٤٣٧/١-٤٤٨.
(٨) ظ: عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ٤٤٩/١-٤٦٣، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٥٣/٣-٢٧٢.
(٩) ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٧٣/٣-٢٧٥.
(١٠) البيضاويّ/ أنوار التَّنزيل، ١٧٤/٢، الثَّعالبيّ/ الجواهر الحسان، ٤٩٨/٢.
(١١) عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ٤٦٢/١.
(١٢) عبد الله بن ناصر السَّعديّ/ تيسير الكريم الرَّحمن/ ٢٦٥.
(١٣) أحمد شاكر/ عمدة التَّفسير، ٨٠٠/١، محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ٢٨٧/٧.

تُرْجَعُونَ﴾[1]، فإنَّ الله سبحانه هو الَّذي ابتدأ خلق الإنسان وهو الَّذي يُميت ويُحيي وإليه المرجع والمعاد، فالانصراف عنه مع تلك الحالة شأنه أنْ يكون منتفيًا إذ لا تركن إليه النَّفس الرَّشيدة[2]، فإلى متى هذا الطُّغيان والعصيان والعدوان أيُّها المُترَفونَ؟ أما لكم من الله رادع وزاجر؟ وبأيِّ شيءٍ هذا الاغترار؟ وعلى أيِّ شيءٍ تعتمدون؟ هل على مالٍ تتركونه للوارث والحوادث؟ أو على صحَّة وجاه إلى زوال؟ أم معكم أمان من عذاب الله؟ فلكم الويل ممَّا تفعلون وتكتسبون[3]، فالحقِّ إنَّ أدنى تأمُّل للموت الَّذي يعمُّ الجميع كافٍ في إيقاظنا من السُّبات وهدايتنا للطَّريق المستقيم، وزجرنا عن الانصراف عن الحقِّ، فهناك من يملك مئات البساتين وعشرات القصور إلَّا إنَّه لا يأخذ منها عند مفارقة الدُّنيا سوى ما يأخذه ذلك المسكين الَّذي قضى حياته في الأكواخ وهي بقعة الأرض الَّتي تكون بقدر قامته مع كفنٍ يستر به بدنه[4].

وظاهرٌ ممَّا تقدَّم النَّهي عن الطُّغيان والانصراف عن الحقِّ وعبادة الله وحده؛ لأنَّه الَّذي يستحقُّ العبادة دون غيره، فهو مُنشئنا ومكوِّننا وإليه مرجعنا فلا منجى ولا فرار من عذابه فلا بدَّ من النُّهوض من هذه الغفلة والابتعاد عن الغواية إذ لا شيء يمكن الاغترار به والاعتماد عليه للنَّجاة من عذاب الله، وهذا ما دلَّ عليه استنطاق النَّصِّ القرآنيّ الوارد في نهج البلاغة.

---

(١) البقرة/ ٢٨.
(٢) محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ٣٧٤/١.
(٣) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤١٢/١.
(٤) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٧٢/٣.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، الدالَّة على التَّعليم والارشاد[٣]، وتضمَّنت تنبيه العباد على وجوب الاستغاثة برحمة الله سبحانه إذا حُبِسَت عنهم رحمة المطر، وبيان إرادة الله تعالى الحاكمة في الكون، فهو خالق المخلوقات ومقدِّرها بقدرٍ في مسيرتها، وقادر على إيقاف هذه المسيرة، وتسييرها لمصالحٍ هو أعلم بها[٤]، ويجعل عباده في فترة امتحان عند الأعمال السيِّئة وأشار إلى أنواعٍ من الامتحانات كنقص الثَّمرات، وحبس البركات؛ ليتذكَّر الإنسان خالقه، ويتوجَّه إليه بالدُّعاء والاستغفار لدرور الرِّزق ونزول رحمته تعالى[٥]، والتَّضرُّع والرَّغبة إليه والاعتراف بالخطيئة لاستحقاق هذه الرَّحمة الإلهيَّة الخاضعة لإرادته سبحانه[٦].

إنَّ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في سؤال الله تعالى بعدم المؤاخذة بأفعال السُّفهاء المبعِّدة عن رحمته، ورفع المحنة[٧]، فإنَّه تعالى أعظم من أن يأخذ أحدًا بجريرة لم يفعلها[٨]؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٩]، فلا تحمل نفسٍ إثم نفسٍ أخرى[١٠]، وإنَّما يؤاخذ الله تعالى الحلماء بفعل السُّفهاء؛ لأنَّهم لا يأخذون على أيديهم، ولا يعيدونهم إلى جادَّة الصَّواب لذلك يؤثِّر الجدب على الجميع وذلك في الذِّنوب الَّتي تؤثِّر على المجتمع بصورة عامَّة[١١]، لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١٢]، وفي ذلك تحذير للَّذين لا ينهونَ النَّاس عن المنكر، فإنَّ المعصية إذا ظهرت ولم تُنكَر عمَّت عقوبتها من باشر ومن لم يباشر ما دام لم يُنكِرها[١٣]، فعن الإمام الباقر

---

(١) الأعراف/ ١٥٥.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٢٣٠.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٢٦٠.
(٤) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ١٧٣/٣، محمَّد تقي التَّستُّريّ/ بهج الصِّباغة، ١١٦/١٤.
(٥) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ١٧٤/٣، ظ: محمَّد تقي التَّستُّريّ/ بهج الصِّباغة، ١١٧/١٤-١٢٢، محمَّد حسين الجلالي/ شرح نهج البلاغة، ٢٧٠/٢.
(٦) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ١٧٥/٣، ظ: محمَّد حسين الجلالي/ شرح نهج البلاغة، ٢٧٢/٢-٢٧٤.
(٧) الطَّبرسيّ/ مجمع البيان، ٢٧٢/٤، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ١٧٥/٣، عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ٨٤٥/٢، محمَّد جمال الدِّين القاسميّ/ محاسن التَّأويل/ ١٩١، عبد القادر شيبة الحمد/ تهذيب التَّفسير، ٢٩١/٥.
(٨) الشَّربيني/ السِّراج المنير، ٥٢٢/١.
(٩) الأنعام/ ١٦٤.
(١٠) الفيض الكاشانيّ/ الصَّافيّ، ١٣٦/٣.
(١١) محمَّد تقي التَّستُّريّ/ بهج الصِّباغة، ١٢٥/١٤، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٧٣/٢.
(١٢) الأنفال/ ٢٥.
(١٣) عبد القادر شيبة الحمد/ تهذيب التَّفسير، ٣٩٦/٥.

(عليه السلام): ((أوحى الله تعالى إلى شعيب النَّبيّ أنِّي معذِّب من قومك مائة الف، أربعين ألفًا من شرارهم وستِّين ألفًا من خيارهم، فقال (عليه السلام): يا ربِّ هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار، فأوحى الله تعالى إليه: إنَّهم داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي))[1]، فلابدَّ من التَّوجُّه إلى الله تعالى بالدُّعاء والاستغفار وطلب الرَّحمة الإلهيَّة الَّتي لا يستحقُّها سوى من توجَّه إليه سبحانه وعمل بأوامره وترك نواهيه[2].

وواضحٌ ممَّا تقدَّم طلب الرَّحمة من الله سبحانه وتعالى ورفع المحنة وعدم المؤاخذة بأعمال السُّفهاء الَّذين يفعلونَ السيِّئات، فإنَّه تعالى عادل لا يظلم أحدًا وإنَّما يعمُّ العذاب أو الاختبار والابتلاء للجميع إذا لم ينصح المتَّقون هؤلاء السُّفهاء ولم يأخذوا على أيديهم بنهيهم عن فعل السيِّئات وذلك في حالة كون الفعل السيِّء له تأثير على المجتمع وهذا يوجب على العبد القيام بواجبه تجاه المذنب بنصحه وإرشاده، والتَّوجه إلى الله تعالى بالدُّعاء والاستغفار، إذ ليس للإنسان سوى رحمته تعالى وعفوه.

(١) الطُّوسي/ تهذيب الأحكام، ١٨١/٦.
(٢) ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٨٦/٥-٢٨٧.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[١]

وردت الآية المباركة في حِكْمَة لأمير المؤمنينَ (عليه السلام) وفيها دلالة إنَّ اليهود أكثر المِلل ضلالة[٢]، وقد ردَّ فيها الإمام على ما قاله بعض اليهود حول اختلاف المسلمين بعد وفاة النَّبيّ محمَّد (صلى الله عليه وآله)[٣].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في بيان مسألة جهل اليهود المطلق حيث طلبوا من نبيّهم أنْ يجعل لهم صنمًا يعكفون عليه بعد رؤيتهم آيات الله الباهرة ومعجزاته العظيمة[٤]، فكان اختلافهم في النبيّ موسى (عليه السلام) وفيما دعا إليه من الوحدانيَّة والإيمان بالله تعالى، أمَّا الاختلاف الَّذي حصل عند المسلمين بعد وفاة النَّبيّ محمَّد (صلى الله عليه وآله) فإنَّه كان في تفاسير كلماته الصَّادرة عنه لا في نبوَّته ورسالته[٥]، فلا شكَّ إنَّ هذا الطَّلب من اليهود كفر وارتداد وعناد وإنَّهم جروا في ذلك على عادتهم في نعتهم على أنبيائهم وطلبهم ما لا ينبغي[٦]، فهم أتباع الشَّيطان وأنصاره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾[٧]، فهم يجادلون في الله بلا علم ولا دراية عن الإيمان وكيفيَّته[٨]، بعبارة أخرى: إنَّ الاختلاف بعد النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله) لم يكن في أصلٍ من أصول الدِّين كالتَّوحيد والنُّبوَّة والمعاد إنَّما كان فيما رُوِي عن النَّبيّ (صلى الله عليه وآله) فيما يتعلَّق بالإمامة والخلافة والميراث، أمَّا اليهود فإنَّهم ما إن خرجوا من البحر حتَّى طلبوا من نبيّهم أنْ يجعل لهم إلهًا فأين هذا الاختلاف من ذاك، وسؤالهم ذلك بعد مشاهدتهم الآيات وخلاصهم من رقِّ العبوديَّة وعبورهم البحر ومشاهدتهم غرق فرعون غاية في الجهل[٩]، ودليل على حنينهم على ما أُلِفُوا من عبادة الآلهة، فعلم من ذلك إنَّهم لم يفهموا ما جاء به موسى (عليه السلام) من التَّوحيد، وقد وُجِدَت لذلك نموذجًا لطوائف من أمَّتنا وُلِدوا في مهد الظُّلم وشبُّوا في حجر النِّفاق فسنحت لأعلمهم بشؤون الاجتماع والعمران فرص متعدِّدة كان يُرجَى أنْ يحرِّروا فيها أنفسهم من رقِّها السِّياسيّ فأضاعوها الواحدة بعد الأخرى، وهذا من عِبَر التَّاريخ الَّتي تثبت إنَّ فلاح الأمم بأخلاقها وعقائدها، وإنَّ العلم النَّاقص شرٌّ من الجهل المطلق، وإنَّ العلم الصَّحيح في الرَّجل أو

---

(١) الأعراف/ ١٣٨.
(٢) أويس كريم محمَّد/ المعجم الموضوعيّ/ ٤٥٨.
(٣) البيهقيّ/ معارج نهج البلاغة، ٨٧٤/٢.
(٤) الطَّبرسيّ/ جوامع الجامع، ٦٩٦/١، أبو حيَّان الأندلسيّ/ البحر المحيط، ٣٧٧/٤، محمَّد سليمان الأشقر/ زبدة التَّفسير/ ١٦٧.
(٥) البيهقيّ/ معارج نهج البلاغة، ٨٧٤/٢، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٦٤/٥.
(٦) أبو حيَّان الأندلسيّ/ البحر المحيط، ٣٧٧/٤.
(٧) الحجُّ/ ٣.
(٨) الفيض الكاشانيّ/ الصَّافيّ، ١١٥/٥.
(٩) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٣٩٣/١٧، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤٠٦/٤.

الشَّعب الفاسد الأخلاق كالسَّيف في يد مجنون فربَّما جنى به على صديقه أو على نفسه، وربَّما نصر به عدوّه[1]، إذن فلا عجب إذا اعتدت إسرائيل واشتكت من الاعتداء، وانتهكت قرارات الأمم المتَّحدة بحجَّة المحافظة على شعور الرَّأي العام وقتلت وهدَّمت بزعم الحرص على السَّلام[2]، لأنَّهم أشدُّ خلق الله عنادًا وجهلًا وتلوُّنًا[3].

ظهر ممَّا تقدَّم أنَّ الاختلاف الَّذي حصل بعد رحيل النَّبيّ محمَّد (ﷺ) كان في الرّوايات المرويَّة عنه (ﷺ) واختيار الطَّريقة المعتبرة فيها مع الاتِّفاق على نبوَّة النَّبيّ وخاتميَّته للرِّسالة، أمَّا قوم موسى فإنَّهم اختلفوا في نبيّهم ولم يؤمنوا به ولا بما دعا إلية من الوحدانيَّة، إذ طلبوا من نبيهم أنْ يجعل لهم آلهة يعبدونها من دون الله بعد الآيات والمعجزات الَّتي شاهدوها فكانوا أكثر الخلق جهلًا؛ لأنَّهم لم يفهموا حقيقة التَّوحيد.

---

(١) ظ: محمَّد رشيد رضا/ تفسير المنار، ١٠٨/٩.
(٢) ظ: محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤٠٦/٤.
(٣) ظ: محمَّد سليمان الأشقر/ زبدة التَّفسير/ ١٦٧.

خُلَاصَةٌ واسْتِنْتَاجٌ:

إنَّ نهج البلاغة في هذا الفصل عرضَ هذه المضامينَ، واستنطق القرآن فيها، فجاء مطابقًا لما طُرِحَ في النَّهج

١. إنَّ الله تعالى لا يظلم أحدًا ولا يخذل من توكَّل عليه.
٢. إنَّ تقوى الله والإحسان إلى العباد سببًا في تحقيق النَّصر والظَّفر في الدُّنيا والآخرة.
٣. التجرُّد من كلِّ هدفٍ وغايةٍ دنيويَّة والتَّوجُّه إلى الله وحده لنيل ما عنده من الأجر والثَّواب والنَّعيم المقيم.
٤. أولويَّة أولوا الأرحام في الحكم والولاية والطَّاعة.
٥. إنَّ حزب الله هم المفلحون لإدائهم الفرائض والتَّكاليف كما أرادها الله تعالى، فهم القائمونَ بالأسحار العابدونَ لله وحده.
٦. بيان أهميَّة الاستغفار ولزوم المداومة عليه كونه أمانًا من عذاب الله، وفيه غفران الذِّنوب والمعاصي.
٧. الإحسان إلى النَّاس جميعًا وإسداء المعروف للشَّاكر والكافر وعدم الالتفات لشكر النَّاس ومدحهم، لأنَّ الله سبحانه وتعالى هو الشَّاكر الحقيقيّ لكل معروفٍ وإحسانٍ.
٨. القناعة والرِّضا بالكفاف من الرِّزق الحلال ففي ذلك طيب الحياة والغنى واطمئنان النَّفس والكفاية من كلِّ شيء، وتلك هي الحياة الكريمة الَّتي فيها السَّعادة والنَّعيم.
٩. تقوى الله سبحانه وطاعته في كلِّ الأحوال، واتِّباع طريق الحقِّ وإن قلَّ سالكوه.
١٠. جعل الله تعالى الجنَّة ونعيمها المقيم الدَّائم لعباده الصَّالحينَ المتواضعينَ الَّذين لا يريدونَ العلو والتَّفاخر المُستلزم للهلاك والضَّلال.
١١. عدم اتِّباع الهوى والميل عن طريق الرُّشد؛ لأنَّ في ذلك الضَّلال والهلاك.
١٢. الاعتبار والاتِّعاظ بآيات الله وآثار عظمته في السَّموات والأرض.
١٣. إنَّ الله سبحانه يجازي كلُّ إنسان على أعماله، فلا تحمل نفس إثم تقس أخرى.
١٤. الشّرك ذنب لا يغتفر فمن مات على الكفر لا يغفر الله له ويغفر ما دون ذلك من الذِّنوب والمعاصي.
١٥. إنَّ الصَّلاة عمود الدِّين، وتركها ذنب عظيم، وإثم كبير وهدْمٌ للدِّين.
١٦. إنَّ المنافقينَ هم حزب الشَّيطان الخاسرونَ الخالدونَ في النَّار لأنَّهم باعوا الهدى بالضَّلالة.

مَدْخَلٌ إلى الفَصْلِ الرَّابِعِ

من البديهيّ إنَّ ما تفرزه كلّ مرحلة من مراحل الحياة في المجال الفكريّ والعلميّ ومن نتاج أدبيّ يعدُّ رهين للأحداث الاجتماعيَّة والتَّطورات السياسيَّة والثقافية لتلك المرحلة، وكان لظهور الإسلام والدَّعوة له، صدى عميقًا هزَّ دنيا الأحداث، وإنَّ المتتبّع لهذا الظُّهور العظيم للإسلام في تأريخ الامَّة، يجد أن خطب الوعظ والإرشاد قد أدَّت دورًا بارزًا إزاء هذا الحدث وما أفرزه من تطوُّرات سياسيَّة أخرى كظهور أفكار سياسيَّة، وكتل المعارضة والأقطاب المؤيّدة للدَّعوة الإسلاميَّة الجديدة، ولما كان حدث هذه المرحلة في الدعوة هو الإقناع والبيان والتَّشريع إذًا لا بدَّ من أن يشمله تطوّر هائل عبر مراحل التَّطوّر الفكريّ للأمَّة لأسباب كثيرة لا مجال لحصرها، ولكنَّها بلغت الذَّروة على عهد الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) لسخونة الأحداث وكثرة الحروب، إذ ارتقت الخطب في عهد الإمام عليّ (عليه السلام) ارتقاءً واضحًا وصارت سلاحًا قويًّا يلجأ إليه الخليفة وخصمه؛ ليثيران بها الأنصار، ويحفِّزان النُّفوس إلى الغارة والحروب، ولقد خلّف لنا هذا العصر قدرًا كبيرًا من الخطب، لم يُؤثَر مثله طوال عهد الخلفاء الراشدين؛ وليس ذلك بعجيب؛ فإنَّ المسلمين لم يقفوا موقفًا يحتاج إلى الخطبة كهذا الموقف الَّذي وقفوه أيَّام الإمام عليّ (عليه السلام).

والمتتبّع لخطب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) يجد فيها أثر الوعظ المقرون بمعاني القرآن الكريم، الَّتي كان يرغب الخطباء في اقتباسها كما كانوا يرغبون في إرسال الحكم؛ وقد نفخت فيها العاطفة الدينيَّة والحزبيَّة بشدَّة، واهتمَّ الخطباء بالتَّأثير والإقناع اهتمامًا واسعًا، وعليه فقد جاءت خطبه (عليه السلام) جامعة شاملة فهي تُجلي القلوب، وتهذِّب البصائر، وتسمو بالإنسان إلى أسمى مراتب الكمال، وكان لها التَّأثير البالغ في نفوس العارفين.

المَبْحَثُ الأوَّل: اسْتِنْطَاقُ نُصُوصِ الوَعْظِ بِالإيمَانِ والتَّقْوَى

لمعرفة نصوص مواضع الوعظ لا بدَّ من معرفة معنى الوعظ لغة واصطلاحًا وبيان مقوّمات النَّصِّ الوعظيّ:

الوَعْظُ فِي اللُّغَةِ

الوَعْظُ: التَّخْويف، والاسم عِظَةٌ ومَوْعِظَةٌ، وهو التَّذكير بالخير فيما يرقُّ له قلبه(١)، والوَعْظُ والعِظَةُ والمَوْعِظَةُ: النُّصْحُ والتَّذكير بالعواقب، وهو تذكير الإنسان بما يلِيّن قلبه من ثوابٍ وعقاب، وفي الحديث: لأجعلنَّك عِظَةً، أي: موعِظَةً وعِبْرَةً لغيرك، قال تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾(٢)، فلم يجيء بعلامة التَّأنيث لأنَّ المَوعظَة في معنى الوعظ، وقد وَعَظَهَ وعظًا وعِظَةً، واتَّعَظَ: قَبِلَ المَوعِظَةَ(٣)، والوَعْظُ: الأمر بالطَّاعة والوصيَّة بها، وعليه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾(٤)، أي: أوصيكم وآمركم، واتَّعظ أي ائتمر وكفَّ نفسه، وهو واعِظٌ، والجمع وُعَّاظ(٥).

الوَعْظُ فِي الاصْطِلَاح

عُرِّف الوعْظ في الاصطلاح بعدَّة تعريفات فقيل: إنَّه زجْرٌ مقترن بتخويف(٦)، أو هو أنْ تقول: إتَّقِ الله في الحقِّ الواجب عليك واحذر العقوبة(٧)، أو هو لفظٌ يستجمع عبارات النُّصح والتَّنبيه على الأخطاء والتَّذكير بما يردع عن الشَّر من الوعد بالثَّواب والوعيد بالعقاب(٨)، أو هو كلمة مؤثِّرة رقيقة تأخذ بمجامع القلوب لتحرّكها وتوقظها من غفلتها وسباتها لتدرك الغاية الَّتي خُلقت من أجلها فتزعج النَّفس وتحرّكها نحو سبيل تحقيق تلك الغاية(٩).

يتبيَّن من ذلك إنَّ الوعظ في معناه الاصطلاحيّ لا يختلف عن معناه اللُّغويّ.

مُقَوِّمَاتُ النَّصِّ الوَعْظِي

---

(١) ابن فارس/ مجمل اللُّغة، ١/ مادَّة: (وَعَظَ).
(٢) البقرة/ ٢٧٥.
(٣) ابن منظور/ لسان العرب، ٤/ مادَّة: (وَعَظَ).
(٤) سبأ/ ٤٦.
(٥) الفيُّوميّ/ المصباح المنير، ١/ مادَّة: (وَعَظَ).
(٦) الرَّاغب الأصفهانيّ/ مفردات ألفاظ القرآن الكريم/ ٨٧٦.
(٧) النَّوويّ/ روضة الطَّالبينَ، ٣٦٧/٧.
(٨) ابن المبرَّد/ الدُّرُّ النَّقيّ، ٦٦٧/٣، محمَّد رواس قلعجيّ، د. حامد صادق قنيبيّ/ معجم لغة الفقهاء/ ٥٠٦.
(٩) د. عبد الحميد هنداويّ/ منهج الدَّعوة في واقعنا المعاصر/ ٨٨.

يتضمَّن النَّصُّ الوعظيّ: الأوامر والنَّواهي، والتَّرغيب والتَّرهيب، والمدْح والذَّم، والتَّحذير، والثَّواب والعقاب[١].

استقْريتُ الوعظ في مواضع الإيمان والتّقوى فوجدتُ ثلاثة نُصوص، النَّصُّ الأوَّل نصٌّ صريحٌ في الإيمان، والنَّصُّ الثَّاني صريحٌ في التَّقوى، أمَّا النَّصُّ الثَّالث فهو يندرج تحت التَّقوى؛ لأنَّه يتحدَّث عن العفْو، والعفْو أقربُ للتَّقوى بنصِّ القرآن الكريم.

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿الم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٢]

وردت الآية الكريمة في خطبة أمير المؤمنينَ (عليه السلام)[٣]، وفيها دلالة التَّحذير من الفتن[٤]، وقد أشار الإمام فيها إلى عدَّة مسائل ففي أوَّلها حثَّ الإمام النَّاس على طاعة أوامر الله سبحانه وكشف لهم عن طريق الجنَّة[٥]، وتطرَّق إلى ذكر الإيمان وشبَّهه بالسَّبيل الواضح الخالي من العقبات[٦]، وتحدَّث عن القيامة وإعداد النَّاس لذلك بالتَّزوُّد من التَّقوى والعمل الصَّالح، وبيَّن حال أهل القبور في القيامة، وأشار إلى أهميَّة القرآن ودوره في اصلاح الفرد والمجتمع[٧].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة الفتنة والاختبار من الله تعالى للعبد بمشاقِّ التَّكاليف وأنواع المصائب في الأنفس والأموال؛ لمعرفة من يثبت على الحقِّ ومن يزيغ إلى الباطل، وتمييز المخلص من المنافق، والثَّابت في الدِّين من المضطرب فيه[٨]، لينال العبد بالصَّبر عوالي الدَّرجات، إذ مجرد الإيمان حتَّى وإنْ كان عن إخلاصٍ ويقينٍ لا يقتضي الخلاص من العذاب[٩]، فمن يدَّعي الإسلام ويحمل هويَّته فهو مسلم بالاسم إلَّا إذا اهتمَّ بأمور النَّاس وشاركهم في البأساء والضَّرَّاء، فمن لم يهتمُّ بأمور المسلمين ليس منهم، وممَّا يفتن الله عباده به هو الأموال والأولاد وجعل الفتنة بالأموال لأنَّ الإنسان كلَّما أسرف في المادِّيات ازداد بعدًا عن الرُّوحيَّات، كما جعل الفتنة بالأولاد؛ لأنَّه أعزُّ ما يملك الإنسان، قال تعالى: ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ

---

(١) أحمد آدم أحمد محمَّد/ الخطاب الوعظيّ النَّبويّ/ ١٣.
(٢) العنكبوت/ ١-٢.
(٣) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيُّ) / ٢٥٢.
(٤) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٢٨٨.
(٥) عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحينِ، ٩٢٥/٢، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤٠١/٢.
(٦) عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحينِ، ٩٢٧/٢، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤٠٢/٢، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٩١/٦.
(٧) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤٠٣/٢، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٩٥/٦.
(٨) البيضاويّ/ أنوار التَّنزيل، ١٨٨/٤، الثَّعالبيّ/ الجواهر الحسان، ٢٨٨/٤، الفيض الكاشانيّ/ الصَّافيّ، ٤٥٩/٥، محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٤٢٤/٢.
(٩) البيضاويّ/ أنوار التَّنزيل، ١٨٨/٤.

وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[١]، فاختبارهم في الأموال والأولاد لتظهر الأفعال الَّتي يستحقُّ بها الثَّواب والعقاب[٢]، لقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[٣]، فليس الإيمان كلمة تُقال بل لا بدَّ من الاختبار فمن صبر عندها ولم يخرج عن دينه، فهو مؤمن حقًّا وإلَّا فما هو من الإيمان في شيء، فيجب أنْ يستجيب العبد لربِّه استجابة عمليَّة لا لفظيَّة، حتَّى وإنْ ابتُلي بالخطوب والمحن؛ لأنَّه أخلص لله تعالى فما يزيده ذلك إلَّا إيمانًا وتسليمًا[٤]، وقد بيَّن الإمام (عليه السلام) إنَّ فتنة الانحراف عن أصول الدِّين وفروعه لا يقع طالما كان النَّبيّ بين أظهرهم ولكن ما أنْ تغيب شمس النُّبوَّة حتَّى يستغلُّ المنافقونَ الفرصة وتبرز الخلافات[٥]، وقد أشار النَّبي (صلى الله عليه وآله) إلى ما يبيّن تلك الفتنة فقال: ((إنَّ أمَّتي ستفتتن من بعدي فتأوِّل القرآن وتعمل بالرَّأي وتستحلُّ الخمر بالنَّبيذ والسُّحت بالهديَّة والرِّبا بالبيع وتحرّف الكتاب عن مواضعه وتغلب كلمة الضَّلال فكن جليس بيتك حتَّى تقلِّدها فإذا قلَّدتها جاشت عليك الصُّدور وقلِّبت لك الأمور)) [٦]، وهذه صفات الفئة الَّتي تعيش ذلك الاختبار وهذه سيرة الله تعالى في عباده[٧].

يبدو ممَّا تقدَّم أنَّ الله سبحانه وتعالى يبلو الإنسان ويختبره بشتَّى أنواع الاختبارات في السَّراء والضرَّاء في الأموال والأنفس؛ ليظهر المُحسِن من المسيء والثَّابت على الدِّين من المتزعزع في إيمانه والصَّابر من الجزوع، فإنَّ الإيمان ليس مجرَّد كلمة تقال على اللِّسان بل لابدَّ من عبادة الله وطاعته في كل الأحوال في الشدَّة والرَّخاء وفي الفقر والاغتناء وتطبيق ذلك في عمل الإنسان وسلوكه.

---

(١) الأنفال/ ٢٨.
(٢) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤٠٧/٢.
(٣) الأنبياء/ ٣٥.
(٤) محمَّد جواد مغنية/ الكاشف، ٩٣/٦.
(٥) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١٠٢/٦.
(٦) المجلسيّ/ بحار الأنوار، ٢٤٣/٣٢.
(٧) عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ٩٣٢/٢، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤٠٧/٢، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١٠٢/٦.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وفيها مواعظ للنَّاس[٢]، حيث أشار الإمام في أوَّل الخطبة إلى مسائل مهمَّة في جانب حمد الله والثَّناء عليه والاستعانة بذاته المقدَّسة والاستغفار عن الذِّنوب والمعاصي[٣]، ثمَّ بيَّن فضيلة التَّقوى مشيرًا إلى آثارها الأخرويَّة وأهميَّتها وآثارها القيِّمة في خاصَّة عباد الله[٤]، كما بيَّن تفاهة الدُّنيا وتقلُّب أحوالها وما تنطوي عليه من شدائد ونوازل بهدف اجتناب جذور التَّحلُّل وعدم استشعار الورع والتَّقوى[٥]، وذكر في آخر الخطبة سلسلة من النَّصائح والمواعظ بهدف إعداد المخاطبينَ بحيث لو تأمَّلها الإنسان وفكَّر فيها وسعه تحقيق السَّعادة والنَّجاة[٦].

إنَّ أمير المؤمنينَ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة الأمر بتقوى الله قدر المستطاع وخوفه[٧]، والدَّوام على الإسلام والإيمان؛ للاستعداد للموت حال مجيئه[٨]، والتَّقوى المطلوبة الَّتي تحقُّ له تعالى هي ألَّا يترك العبد شيئًا ممَّا يلزمه فعله ولا يفعل شيئًا ممَّا يلزمه تركه ويبذل في ذلك جهده ومستطاعه[٩]، وذلك لأنَّ التَّقوى خير زاد في الآخرة[١٠]، وكلُّ من فعل الواجبات، وتجنَّب المحرَّمات فقد اتَّقى الله حقَّ تقاته؛ لأنَّه تعالى يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[١١]، فكلُّ ما لا يُستطاعُ لا يتناوله التَّكليف، وكلُّ ما لا يمكن التَّكليف به فهو أجنبيّ عن التَّقوى[١٢]، وقد جاء عن أبي عبد الله حين سُئل عن معنى تقوى الله فقال: ((يُطاعُ فلا يُعصى، ويُذكَر فلا يُنسَى، ويُشكَر فلا يُكفَر))[١٣]، كما أمر بأنْ لا يكون العبد على حال سوى حال الإسلام، ووجوب الدَّوام عليه؛

---

(١) آل عمران/ ١٠٢.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ١٩٦، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٢١٩.
(٣) الرَّاوندي/ منهاج البراعة، ٤٢٠/١، ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٢١/٧، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٥٥/٥.
(٤) الرَّاوندي/ منهاج البراعة، ٤٢١/١، ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٢٢/٧.
(٥) الرَّاوندي/ منهاج البراعة، ٤٢٢/١، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٦٣/٥.
(٦) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٢٤/٧-١٢٥، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٦٩/٥.
(٧) السَّخاويّ/ تفسير القرآن العظيم، ١٥٠/١، ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٢٦/٧.
(٨) السَّخاويّ/ تفسير القرآن العظيم، ١٥٠/١.
(٩) محمَّد صدِّيق خان/ فتح البيان، ٣٠١/٢.
(١٠) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٢٨٤/٩.
(١١) التَّغابن/ ١٦.
(١٢) محمَّد جواد مغنية/ التَّفسير الكاشف، ١٢٢/٢.
(١٣) الصَّدوق/ معاني الأخبار/ ٣٤٠.

ذلك لأنَّ الموت لا بدَّ منه، فلا بدَّ من الثَّبات على الإسلام والدَّوام عليه إلى الموت[1]، ووجه الاقتباس هنا إنَّه لمَّا كان الكلام في معرض حذر السَّامعينَ إلى العمل الَّذي هو تطويع النَّفس الأمَّارة بالسُّوء للنَّفس المطمئنَّة الَّذي هو خير من الرِّياضة، وكانت التَّقوى عبارة عن الزُّهد في الدُّنيا الَّذي تعود حقيقته حذف الموانع الدَّاخليَّة والخارجيَّة عن القلب، وهو الجزء الثَّاني من الرِّياضة، وكان الإسلام هو الدِّين الحقّ المركَّب من ذينك الجزئينِ لا جرم حسن ايراد الآية المشتملة على الأمر بالتَّقوى والموت على الإسلام بعد الأمر بالعمل ليكون ذلك أمرًا بإكمال الدِّين وإتمامه[2].

يتَّضح ممَّا سبق أمر الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) بتقوى الله حقَّ تقاته، ما كان ذلك مُستَطاعًا، من خلال عمل الواجبات وتجنُّب المحرَّمات، وطاعة الله سبحانه وذكره في السَّراء والضَّراء، وكذلك الأمر بالدَّوام على الإسلام، والنَّهي عن تركه، والثَّبات عليه حتَّى الموت.

(١) ظ: محمَّد صدِّيق خان/ فتح البيان، ٣٠١/٢، ظ: محمَّد جواد مغنية/ التَّفسير الكاشف، ١٢٢/٢.
(٢) ظ: محمَّد بن حبيب الله/ التُّحفة العليَّة، ١٦٦/٣.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا تُحبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في رسالة لأمير المؤمنينَ (عليه السلام) قالها قبل موته لمَّا ضربه ابن ملجم[٢]، وهي من رسائل الوصايا والتَّعاليم[٣]، وتشتمل على قيم عالية وموعظة بالغة؛ للاعتبار بحاله (عليه السلام) وكيف إنَّه كان على أتمِّ الاستعداد للموت، فأوصى أهله أنْ لا يُشركوا بالله شيئًا، وأنْ يعملوا بسُنَّة رسول الله؛ لأنَّ الإسلام يرتكز على هذين العمودينِ، وبهما سعادة الإنسان وخلاصه من الملامة والنَّدامة، ثمَّ نعى نفسه ووعظهم بحاله وما كان عليه الأمس واليوم والغد[٤]، وبيَّن أمره مع قاتله وإنَّه وليُّ دمه إنْ بَقِيَ على قيد الحياة، وإنْ وافاه الأجل فالعفو أجمل وأكثر حسنة، ثمَّ أقسم إنَّه لم يتفاجئ من الموت لأنَّه كان يترقَّبه؛ لأنَّ ما عند الله خير للأبرار من الدُّنيا وما فيها[٥].

إنَّ أمير المؤمنينَ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ في مسألة العفو عن المسيء الَّذي يستلزم غفران الذِّنوب، فكما يحبُّ العبد أنْ يغفر الله تعالى له ويسامحه على ما ارتكب من معاصي، فعليه أنْ يعفو ويصفح عمَّن أساء إليه[٦]، وذلك ترغيب عظيم في العفو والمغفرة عن الَّذين ظلموا ولمن هم تحت أيديهم ومنهم هذا الظَّالم المتمرِّد -ابن ملجم- الَّذي جنى هذه الجناية الفظيعة الَّتي اهتزَّت لها السَّموات واضطربت لها الأرض[٧]، فمن يغفر ذنب من أذنب إليه يغفر الله له، ومن يصفح عن مسيءٍ يصفح الله عنه، وفي ذلك العفو وعدٌ كريم بالمغفرة من الذِّنوب، وحثٌّ على مكارم الأخلاق[٨]، فالإمام عليّ (عليه السلام) يأمر بالعفو عن قاتله رغبة في الجزاء الأكبر والثَّواب الأوفر والقرب من الله سبحانه؛ لأنَّ العفو أقرب للتَّقوى كما قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٩]،[١٠]، والتَّقوى هي مَثَلُ الإمام الأعلى، فلا غرابة أن يعفو عن قاتله وإنْ بدا هذا العفو كأنَّه عطاءٌ ورحمةٌ[١١]، وفي ذلك دلالة على إنَّ الله تعالى أنزل في قلب الإنسان الرَّحمة، وإذا أنزل الله في قلب الإنسان الرَّحمة فإنَّه يرحم غيره، وإذا رحم غيره رحمهُ الله (عزَّ وجلَّ)، ويُنظَر إلى هذا المعنى

---

(١) النُّور/ ٢٢.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيُّ) / ٤٤٢.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٥١٦.
(٤) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٩٨/٤، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤٤٠/٣.
(٥) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٩٩/٤، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٣٠٣/١٨.
(٦) الماورديّ/ النُّكت والعيون، ٨٤/٤، الطَّبرسيّ/ مجمع البيان، ١٧١/٧، القرطبيّ/ الجامع لأحكام القرآن، ١٨١/١٥، أحمد مصطفى المراغيّ/ تفسير المراغيّ، ٨٩/١٨.
(٧) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٩٩/٤.
(٨) أحمد مصطفى المراغيّ/ تفسير المراغيّ، ٨٩/١٨.
(٩) البقرة/ ٢٣٧.
(١٠) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤٤١/٣، محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ١٠/٤.
(١١) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤٤١/٣.

قول رَسول الله (ﷺ): ((من لا يرحم لا يرحمه الله))[1]، كما قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾[2]، فالعفو مُستَحبٌّ ومُثاب عليه فكما تحبُّون عفو الله فاعفوا، وهذا الأمر للإرشاد لا للإيجاب ولا ينافي الانتقام من ابن ملجم، كما لا ينافي وجود الغفران في العفو وجوده في القصاص؛ لأنَّ لكلا الطَّرفين مصلحة ولذا يوجب لكل واحد منها الثَّواب[3]، فالقصاص حقٌّ إسلاميّ ولا يتدخَّل الإمام في حقوقهم بل يشير إلى أنَّ المسؤوليَّة الإسلاميَّة تحبِّذ العفو، وهو يقوم بدوره الإرشادي بأنَّ العفو موجب للغفران[4].

وظاهرٌ ممَّا سبق أنَّ التَّرغيب في العفو عن المذنب والصَّفح عن المسيء؛ لتحصيل المغفرة والرحمة والجزاء الكبير من الله تعالى، فكما يحبُّ الإنسان أنْ يغفر الله له ذنوبه وعصيانه عليه أنْ يغفر ويعفو عمَّن أذنب؛ للقرب منه تعالى والفوز بالأجر العظيم والثَّواب الوفير.

(١) ابن عثيمن/ شرح رياض الصَّالحين، ٥٥٤/٢.
(٢) الأعراف/ ١٩٩.
(٣) محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ١٠/٤.
(٤) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٠٧/٤.

المَبْحَثُ الثَّانِي: اسْتِنْطَاقُ نُصُوصِ الوَعْظِ بِأنْوَاعِ الاخْتِبَارِ

استقريتُ الوعْظَ في مواضع أنواع الاختبار فوجدتُها أربعة نصوص، أمَّا النَّصُّ الأوَّل فهو اختبار الأموال والأولاد، وأمَّا النَّصُّ الثَّاني فهو يتحدَّث عن الفَضْل ويُراد به العطاء والبذْل فهو يندرج تحت اختبار الأموال، وأمَّا النَّصُّ الثَّالث فهو بتحدَّث عن اختبار العمل، فهو من جنس الاختبار وإنْ اختلف نوعه، فهنا ناظر إلى العمل، في حين أنَّه في النَّصِّ الأوَّل ناظرٌ إلى الأموال والأولاد، وفي النَّصِّ الثَّاني ناظرٌ إلى الأموال حصْرًا، وأمَّا النَّصُّ الرَّابع فهو من جنس الاختبار إلَّا إنَّه ناظر لأمَّةٍ معيَّنة وهم قوم نوح إلَّا أنَّه سارٍ في كلِّ أمَّةٍ.

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في حِكْمَة لأمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، وقد دلَّت على أصلٍ من أصول الدين وهو العدل الإلهي وعلة ابتلاء المكلَّفينَ[٣]، وفيها نهى الإمام عن الاستعاذة من الفتنة؛ لأنَّ حياة كلّ إنسان مليئة بالامتحانات في كل الحالات ومع مختلف النَّاس من قريب أو بعيد، وبيَّن إنَّه على الإنسان الاستعاذة من مضلَّات الفتن الَّتي تضلُّ السَّبيل، وفيها يفقد الإنسان الرُّؤية الصَّحيحة، كما هي في فتن الحروب والمحن الواردة على الإنسان الَّتي تزلزل الاعتقاد وتأثِّر بالعواطف، وكذلك والاختبارات الَّتي يتعرَّض لها الإنسان والَّتي تجعله ساخطًا لنعمة الله تعالى عليه[٤].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة الفتنة والاختبار بالأموال والأولاد وسائر ما أنعم الله على الإنسان الَّتي بها يظهر ما في النَّفس من اتِّباع الهوى أو تجنُّبه[٥]، لذا يجب على العاقل أنْ يحذر من المضارِّ المتولِّدة من حُبِّ المال والولد؛ لأنَّه يشغل القلب ويصيّره محجوبًا عن خدمة المولى وهذا من أعظم الفتن[٦]، فكلٌّ منَّا يُمتحَن في أمواله وأولاده، وهذا الاختبار لمعرفة السَّاخط الغاضب على حكم الله وإرادته من الرَّاضي بذلك وإن كان الله تعالى يعلم بأحوالهم وأنفسهم، ولكن من أجل أن يقيم الحُجَّة عليهم ويقطع أعذارهم وليتبيَّن من يستحقُّ الثَّواب بعمله ومن يستحقُّ العقاب بعمله، ومثال ذلك إنَّ بعضهم يحبُّ الذُّكور ويكره الإناث ليرى هل

---

(١) الأنفال/ ٢٨.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٥٦٦.
(٣) أويس كريم محمَّد/ المعجم الموضوعيّ/ ٨٢.
(٤) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٧١/٥، محمَّد حسين الجلالي/ شرح نهج البلاغة، ١٠٤/٥.
(٥) ابن الجوزيّ/ زاد المسير، ٢٠٤/٢، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٥٦٥/١٦، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٠٥/٥.
(٦) الخازن/ لباب التَّأويل، ٣٠٦/٢.

يطيع الله فيما يكره وفيما يحبُّ أم لا، وبعضهم يحبُّ زيادة المال وعدم نقصانه فيرى هل يستغلُّ الطَّريق المنحرف لزيادة المال كأن يُرابي أو يغشُّ أو يقنع بما يرضى الله وإن كان فيه نقص المال وقلَّته[١]، وحاصل ذلك إنَّ الفتنة أعمُّ من الفتنة المستفاد منها لصدقها على المال والبنين باعتبار ابتلاء الله عباده واختباره لهم بهما وغير مستعاذ منها إذا راعى العبد فيها أمر الله ولزم طاعته وأمَّا الفتنة المستفاد منها فهي الَّتي يستلزم الوقوع فيها الظَّلال عن سبيل الله كالخروج في المال عن واجب العدل وصرفه في امداد الشَّهوات واتِّباع الهوى[٢]، وغير ذلك ممَّا يوجب سقوط الإنسان عن مقام الإنسانيَّة وخلودها في العذاب جسمًا وروحًا في الدُّنيا والآخرة، فالمال والأولاد والثَّروة والمقام بل وكلُّ نعمة من نعم الدُّنيا فتنة ووسيلة لاختبار صاحبه، فصرف المال في غير ما أجازه الله فهو مضلٌّ وكذلك الأولاد وسائر النعم، فالنِّعمة إن كانت باعثة للإعراض عن الحقِّ والإقبال إلى الباطل فهي مظلَّة وإن كانت باعثة على تقوية الحقِّ والميل إليه وتحصيل الآخرة فهي غير مظلَّة[٣]، ولا شكَّ إنَّ هذه الفتنة عظيمة لأنَّ أموال الإنسان عليها مدار معيشته وهو الَّذي يركب الصِّعاب في تحصيلها، ويكلِّفه الشَّرع فيها التزام الحلال واجتناب الحرام إضافة إلى الحقوق والنَّفقات، وكذلك الأولاد الَّذينَ هم ثمرة الفؤاد وأفلاذ الأكباد وحبُّهم يحمل على بذل ما يُستَطاع بذله في سبيلهم من مالٍ وصحَّةٍ وراحةٍ وقد يحمل ذلك إلى اقتراف الآثام، فالواجب اتِّقاء خطر فتنة الأموال بالكسب الحلال، واتِّقاء خطر فتنة الأولاد من جهة ما يتعلَّق منها بالمال وغيره وبما أوجب الله على الوالدينِ من حُسنِ التَّربية على الدِّينِ والفضائل وتجنيبهم المعاصي والرَّذائل[٤]، وذلك خطاب للكينونة البشريَّة بما يعلم خالقها من تركيبها الخفيُّ، ومواطن الضُّعف فيها، فهو سبحانه يعلم إنَّ الحرص على الأموال والأولاد من أعمق مواطن الضُّعف، ومن هنا ينبِّهنا إلى إنَّه تعالى وهبها للنَّاس ليبلوهم بها ويفتنهم فيها ليرى فيها صنيع العبد وتصرُّفه، أيشكر عليها ويؤدِّي حقَّها، أم ينشغل بها حتَّى يغفل عن إداء حقِّ الله فيها، لأنَّه تعالى يقول في محكم كتابه: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[٥]، والفتنة لا تكون بالشِّدة والحرمان وحدهما، إنَّما تكون بالرِّضا والعطاء أيضًا[٦].

---

(١) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٧١/٥، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٥٦٥/١٦، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٠٥/٥.
(٢) عبد الله شبَّر/ نخبة الثَّرحينِ، ١٨٧٤/٤.
(٣) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٥٦٥/١٦.
(٤) محمَّد رشيد رضا/ تفسير المنار، ٦٤٦/٩.
(٥) الأنبياء/ ٣٥.
(٦) سيِّد قطب/ في ظلال القرآن، ١٤٩٨/٣.

وواضحٌ ممَّا تقدَّم أنَّ الأموال والأولاد وكلَّ ما أنعم الله به على الإنسان اختبار وامتحان وفتنة ليرى من يستحقُّ الثَّواب ومن يستحقُّ العقاب، ويعرف الملتزم بواجبه الإسلاميّ ويعرف السَّاخط على ما رزق الله، وهذا يوجب على الإنسان الكسب الحلال وصرف الأموال في سبل البرّ والإحسان، وتربية الأولاد على معرفة الدِّين والفضائل والابتعاد عن الرَّذائل.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[١]

وردت الآية المباركة في حِكْمَة للإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وقد دلَّت على جانب من الجوانب الاقتصاديَّة لبيان خطوة قانونية في منابع بيت المال وما يتعلَّق منها بالزَّكاة وأهمِّيتها والحثِّ عليها[٢]، فيذكر (عليه السلام) سيِّئات ما يأتي في الزَّمن القادم وإنَّه زمان شديد قاسٍ عنيد تنعكس فيه الأمور فيمسك الغنيُّ يده فيه، وترتفع الأشرار وتتولَّى زمام الأمور، وتستذلُّ الأخيار والطيِّبون من عباد الله ويُكرَهونَ على بيعة الحكَّام الظَّالمينَ اضطرارًا وذلك مخالف لقول النَّبيّ الذَّي نهى عن بيعة المضطرِّينَ[٣].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّص القرآنيّ في مسألة التَّرغيب بالمعروف والإحسان والحثُّ على الفضْلِ[٤]، وعدم التَّغافل عن الأخذ به بين النَّاس بعضهم على بعض[٥]، وعدم الامتناع عن البذل والعطاء؛ لأنَّ ذلك التَّغافل والإمتناع مخالف لما أراده الله (عز وجل) من العطاءِ والاحسانِ خصوصًا في الوقت الَّذي يحتاج النَّاس فيه إلى المساعدة والسَّخاء[٦]، فلا يقبض الغنيُّ ويمسك على ما في يده ولا ينفقه في مورده، ولا ينسى النَّاس الفضل بينهم بالبخل والإمساك؛ لأنَّهم لم يُؤمَروا بذلك[٧]، إنَّما أُمِروا بالبذلِ وأنْ يُحسِنوا إلى النَّاس كما أحسن الله تعالى إليهم[٨]، بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[٩]، فكما أعطى الله تعالى للعبد دون استحقاق منه عليه أنْ ينفق ممَّا أتاه الله إحسانًا وفضلًا[١٠]، لأنَّ ميراث السَّموات والأرض لله تعالى وحده، وإنَّ الَّذين يبخلون إنَّما يبخلون بمال الله وهو يأمرهم بعدم البخل به وأنذرهم بأشدِّ العذاب حيث قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[١١]، وفي ذلك

---

(١) البقرة/ ٢٣٧.
(٢) أويس كريم محمَّد/ المعجم الموضوعيّ/ ٢٧٣.
(٣) ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٥/٥٣٦-٥٣٧، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ١٧/٦١٤.
(٤) الطَّبريّ/ جامع البيان، ٤/٣٣٨، محمَّد عزة دروزة/ التَّفسير الحديث، ٦/٤٤٥.
(٥) الطَّبريّ/ جامع البيان، ٤/٣٣٨، السَّمعانيّ/ تفسير القرآن/ ٢٤٢.
(٦) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٥/٥٣٦.
(٧) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ١٧/٦١٤، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤/٤٨١، محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٤/٤٨١.
(٨) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤/٤٨١.
(٩) القصص/ ٧٧.
(١٠) محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ١٦/٧٦.
(١١) آل عمران/ ١٨٠.

حثٌّ على الإنفاق من المال الَّذي في أيديهم؛ لأنهم ليسوا أكثر من وكلاء عليه[1]، لذلك يجب على العبد أنْ لا ينسى المُثُل الإنسانيَّة في الإيثار والبذل والإحسان في جميع الموارد[2].

وواضحٌ ممَّا سبق الحثُّ على الإنفاق والعطاء والمعروف بين النَّاس والإحسان إليهم والبذل عند الحاجة والابتعاد عن البخل والإمساك عمَّا في اليد؛ لأن كلَّ ما في السَّموات والأرض ملك لله تعالى وإنَّما نحن مُستَخلَفينَ فيه، فلا تحملنا نفوسنا على ترك ما فيه من الفضل.

(١) محمَّد عزَّة دروزة/ التَّفسير الحديث، ٢٧٩/٧.
(٢) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ الأمثل، ٤٠/٢.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، وفيها مواعظ للنَّاس[٣]، ابتدأها بالثَّناء لله تعالى وذكر أوصاف الكمال المختصَّة بذاته الكريمة[٤]، مبيّنًا الغرض من بعثة الرُّسل والأنبياء وهو جذب النَّاس إلى طرف الحقِّ من خلال التَّنفير من الدُّنيا والتَّرغيب في الآخرة[٥]، ثمَّ ذكر أوصاف القرآن الكريم وإنَّه الآمر والنَّاهي والصَّامت والنَّاطق وكونه حجَّة على الخلق إلى غير ذلك من الصِّفات[٦]، ثمَّ أمر بالتَّقوى وحذَّر من تركها والعدول عنها وذكر ما يرغِّب في ملازمتها[٧]، وأمر بالمبادرة إلى المعاد والمسابقة إلى الآجال قبل أنْ ينقطع الأمل وتُسدُّ باب التَّوبة ليكونوا مع أولياء الله الَّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنونَ[٨].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة ابتلاء الله تعالى للإنسان واختباره ليرى أيُّهم أخلص عملًا، وأزهد في الدُّنيا، وهذا الاختبار من الله تعالى هو لإظهار ما يعلمه سبحانه من قِبَل خَلْقِه[٩]، وبعبارة أخرى: إنَّه تعالى يختبرهم ليرى أيُّهم أكثر وَرَعًا عن محارمه سبحانه وأسرع في طاعته[١٠]، وليُظهِر ثقتهم وإخلاصهم وما في قلوبهم من الخير أو الشرّ؛ لأنَّه تعالى يقول: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[١١]،[١٢]، فهذا الابتلاء هو غاية العناية الإلهيَّة لأنَّ الله سبحانه غنيّ عن عباده، فهو الذَّي له خزائن السَّموات والأرض، ويملك كلَّ ما في هذا الكون، فما طلبه منهم من نصرةٍ في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[١٣]، وقرضٍ في قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ

---

(١) هود/ ٧.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) /٣١٠.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٣٥٥.
(٤) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٦٩/٣، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٣٢٠/١٠.
(٥) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٦٩/٣، ظ: محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ١٢٩/٤-١٣٢.
(٦) ظ: ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٧٢/٣-٢٧٤، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٣٢٣/١٠.
(٧) ظ: ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٧٤/٣-٣٧٧، ظ: محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ١٣٣/٤-١٣٥.
(٨) ظ: ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٧٨/٣-٣٨٠، ظ: ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٣٣٧/١٠-٣٤٧.
(٩) السَّمرقنديّ/ بحر العلوم، ١١٧/٢.
(١٠) الماورديّ/ النُّكت والعيون، ٤٥٩/٢، محمَّد عليّ الصَّابونيّ/ صفوة التَّفاسير، ٦/٢.
(١١) آل عمران/ ١٥٤.
(١٢) أبو حفص النَّسفيّ/ التَّيسير في التَّفسير، ٣٢٧/٤.
(١٣) محمَّد/ ٧.

قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾[1]، لم يكن لقلَّةٍ أو ذلَّةٍ، إنَّما أراد من ذلك الاختبار والابتلاء[2]، وقد عاملهم معاملة المُخْتبِر مع المُخْتبَر ليعلم حالهم ويجازيهم على ذلك، وهذا يدلُّ على إنه تعالى لم يخلق الإنسان عبثًا ولم يتركه هملًا، إنَّما خلقهم لعبادته؛ لأنَّه تعالى يقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[3]،[4]، فلا بدَّ من المبادرة بالأعمال الصَّالحة لنيل رضاه (ﷻ) وقربه والفوز بجنانه[5].

وظاهرٌ من ذلك أنَّ الابتلاء والاختبار من الله سبحانه وتعالى هو لإظهار المُحسِن من المُسيء؛ ليجازي كلَّ إنسان حسب ما صدر منه من أعمال، وهذا يوجب المبادرة بالأعمال الصَّالحة للفوز بجوار الله سبحانه وصوْن الجسد من نار جهنَّم الَّتي أعِدَّت للظَّالمينَ.

---

(١) البقرة/ ٢٤٥.
(٢) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٨٠/٣، محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ١٣٩/٤، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة،٣٤٥/١٠، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٤/٣.
(٣) المؤمنونَ/ ١١٥.
(٤) محمَّد جمال الدِّين القاسميّ/ محاسن التَّأويل/ ٧٦، محمَّد الأمين الشَّنقيطيّ/ أضواء البيان، ١٧/٣.
(٥) ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٣٤٥/١٠.

٤- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة أمير المؤمنينَ (عليه السلام)[٢]، وقد دلَّت على التَّزهيد في الدُّنيا[٣]، وقد أمر فيها بالنَّظر إلى الدُّنيا نظر الزَّاهدينَ المُعرِضينَ من الأنبياء والمُرسَلينَ والأئمَّة المعصومينَ وغيرهم من عباد الله الصَّالحينَ، وأوجب اقتفاء أثارهم، وبيَّن إنَّه لا يمكن الأمن إلى الدُّنيا والرُّكون إليها؛ لأنَّ من شأنها تغيير حال الإنسان من سرورٍ إلى حزنٍ، ومن قوَّةٍ إلى ضعفٍ، ونبَّه على سرعة انقضاء متاعها، وسرعة لحوق الآخرة[٤]، ثمَّ ذكر صفة العالِم مبيّنًا إنَّ العالِم الحقيق من اتَّصف بعرفان قَدْرِه وعدم تجاوز طوره؛ ومن عرف ذلك نجا من ظلمات الجهالة لسلوكه الطَّريق المؤدِّي إلى النَّجاة[٥]، ثمَّ أشار إلى ما يكون في آخر الزَّمانِ من غلبة الفساد والشُّرور وعدم النَّجاة إلَّا لأهل الإيمانِ[٦].

إنَّ الإمام عليّ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة اختبار الله سبحانه لعباده وابتلائهم بأنواع الابتلاءات، وذلك ليس من باب الجور على العباد لأنَّ الله (عزَّ وجلَّ) عادل لا يظلم أحدًا، ولكنَّه يبتلي عباده ويختبرهم، وإذا فسد النَّاس لا يلجئهم إلى الصَّواب إنَّما يتركهم واختيارهم امتحانًا لهم لإثابة المُحسِن ومعاقبة المسيء[٧]، وذلك الاختبار إنَّما يكون بعد ظهور الآيات والدَّلالات الواضحة ليعلم العباد صنائعهم، وليعاقَب من سلك سبيل الكفر والتَّكذيب[٨]، وهذا الابتلاء ألوانٌ فمنه ما يكون ابتلاء للصَّبر، أو للشُّكر، أو الأجر، أو التَّوجيه، أو التَّأديب، أو للتَّمحيص والتَّقويم[٩]، فهو ابتلاء بما يحبُّ العبد وما يكره ليظهر كلٌّ على حقيقته، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[١٠]،[١١]فالباري (عزَّ وجلَّ) يختبر عباده بأيٍّ من هذه الاختبارات ويعاملهم بما يكون من نتائج هذا

---

(١) المؤمنونَ/ ٣٠.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيُّ) / ١٧١.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ١٩٠.
(٤) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٠/٧، ظ: ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٥٠/٧-١٥١.
(٥) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥١/٧، محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ١٤٤/٢.
(٦) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٢/٧-٥٤، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٥٦/٧، ظ: محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ١٤٥/٢-١٤٦.
(٧) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٤/٧، أبو بكر الحدَّاد/ كشف التَّنزيل، ١٦/٥، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٥٦/٧.
(٨) الأعقم/ تفسير الأعقم/ ٢٥٣٦.
(٩) سيِّد قطب/ في ظلال القرآن، ٢٤٦٦/٤.
(١٠) الأنبياء/ ٣٥.
(١١) محمَّد جواد مغنية/ الكاشف، ٢٧٥/٥.

الاختبار[١]، فلا مهرب ولا منجى من هذا الاختبار في كلِّ عصرٍ وزمان؛ لقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٢]، وبهذا الاختبار يتبيَّن ما عندهم من الإيمان[٣]، وهذه عادة الله تعالى في الأمم الماضية والقرون الخالية، وكذلك في غابر الزَّمان ومستقبل الأيَّام؛ لإظهار جودة العبد ورداءته ليثبت تمام العيار في قالب الامتحان ويعاقب النَّاقص الجوهر بالخزي والخذلان[٤]، وكلُّ إنسانٍ معرَّضٌ لهذا الامتحان لذا فاللَّازم على الإنسان أنْ يخاف من الفشل، ويأخذ عدَّته ويعمل صالحًا لاجتياز هذا الاختبار وتجاوزه[٥]، فمن صبر على ابتلائه نفعه صبره ومن كفر فعليه كفره[٦].

واضحٌ ممَّا سبق أنَّ الله سبحانه وتعالى يختبر عباده بأنواع الابتلاءات في الخير والشرِّ وذلك ليس جورًا عليهم لأنَّه سبحانه عادل لا يظلم أحدًا، إنَّما الاختبار لمعرفة المُحسِن من المُسيء فيجازي كلُّ إنسان حسب عمله إنْ خيرٌ فخير وإنْ شرٌّ فشرّ، وهذا يوجب على الإنسان أنْ يعمل صالحًا ويصبر عند الابتلاء للفوز برضا الله سبحانه.

(١) ظ: محمَّد عزَّة دروزة/ التَّفسير الحديث، ٣١٣/٥.
(٢) العنكبوت/ ٢.
(٣) ظ: محمَّد الأمين الشَّنقيطيّ/ أضواء البيان، ٥٠٩/٦.
(٤) ظ: ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٥٧/٧.
(٥) ظ: محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ١٤٧/٢.
(٦) ظ: محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ٨٠/٣.

المَبْحَثُ الثَّالِث: اسْتِنْطَاقُ نُصُوصِ الوَعْظِ بِالأسَى والتَّأَسِّي

استقريت الوعظ في مواضع الأسى والتَّأسِّي فوجدته في نصَّينِ، أمَّا النَّصُّ الأوَّل فقد تناول الأسى، وأمَّا النَّصُّ الثَّاني فقد تناول التَّأسِّي، ومن الجدير بالذِّكر أنَّ الأسى غير التَّأسِّي، فالأوَّل يُراد به الحُزْن والنَّدم، والثَّاني يُراد به القُدوة الحسَنَة، فهما مختلفانِ قي المعنى إلَّا أنَّ اشتقاقهما اللُّغويّ واحد، فجمعهما في موضع واحد ناظر إلى الاشتقاق اللُّغوي، لا إلى مُؤدَّى المعنى.

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾(١)

وردت الآية الكريمة في حِكْمَة لأمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)(٢)، وقد دلَّت على الزُّهد وذكرت علامات وخصائص الزَّاهدينَ(٣).

إنَّ الإمام علي (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة الزُّهد بالدُّنيا وعدم الحُزن والأسف على ما فات، وعدم الفرح بما يأتي(٤)، وهذا النَّهي عن الفرح إنَّما هو عن الَّذي يؤدِّي إلى الطُّغيان والكبر، وعن الحُزن الَّذي يخرج العبد عن التَّسليم والصَّبر لأنَّ الإنسان لا يملك لنفسه أنْ يفرح بالخير، أو يحزن للشرّ(٥)، لكنَّه يتمكَّن من ترك الدُّنيا والإعراض عنها بالقلب، فمن كان كذلك يكون إقبال الدُّنيا وإدبارها بالنِّسبة إلية سواء فلا يفرح بما يأتيه ولا يحزن على ما يفوته؛ لأنَّ المفروض إعراضه عنها قلبًا ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ بطرفي الزُّهد وهما ما مضى وما يأتي، أمَّا الأخذ بأحدهما فليس من الزُّهد بشيء(٦)، بعبارة أخرى ليس أحد إلَّا وهو يفرح ويحزن ولكن المراد جعل الفرح شكرًا، والحُزن صبرًا(٧)، لأنَّ كلَّ الَّذي عند العبد يفنى، وكلُّ ما عند الله يبقى بدليل قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٨)، وفي ذلك حثٌّ على الزُّهد وترغيب لمقابلة لذَّات الدُّنيا بخيرات الآخرة وليس الزُّهد الممدوح هو الانقطاع للعبادات من صومٍ وصَّلاةٍ وذِكْرٍ ونحوها، بل

---

(١) الحديد/ ٢٣.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٦٣٢.
(٣) أويس كريم محمَّد/ المعجم الموضوعيّ/ ١٩٤.
(٤) ابن جزّي الكلبيّ/ التَّسهيل لعلوم التَّنزيل، ٣٤٨/٢، فيصل بن عبد العزيز النَّجديّ/ توفيق الرَّحمن، ٢٢٩/٤، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٧٠/٢٢، محمَّد سليمان عبد الله الأشقر/ زبدة التَّفسير/ ٥٤٠، محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ٢٨١/٧.
(٥) ابن جزّي الكلبيّ/ التَّسهيل لعلوم التَّنزيل، ٣٤٨/٢.
(٦) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٥٧٣/١٧.
(٧) فيصل بن عبد العزيز النَّجديّ/ توفيق الرَّحمن، ٢٢٩/٤.
(٨) النَّحل/ ٩٦.

الزُّهد الحقيقيُّ هو الزُّهد فيما لا ينفع في الدِّين والدُّنيا والرَّغبة والسَّعي في كلِّ ما ينفع[١]، والزُّهد أيضًا هو عدم الرَّغبة إلى شيء، كما قال تعالى في أخوة نبيِّ الله يوسف (عليه السلام): ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾[٢]، لأنَّهم كانوا غير راغبينَ في إغلاء ثمنه[٣]، فكلُّ ما في الدُّنيا يزول عن قريب وكلُّ زائلٍ عن قريب لا يستحقُّ أن يفرح بخصوله، ولا يحزن على فواته مع إنَّ كلَّ ذلك بقضاء الله وقدره، فلا يعدوا إنسان ما كتب له وما كان حصوله كائنًا لا محالة فليس مستحقٌّ للفرح بحصوله ولا للحزن على فوته[٤]، ومن اتَّصف بهذا الوصف فقد حوَّل قلبه من الأسباب إلى رب الأسباب وهذا الميلان فرع الفرح والمحبَّة[٥].

انكشف ممَّا تقدَّم أنَّ الزُّهد الحقيقيّ هو عدم الحُزن والتَّأسُّف على ما فات من الدُّنيا، وعدم الفرح بما يأتيه منها، إنَّما يكون ذلك عنده سواء، لأنَّ كلَّ ذلك زائلٌ لا محالة وكل ما كان زائلًا لا يستحقُّ الفرح أو الحُزن، ولا يبقى للإنسان سوى أعماله الصَّالحة، ومن لم يحزن على الماضي ولم يفرح بالآتي يكون قد أخذ الزُّهد بطرفيه.

---

(١) عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعديّ/ تفسير كلام المنَّان/ ٤٤٨.
(٢) يوسف/ ٢٠.
(٣) محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ٢٤٤/١٢.
(٤) محمَّد سليمان عبد الله الأشقر/ زبدة التَّفسير/ ٥٤٠.
(٥) محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ٢٨١/٧.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة أمير المؤمنينَ عليّ (عليه السلام)[٢]، الدالَّة على الوعظ[٣]، وتضمَّنت عظمة الله سبحانه، والتوجُّه إليه اعترافًا بنعمه وحمده على ما أعطى وما لم يعطِ، وتفخيم الحمد وبيان درجاته وكيفيَّاته[٤]، وإنَّه تعالى مالك للإنسان، قادر عليه يتصرَّف فيه كيف يشاء[٥]، كما بيَّن عجز الإنسان وإنَّه مهما دقَّق وحققَّ في جزئيَّات خلق الله سوف يرجع مبهورًا عاجزًا دون أنْ يجد حلًّا[٦]، ثمَّ ذكر الأنبياء وكيفيَّة تركهم للدُّنيا وتخلِّيهم عنها ومنهم نبيّ الإسلام محمَّد (صلى الله عليه وآله)، وموسى، وداوود، وعيسى (عليهم السلام)، وبيَّن إنَّ أحبُّ العباد إلى الله تعالى المقتدي بنبيِّه، السَّائر على أثره[٧].

إنَّ أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة ذمُّ الدُّنيا وهوانها والتَّخلِّي عنها والتَّأسِّي في ذلك بأنبياء الله (عليهم السلام) وهم القدوة الصَّالحة لكلِّ عملٍ طيِّب، ومنهم نبيّ الله موسى (عليه السلام) الَّذي لم يأخذ من الدُّنيا شيئًا، وحين اشتدَّ به الجوع وطلب من ربِّه طعامًا ينزله إليه ما سأل الله إلَّا أكلة من الخبز، لأنَّه كان يأكل نبات الأرض حتَّى بانت خضرة النَّبات من خلال جلده من الضُّعف والهزال[٨]، فموسى (عليه السلام) هذا النَّبيّ العظيم يسأل الله كسرة خبزٍ يسدُّ بها رمقه على حدِّ ما يسأله الفقراء والضُّعفاء، وهذا دليل على مدى نفض يديه من الدُّنيا، ومدى بعده عنها[٩]، رغم إنَّه (عليه السلام) كان كليم الله كما قال (عزَّ وجلَّ): ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[١٠]،[١١]، وعن النَّبيّ محمَّد (صلى الله عليه وآله): ((إنَّ الله تعالى ناجى موسى بن عمران بمئة كلمة وأربعة وعشرينَ ألف كلمة في ثلاثة أيام ولياليهنَّ ما طعم فيها موسى ولا شرب فيها فلمَّا انصرف إلى بني إسرائيل وسمع كلامهم

---

(١) القصص/ ٢٤.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٢٦٠.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٢٩٤.
(٤) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٠٧/٩، عبَّاس علي الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٧/٣، ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ١٤٧/١١-١٥٤.
(٥) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٠٧/٩، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ١٥٥/١١.
(٦) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٠٨/٩، ظ: عبَّاس علي الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٩/٣.
(٧) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٠٩/٩-١١٢، ظ: عبَّاس علي الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٤١/٣-٤٧، ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ١٧٥/١١-١٨٩.
(٨) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١١٠/٩، النَّيسابوريّ/ غرائب القرآن، ٥/ ٢٢٣، الفيض الكاشانيّ/ الأصفى، ٩٢٦/٢، عبَّاس علي الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٤١/٣، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ١٦٦/١١، مجموعة من المؤلِّفينَ/ التَّفسير الميسَّر/ ٣٨٨،
(٩) عبَّاس علي الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٤١/٣، أحمد مصطفى المراغيّ/ تفسير المراغيّ، ٥٠/٢٠.
(١٠) النِّساء/ ١٦٤.
(١١) محمَّد تقي التُّستُّري/ بهج الصِّباغة، ٧٥/٢.

مقتهم لما كان وقع في مسامعه من حلاوة كلام الله (ﷻ)))[1]، ومن هنا تتَّضح حقيقة عدم استقرار الدُّنيا وعدم دوامها ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، وذلك مثال لطيف لرفع حجب الغرور والغفلة من أمام نواظر الغافلين والطُّغاة والإشارة إلى فناء الشيء كأن لم يكن له وجود مطلقًا وهذا تجسيم واضح وصريح عن الحياة الدنيويَّة الخدَّاعة والسَّريعة الانقضاء والمليئة بالزَّخارف فلا دوام لثرواتها ونعيمها ولا هي مكان أمنٍ وسلامةٍ[3].

ظاهرٌ ممَّا سبق وجوب الابتعاد عن الدُّنيا وترك التَّمسُّك بها لأنَّها فانية زائلة لا دوام لها ولا أمن فيها ولا سلامة ولنا في أنبياء الله (عليهم السلام) أسوة حسنة في بيعهم للدُّنيا وتخلِّيهم عنها وزهدهم فيها وقبولهم بالبسيط منها كما فعل النَّبي موسى (عليه السلام) الَّذي طلب من الله تعالى أكلة خبزٍ وهو أكرم خلقه، وفي ذلك تنفير من الدُّنيا لكثرة مخازيها ومساوئها.

(١) الصَّدوق/ الخصال/ ٦٤٢.
(٢) يونس/ ٢٤.
(٣) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ الأمثل، ٤٥٩/٥.

المَبْحَثُ الرَّابِعُ: اسْتِنْطَاقُ نُصُوصِ الإِرْشَادِ لسُبُلِ النَّجَاحِ

لمعرفة نصوص مواضع الإرشاد لا بدَّ من معرفة معنى الإرشاد لغة واصطلاحًا، وبيان مقوّمات النَّصِّ الإرشادي:

الإرشَادُ فِي الُّلغةِ

هو الدَّلالة والهداية[١]، وأرْشَدَهُ إلى الأمر، أي: هَدَاهُ، وإرشَادُ الضَّالّ، أي: هدايته الطَّريق وتعريفه، واسْتَرْشَدَهُ: طَلَبَ منه الرُّشْد، واسْتَرْشَدَ فُلَان لأمره: اهتدى له[٢]، ورَشَدَ وأرْشَدَ رُشْدًا: اهتَدَى، والرُّشْدُ: الاستقامة على طريق الحقِّ مع تصلُّب فيه[٣].

الإرشَادُ فِي الاصْطِلَاحِ

هو خلاف الغيّ، ويستعمل استعمال الهداية، قال تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾[٤]،[٥]، أو هو الاستقامة بطريق الحقِّ، وغالب استعماله للاستقامة بطريق العقل والاستقامة في الشَّرعيَّات، والرَّشيد من صفات الله بمعنى الهادي إلى سواء الصِّراط، والإرشاد أعمُّ من التَّوفيق؛ لأنَّ الله أرشد الكافرينَ بالكتاب والرَّسول (ﷺ) ولم يوفِّقهم[٦]، وقد ترد صفة لقسم من الأوامر والنَّواهي كالأوامر والنَّواهي الإرشاديَّة، وقد يُراد بها إرشاد الجاهل، أي إعلامه بالموضوع أو تعليمه كما في صورة الجهل بالأحكام الكليَّة، أو يُراد بها إرشاد الضَّال وهدايته إلى الطَّريق الصَّحيح[٧]، وقيل هو الَّذي تنساق تدابيره إلى غاياتها على سبيل السُّداد من غير إشارة مشيرٍ ولا تسديد مسدِّدٍ[٨].

ويتبيَّن من ذلك إنَّ الوعظ بمعناه الاصطلاحيّ لا يختلف عن معناه اللُّغويّ.

مُقَوِّمَاتُ النَّصِّ الإرْشَادِيّ

يتضمَّن النَّصُّ الإرشاديّ: التَّعليم، والتَّوجيه، وتسلية النَّفس، والنُّصْح، وذمّ الدُّنيا[٩].

---

(١) الفراهيديّ/ العين، ٢/ مادَّة: (رَشَدَ)، ابن منظور/ لسان العرب، ٦/ مادَّة: (رَشَدَ).
(٢) ابن منظور/ لسان العرب، ٦/ مادَّة: (رَشَدَ)، مجمَع اللُّغة العربيَّة/ المعجم الوسيط، ١/ مادَّة: (رَشَدَ).
(٣) الفيروز أبادي/ القاموس المحيط/ مادَّة: (رَشَدَ).
(٤) البقرة/ ٢٥٦.
(٥) الرَّاغب الأصفهانيّ/ مفردات ألفاظ القرآن الكريم/ ٣٥٤، د. محمود عبد الرَّحمن/ معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيَّة، ١٤٦/٢.
(٦) الكفويّ/ الكلّيات/ ٤٧٦.
(٧) مؤسَّسة دائرة معارف الفقه الإسلاميّ/ موسوعة الفقه الإسلاميّ، ٩٩/١٠.
(٨) د. محمود عبد الرَّحمن/ معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيَّة، ١٤٦/٢.
(٩) سنا ملّاح/ خصائص النَّصِّ الإرشاديّ/ موقع المرسال.

استقريتُ الإرشاد لمواضع سبل النَّجاح فوجدُتها أربعة نُصوص، أمَّا النَّصُّ الأوَّل والثَّاني فقد تضمَّنا سُبُل القبول، إلَّا أنَّ الأوَّل تضمَّن قبول الدِّين، والثَّاني تضمَّن القبول بقضاء الله وقدره، وأمَّا النَّصُّ الثَّالث فقد تضمَّن سُبُل الخُروج، وأمَّا النَّصُّ الرَّابع فقد تضمَّن سُبُل النَّصْر.

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾(١)

وردت الآية الكريمة في خطبة أمير المؤمنينَ (عليه السلام)(٢)، الدالَّة على التَّعليم والإرشاد(٣)، وقد تضمَّنت هذه الخطبة صفات النَّبيّ (صلى الله عليه وآله)، وإنَّ الله أرسله بالموعظة الشَّافية وهو القرآن الكريم وقمع به البِدع الَّتي كانت في الجاهليَّة، وبيَّن به ما فصَّل من الأحكام والتَّشريعات، وما بيَّن الدِّين من قوانين الشَّريعة(٤)، ثمَّ ابتدأ بالوصيَّة بتقوى الله وطاعته والالتزام بأحكامه، ففي ذلك النَّجاة من النَّار والعذاب والفوز بالدَّرجات العالية في الجنَّة، ثمَّ وصف الدُّنيا بما ينفر منها، وأمرهم أنْ يكفُّوا عن أنفسهم الغمَّ لأجلها والانشغال بها(٥)، ثمَّ عاد (عليه السلام) ليحذِّرهم من أنفسهم حذر القاهر لنفسه المسيطر على غرائزه المهتدي إلى طريق الجنَّة ليصل إلى ما يحبُّ ويرضى(٦).

إنَّ الإمام عليّ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة الحثُّ على اتِّباع دين الإسلام(٧)، فإنَّ الله سبحانه حَكَمَ بأنْ لا يقبل من عبدٍ دينًا غير دين الإسلام، لأنَّه وافق في معتقداته دين كلّ من سُمِّي من الأنبياء (عليهم السلام)(٨)، فإذا كان النَّبيّ قد جاء بالإسلام الَّذي فيه الحجَّة الكافية والموعظة الشَّافية وكان به إظهار الشَّرائع المجهولة وقمع البدع المدخولة وبيان الأحكام المفصولة، فلا يمكن لإنسان أنْ يترك هذا الدِّين ويتنكَّر له ولا يؤمن به أن يعيش سعيدًا(٩)، بل لا بدَّ لمن ترك الإسلام أنْ يكون شقيًّا تعيسًا لا يعرف السَّعادة وتتقطَّع به كلُّ الأسباب الَّتي يظنُّ بها النَّجاح والفلاح(١٠)، وعندئذٍ لا يكون الدِّين سوى رسوم وتقاليد يتَّخذها القوم رابطة للجنسيَّة، وآلة للعصبيَّة، ووسيلة للمنافع الدِّنيويَّة، وذلك ممَّا يزيد القلب فسادًا والأرواح ظلامًا، ولا يزيد النَّاس في الدُّنيا إلَّا عدوانًا وفي

---

(١) آل عمران/ ٨٥.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٢٦٤.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٣٠١.
(٤) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ١٨/٢، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٢/٣، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٢٩/٢-٤٣٠.
(٥) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ١٩/٢، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٣١/٢-٤٣٣.
(٦) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ١٩/٢، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٥/٣، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٣٤/٢.
(٧) التستُّريّ/ تفسير التستُّريّ/ ٤٩.
(٨) الثَّعالبيّ/ الجواهر الحسان، ٧٢/٢.
(٩) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٢/٣.
(١٠) المصدر نفسه، ٥٢/٣، محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٤٦٠/٢.

الآخرة خسرانًا[١]، فأنَّ من عاش على اليقين والتَّقوى والاحتراس ممَّا ينافي الإسلام مات على ذلك[٢]، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[٣]، فلا بدَّ أنْ يصل الدِّين بصاحبه إلى الخضوع والانقياد؛ كي يكون مُجديًا ولا يؤدِّي إلى العدوان والشَّحناء بين النَّاس[٤]، بعبارةٍ أخرى: إنَّ مَن يبتغ غير دين الإسلام يتحقَّق شقاؤه في الدُّنيا والآخرة، لأنَّه يسقط في مشاكل الحياة[٥]، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[٦]، فالشَّريعة المرضيَّة عند الله تعالى هي الإسلام[٧]، كما إنَّ اتِّباع الدِّين الإسلامي الَّذي جاء به النَّبيّ الأكرم (ﷺ) هو من نتائج الدَّعوة وأهدافها الأساسيَّة، فمن فقدَ الإسلام بعد ظهور الحقائق الإسلامية للجميع فَقدَ الحريَّة الفكريَّة في الدُّنيا ومآبه في الآخرة إلى العذاب الأليم[٨].

ظهر ممَّا تقدَّم أنَّ من تديَّن بغير الإسلام عاش في الدُّنيا في الشَّقاء والعذاب ولم يكن له في الآخرة شفيع أو نصير بل حزن طويل وعذاب أليم، لأنَّ الدِّين الإسلاميّ جاء شاملًا لكلِّ ما اشتملت عليه الشَّرائع السَّابقة مكمِّلًا لها، كما إنَّ النَّبيّ محمَّد (ﷺ) جاء بالحجَّة الكافية والموعظة التَّامة، فلا يمكن لأحد أن ينكر هذا الدِّين أو يبتغي غيره إذ مصيره إلى الهلاك والخسران.

---

(١) محمَّد رشيد رضا/ المنار، ٣٥٨/٣.
(٢) المصدر نفسه، ١٩/٤.
(٣) آل عمران/ ١٠٢.
(٤) أحمد مصطفى المراغيّ/ تفسير المراغيّ، ٢٠٠/٣.
(٥) محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٤٦٠/٢.
(٦) آل عمران/ ١٩.
(٧) محمَّد طنطاوي/ التَّفسير الوسيط، ٥٧/٢.
(٨) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٣٠/٢.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة أمير المؤمنينَ (عليه السلام)[٢]، وقد دلَّت على التَّعليم والإرشاد، وتشمل عدَّة نصائح كاملة وشافية، فقد تحدَّث في أوَّلها عن قُصر عمر الدُّنيا وإنَّ النَّاس فيها كالضُّيوف الَّذين دُعُوا لمدَّة معيَّنة في ضيافة وستنتهي هذه الضِّيافة بسرعة بينما تبقى تبعات أعمال الإنسان حين الحساب والجزاء[٣]، ثمَّ تحدَّث عن سعة الفساد في ذلك العصر شاكيًا منه، وأشار إلى الأخيار والصُّلحاء والسُّمحاء والأتقياء ليحذِّر من خلال المقارنة بضرورة إصلاح النَّفس واجتثاث الفساد من المجتمع، ثمَّ اختتم الخطبة بذمِّ المرائينَ الَّذين يأمرون بالمعروف وليسوا من أهله، وينهونَ عن المنكر ولا ينتهونَ عنه[٤].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة الاسترجاع الَّذي يُؤتى به عند المصيبة، والَّذي يعني: إنَّا عبيد الله راجعون إليه بعد الموت، وعلينا أن نرضى بقضائه ليرضى عنَّا بأعمالنا[٥]، ومن تلك المصائب الَّتي ذكرها الإمام (عليه السلام) والتَّي ينبغي عندها الاسترجاع هو فقد الأخيار عن هذه الدُّنيا وبقاء الأشرار، وظهور الفساد وليس من مُنكِرٍ مغيّرٍ للفساد ولا زاجرٍ يزدجر، وهذا يدلُّ على إنَّه كان هناك من يُنكِرُ ويزجُر إلَّا إنَّه لا يغيره ما ينكره ولا يزدجر عن مثله، وذلك من قبائح الأعمال والرِّياء فيها[٦]، وهذا من أعظم المصائب والابتلاء بها صعبٌ جدًّا لأنَّ فراق الأحبَّة مصيبة، والابتلاء بالأشرار مصيبة أخرى أعظم من الأولى[٧]، فلا بدَّ من الصَّبر والتَّسليم والرِّضا بقضاء الله تعالى، لأنَّنا جميعًا ملكٌ له يتصرَّف فينا حيث يشاء، وهو الَّذي خلقنا وأنعم علينا بمختلف النِّعم وإليه مرجعنا ونهاية أمرنا[٨]، لأنَّه تعالى يقول في محكم كتابه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٩]،[١٠]، ولا بدَّ أنْ يكون هذا الاسترجاع باللِّسان والقلب لا باللِّسان فقط كما إنِّ التَّلفُّظ بذلك مع الجزع قبيح وسخط للقضاء، وعليه أنْ يتصوَّر ما خُلِق لأجله فيرجع إلى ربِّه ويتذكَّر نِعَم الله عليه ليرى إنَّ ما

---

(١) البقرة/ ١٥٦.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٢١٦.
(٣) عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ٧٩٩/٢، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٤٣/٥-٢٤٦.
(٤) ظ: المصدر نفسه، ٨٠١/٢-٨٠٣، ظ: المصدر نفسه، ٢٤٧/٥-٢٥٠.
(٥) الفيروز آبادي/ تنوير المقباس/ ٢٢، نور الدِّين الكازرونيّ/ الصِّراط المستقيم/ ٧١.
(٦) عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ٨٠٢/٢، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٥٠٧/٩، محمَّد تقي التَّستُّريّ/ بهج الصِّباغة، ١٨٣/٨، محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٢٩٥/٢.
(٧) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٥٠٧/٩.
(٨) مجموعة من العلماء/ المختصر في التَّفسير، ٢٤/٢.
(٩) التَّغابن/ ١١.
(١٠) ظ: صدِّيق حسن خان/ فتح البيان، ١٧٠/١٤.

أبقى الله عليه أضعاف ما استردَّه منه فيستسلم ويهون عليه مصابه، وذلك ملجأ للمصابينَ وعصمة للممتحنينَ لأنَّ هذه الكلمات جامعة بين الإقرار بالعبوديَّة لله والاعتراف بالبعث والنُّشور والرّجوع إلى الله والرّضا بكلِّ ما نزل من المصائب، وبذلك تكشف الكربة وتقضى الحاجة[1].

ويبدو ممَّا تقدَّم أنَّ الاسترجاع يُؤتى به عند المصائب ويعني إنَّنا عبيد الله، وإنَّ رجوعنا إليه بعد الموت فيجازينا ويدلُّ على الرّضا بما نزل من المصائب والتَّسليم لقضاء الله، والإقرار بالعبوديَّة والتَّفويض إليه، فمن استرجع عن نزول المصيبة شملته رحمة الله تعالى وكشف عنه كربته وقضى حاجته كونه فعل ما فيه الوصول إلى طريق الصَّواب.

(١) ظ: صدِّيق حسن خان/ فتح البيان، ٣٢٠/١.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة أمير المؤمنينَ (عليه السلام) الدالَّة على التَّعليم والارشاد[٢]، وذكر فيها قدرة الله سبحانه، وفضل القرآن، والوصيَّة بالتَّقوى[٣]، مؤكِّدًا بأنَّ التَّقوى منتهى رضا الله تعالى وحاجته من خلقه، منبِّهًا على الوجوه الَّتي لأجلها تحصل تقوى الله[٤]، ثمَّ ذكَّر بأمْر المعاد، وأمَرَ بالمسارعة إلى العمل الصَّالح قبل أنْ يُسَدُّ باب التَّوبة بإدراك الأجل[٥]، ثمَّ ذكر صفات النَّار للتَّخويف والتَّحذير وأمر بالسَّعي لغاية فكاك الرِّقاب من النَّار والعمل لما يرضي الخالق سبحانه والسَّهر وقضاء اللَّيل بالعبادة، وصيام النَّهار، والجود بالنَّفس والقرب منه تعالى[٦]، ثمَّ أعاد الأمر بالمبادرة إلى أعمال الآخرة لغاية الكون مع خزَّان الله في جنَّته ومرافقة رسله، والاستعانة بالله على النُّفوس الأمَّارة بالسُّوء فإنَّه نعم المُعين ونعم الوكيل[٧].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ للتَّأكيد على تقوى الله والتَّرغيب في ملازمتها كونها مخرجًا من كلِّ أمرٍ ضاق على النَّاس ومخرجًا من شبهات الدُّنيا ومن غمرات الموت، وشدائد يوم القيامة، فمن اتَّقى الله وصبر، وآثر الحلال فتح الله عليه إن كان ذا ضيق[٨]، وأخرجه من الفتن الموجبة للضَّلالة وجعل له نورًا من ظلمات الجهالة[٩]، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾[١١]، ففي التَّقوى النَّجاة من الحوادث المُهلِكة، والفتن سواء كانت الدِّينيَّة أو الدُّنيويَّة، والخروج من ظلمة الجهل إلى نور العلم، وهذا كلُّه من آثار التَّقوى ولوازمها؛ وذلك لأنَّ الإنسان في معرض الخطأ والنِّسيان، ومحل للحوادث والبلايا فلو لم يحفظه الله تعالى عنها كيف يقدر على

---

(١) الطَّلاق/ ٢.
(٢) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٣٥٥.
(٣) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٣٠٩.
(٤) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٧٥/٣، محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ١٣٣/٤.
(٥) ظ: ميثم البحراني/ شرح نهج البلاغة، ٣٧٦/٣-٣٧٨، ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ١٩١/١٢-١٩٣.
(٦) ميثم البحراني/ شرح نهج البلاغة، ٣٧٩/٣، ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ١٩٤/١٢-١٩٩، ظ: محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ١٣٦/٤-١٣٨.
(٧) ميثم البحراني/ شرح نهج البلاغة، ٣٨٠/٣، محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ١٣٩/٤.
(٨) الرَّازيّ/ مفاتيح الغيب، ٣٤/٣٠، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٣٣٠/١٠.
(٩) ميثم البحراني/ شرح نهج البلاغة، ٣٧٦/٣، عبد الرَّحمن الثَّعالبيّ/ الذَّهب الإبريز/ ٥٧٦، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ١٩١/١٢، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٣٣٠/١٠.
(١٠) الطَّلاق/ ٤.
(١١) الطَّلاق/ ٥.

التَّخلص منها[1]، والخروج من حرام الله إلى حلاله ومن معصيته إلى طاعته للغنى بفضله عمَّن سواه[2]، والوقوف عند حدوده الَّتي حدَّها لعباده[3]، والاستنارة بأنوار العلوم الحاصلة عن الاستعداد للتقوى[4].

وواضحٌ ممَّا سبق تأكيد الإمام عليّ (عليه السلام) على التَّقوى والتَّرغيب فيها؛ كونها مخرجًا من الفتن، ونورًا من ظلم الجهالة، ومن الحرام والمعصية، ومن كلِّ أمرٍ ضاق على العبد، فكلّ عبد معرَّض للحوادث والخطأ وبصبره وتقواه يفتح الله عليه وينجيه من بلواه، ويخرجه إلى النُّور.

(١) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ١٩١/١٢.
(٢) محمَّد جواد مغنية/ التَّفسير الكاشف، ٣٥١/٧.
(٣) محمَّد سليمان الأشقر/ زبدة التَّفسير/ ٥٥٨.
(٤) محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ١٣٤/٤.

٤- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة أمير المؤمنينَ (عليه السلام)[٢]، الدالَّة على التَّعليم والارشاد[٣]، حيث ذكر بعض صفات الله الجماليَّة والجلاليَّة بعبارات عميقة المعنى مبيّنًا طُرُق الأنبياء في التَّربية والتَّعليم والهدف من بعثتهم[٤]، وتطرَّق إلى التَّعريف بالقرآن الكريم كونه معجزة نبيّ الإسلام (صلى الله عليه وآله)، وذكر بعض خصائص القرآن وأوصافه الَّتي تشير إلى جامعيَّته وشموليَّته[٥]، والوصيَّة بالورع والتَّقوى وشرح آثارها وبركاتها، كما قدَّم شرحًا عميقًا لتقلَّب الدُّنيا ورحلة الآخرة وما يلزمها من زادٍ ومتاعٍ[٦]، وذكر يوم القيامة ونار جهنَّم الأليمة وشدَّة العذاب وعجز الإنسان عن تحمُّلها[٧]، وبيَّن سبل النَّجاة من نار جهنَّم والاستفادة من إمكانات الدُّنيا في هذا السَّبيل وأهمُّها إغاثة المحرومينَ والمساكينَ[٨].

إنَّ الإمام عليّ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة وعد الله تعالى بالنَّصر والنَّظَر لمن ينصر دينه ورسوله، كما وعده بأنْ يثبّت قدمه في مواطن الحرب وعلى محجَّة الإسلام[٩]، ومن المعلوم إنَّه تعالى لم يستنصر عبده من ذلَّة؛ لأنَّ الله تعالى غنيٌّ عن النَّصر في تنفيذ إرادته، إنَّما عاملهم معاملة الممتحِن المختبِر إقامة للحجَّة عليهم وايضاحًا للمحجَّة[١٠]، وبعبارة أخرى: إنَّ في ذلك ترغيب بتكفُّل الله لهم بالنَّصر إنْ نصروه وبأنَّه خاذل الَّذين كفروا بسبب كراهيَّتهم ما شرَّعه الله من الدِّين، وإنَّ المراد من تثبيت الأقدام هو تمثيل لليقين وعدم الوهن بحالة من ثَبتتْ قدمة في الأرض فلم تَزِل؛ لأنَّ الزَّلل وَهَنٌ يُسقِط صاحبه لذلك يُمثَّل الانهزام والخيبة والخطأ بزَلَلِ القدم[١١]، كما إنَّ المراد من نصر المؤمنينَ لله تعالى هو نصرهم لدينه ولكتابه وسعيهم وجهادهم في أن تكون كلمته هي العليا، وأنْ تُقام حدوده في أرضه وتُمتثَل أوامره، وتُجتنَب نواهيه ويحكم في عباده

---

(١) محمَّد/ ٧.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٣١٠.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٣٥٥.
(٤) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ١٢٣/٢، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٠/٣، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٦٠/٧.
(٥) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ١٢٣/٢، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٢/٣-٤٥.
(٦) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ١٢٤/٢، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٧١/٧.
(٧) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٣/٣، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٧٧/٧.
(٨) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٥/٣، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٨٢/٧.
(٩) الزَّمخشريّ/ الكشَّاف، ٣٢١/٤، عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ١٠٩٠/٣، الخازن/ لباب التَّأويل، ١٤١/٤، محمَّد الأمين الشَّنقيطيّ/ أضواء البيان، ٤٥٢/٧، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٤/٣.
(١٠) عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ١٠٩٠/٣، محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ٨٥/٢٦، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٨٤/٧.
(١١) محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ٨٥/٢٦.

بما أنزل على رسوله(ﷺ) وممَّا يدلُّ على نصر الله لعباده المؤمنينَ الَّذين نصروه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2]،[3]، ويعدُّ هذا ورقة عمل للإنسان في الحياة استعدادًا للآخرة[4]، كما إنَّ الله سبحانه وتعالى اعتمد غاية اللُّطف في الكلام ليتَّعض من كان له أدنى استعداد لطاعته بتلك التَّعبيرات المفعمة باللُّطف والمحبَّة فيحثُّ الخُطى على التَّسليم لله سبحانه[5].

وواضحٌ ممَّا تقدَّم أنَّ الله سبحانه ينصر المؤمنينَ الَّذين ينصرونَ دينه ورسوله، ويثبِّت أقدامهم عند القتال وعلى الصِّراط ويعصمهم من الهزيمة والفرار، وذلك وعدٌ منه تعالى لمن اتَّبع أوامره سبحانه واجتنب نواهيه وسعى في إقامة حدوده وإعلاء كلمته.

---

(١) الرُّوم/ ٤٧.
(٢) الحجُّ/ ٤٠.
(٣) محمَّد الأمين الشَّنقيطيّ/ أضواء البيان، ٤٥٢/٧.
(٤) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٤/٣.
(٥) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٨٤/٧.

المَبْحَثُ الخَامِسُ: اسْتِنْطَاقُ نُصُوصِ الإِرْشَادِ لِأَنْوَاعِ الأَمَانِ

استقريتُ الإرشاد لمواضع أنواع الأمان فوجدتها أربعة نُصوص، أمَّا النَّصُّ الأوَّل فهو يتضمَّن القرض الحسن، وأمَّا النَّصُّ الثَّاني فهو يتضمَّن عدم التَّحسُّر، وأمَّا النَّصُّ الثَّالث يتضمَّن العمل بالكتاب، وأمَّا النَّصُّ الرَّابع فهو يتضمَّن الاستغفار.

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾(١)

وردت الآية الكريمة في خطبة أمير المؤمنينَ (عليه السلام)(٢)، الدالَّة على التَّعليم والارشاد(٣)، حيث بدأ خطبته (عليه السلام) ببيان قدرة الله تعالى والحمد له سبحانه مشيرًا إلى خصائص الذَّات المقدَّسة(٤)، وبعثة الأنبياء والرُّسل وأهدافهم وتوجيه الإنسان إلى الحياة الفضلى(٥)، وتطرَّق إلى ذكر خصائص القرآن الَّذي حمله الرَّسول القائد (صلى الله عليه وآله) موضِّحًا ما تستلزمه السنَّة النَّبويَّة من العمل بها في الحياة(٦)، كما تضمَّنت الوصيَّة بالتَّقوى وموجباتها وآثارها والمبادرة للعمل بما تقتضيه التَّقوى والنَّهي عن إهمالها(٧)، وذكر نتيجة التَّقوى وهو القُرب المعنويّ من الله سبحانه والتَّنعُّم بنعيم ثوابه الخالد، ومرافقة رسله، وذلك فضل الله تعالى الَّذي يؤتيه لعباده المتَّقينَ(٨).

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة الإنفاق في سبيل الله الَّذي يعود أضعافًا مضاعفةً على صاحبه، فالَّذي يُنفق ماله في سبيله رجاء أنْ يعوِّضه فإنَّه كمن يقرضه(٩)، وحُسْن الإنفاق يكون بالإخلاص فيه وتحرّي أكرم المال وأفضل الجهات ليكون له ذلك الأجر المضموم (الأضعاف)، وهذا الأجر ينبغي أن يُتوخَّى حتَّى وإن لم يضاعف، فكيف وقد يضاعف أضعافًا(١٠)، وذلك التَّضعيف من الله تعالى هو في الحسنات والأجر الكريم الَّذي يقترن

---

(١) الحديد/ ١١.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٣١٠.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٣٥٥.
(٤) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٠٠/٣، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤٠/٣.
(٥) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٠١/٣، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤٠/٣، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٠/٣.
(٦) ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٠٢/٣-٢٠٤، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٣/٣.
(٧) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٠٥/٣، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤٥/٣، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٥/٣-٤٨.
(٨) ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٠٨/٣-٢٠٩، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤٨/٣.
(٩) البيضاويّ/ أنوار التَّنزيل، ١٨٧/٥، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٠٨/٣، أحمد شاكر/ عمدة التَّفسير، ٤٥٣/٣، محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ٣٧٧/٢٧، محمَّد الحسينيّ الشَّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ١٢١/٣.
(١٠) البيضاويّ/ أنوار التَّنزيل، ١٨٧/٥، أحمد شاكر/ عمدة التَّفسير، ٤٥٣/٣.

به رضا وإقبال[1]، ولم يكن استقراضنا له تعالى لحاجته وفاقته -جلَّت قدرته- فإنَّ له القدرة المطلقة والقوَّة التامَّة وهو الغنيُّ الحميد، وإنَّما أراد من ذلك اختبارنا وامتحاننا ليرى أيُّنا أحسن عملًا ومن يطيع منَّا ومن يعصي، ومن يقوم بالواجب ومن يرفض الواجب[2]، وجعل الجنَّة يوم القيامة هي الجزاء الجميل والرّزق الباهر كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3]،[4]، فَمَثَلُ الله تعالى في جزائه كمثل المُستَسلِف مع من أحسن قرضه، وأحسن في دفعه إليه، أذ إنَّه قَرْضٌ مُستكملٌ لمحاسن نوعه من كونه عن طيب نفسٍ وبشاشة في وجه المُستقرِض، وخلو عن كلِّ ما يعرّض بالمنَّة أو بتضييق أجل القضاء، والمراد من ذلك هو التَّحريض على الإقراض، كما قال تعالى: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[5]،[6]، فلا غنى إلَّا من الله وبالله، فهو سبحانه مصدر الجود والفيض، يعطي من سأله ومن لم يسأله تفضُّلًا منه وكرمًا، ولكن يُشترط على من أعطاه أنْ يُنفق من مال الله على المعوزين من عيال الله لمجرَّد الاختبار والامتحان تمامًا كما وهب الإنسان القدرة والحريَّة لتظهر الأفعال الَّتي بها يستحقُّ الثواب والعقاب، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[7]،[8]، فثواب الآخرة يترتَّب على عمل الإنسان في الدُّنيا، وبالتَّالي يعود نفعه عليه في الآخرة[9].

ظهر من ذلك أنَّ من يقرض الله قرضًا حسنًا ويُنفِق ماله في سبيله انفاقًا واجبًا أو مستحبًّا، من دون أن يتبع ذلك منٍّ ولا أذى، فإنَّ الله تعالى يضاعفه له أضعافًا كثيرة، ويجعل الأجر الكريم الَّذي هو أنفس الأجور مقابل هذا القرض الحسن، ولم يكن هذا الاستقراض عن حاجة لأنَّ تعالى يملك خزائن السَّموات والأرض، إنَّما أراد بذلك الامتحان والاختبار.

---

(١) الثَّعالبيّ/ الجواهر الحسان، ٣٨١/٥، محمَّد الحسينيّ الشَّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ١٢١/٣.
(٢) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٠٨/٣، محمَّد الحسينيّ الشَّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ١٢١/٣، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٤/٣.
(٣) البقرة/ ٢٤٥.
(٤) أحمد شاكر/ عمدة التَّفسير، ٤٥٣/٣.
(٥) التَّغابن/ ١٧.
(٦) محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ٣٧٨/٢٧.
(٧) اللَّيل/ ٥-١٠.
(٨) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤٧/٣.
(٩) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٤/٣.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، وقد دلَّت الخطبة على المناظرة والجدل[٣]، حيث أورد الإمام (عليه السلام) هذا الكلام في ردِّه عن السَّائل الَّذي يبدو إنَّه طرح السُّؤال في موقعٍ لم يكن مناسبًا حين سأله عن كيفية دفعه عن حقِّه في الولاية وجدارته بها، فأشار إلى أنَّ السَّبب الرئيسيُّ في ذلك هو البخل والاستبداد والتَّعلُّق بالدَّنيا[٤]، ثمَّ بيَّن إنَّ الَّذي يعجب من قضيَّة بداية الخلافة فلينظر اليوم وقد تصدَّى معاوية وتبعه النَّاس دون أدنى جدارة بهذا المنصب ولا يمكن المقارنة في ذلك[٥].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة عدم الحزن والأسف على الكفَّار المظلِّينَ عن طريق الحقِّ فإنَّ الله تعالى حكيم في قدره لما له من الحجَّة البالغة والعلم التَّامُّ[٦]، إذ بعد الإتيان بكلِّ آيةٍ ظاهرة وحجَّةٍ بالغة لا تُذهِب نفسك عليهم حسرات على ما فات من الأمر وذلك من باب التَّعزية والتَّسلية وتطييب النَّفس والصَّبر على مصيرهم[٧]، فإنَّ الله تعالى يجازيهم على سوء أعمالهم يوم القيامة[٨]؛ لأنَّه تعالى يقول: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[٩]، كما فيه إيماء إلى إنَّ المؤمن وظيفته القيام بحقِّه وعدم السُّكوت بجنب الباطل والتَّسليم له[١٠]، فالَّذي عمل السُّوء وظلم نفسه وقلبه وفرغ من خشية الله وأصبح عنده القبيح حسنًا والحسن قبيحًا فلا يعبأ به الله أنْ يخذله ويتركه وإذا تاب فأنَّ الله يوفقه ويساعده على ذلك، وإذا كان الله سبحانه يعامل الَّذي يتبع الشَّيطان والهوى هكذا فعليه يجب عدم الاهتمام لأمرهم أو العناية بشأنهم والحزن من أجلهم أو التَّحسُّر على عدم إيمانهم وطاعتهم[١١]، لأنَّ الدَّعوة الدِّينيَّة إنَّما ظرفها الاختيار

---

(١) فاطر/ ٨.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٢٦٦.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٣٠٤.
(٤) ميثم البحرانيّ/ اختيار مصباح السَّالكينَ/ ٣٤٠، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نهج البلاغة، ٢٠٣/٦-٢٠٥.
(٥) المصدر نفسه/ ٣٤١، ظ: المصدر نفسه، ٢٠٧/٦-٢٠٩.
(٦) ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم، ٥٣٥/٦.
(٧) الشَّربينيّ/ السِّراج المنير، ٣١٤/٣، محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ٢٣٧/١٣، محمَّد عزَّت دروزة/ التَّفسير الحديث، ١١١/٣.
(٨) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٢٢٠/١١، محمَّد محمود حجازي/ التَّفسير الواضح، ١٥٦/٣، محمَّد عزَّت دروزة/ التَّفسير الحديث، ١١١/٣.
(٩) الأنعام/ ١٣٢.
(١٠) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٢٢٠/١١.
(١١) محمَّد محمود حجازي/ التَّفسير الواضح، ١٥٦/٣.

الإنسانيّ وإنَّه تعالى يعلم بحزنك عليهم[١]، لقوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾[٢]، وقوله (ﷻ): ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾[٣]، لأنَّ سوء عملهم وخُبث طويَّتهم يجعلانهم غير مأسوف عليهم، كما إنَّهم لا يستحقُّونَ أنْ يكونوا سببًا لإهلاك نفسه حسرة وغمًّا[٤]، لعدم تمكُّنه من حملهم على الحقّ[٥]، لأنَّه أدَّى واجبه تجاههم في مقاومة طريق الباطل[٦]، وقام بوظيفته وبعد ذلك كلَّه سيذوق العصاة وبال أعمالهم[٧].

وواضحٌ من ذلك النَّهي عن الحزن والحسرة على الَّذين يسيرونَ في طريق الباطل بعد إداء الواجب تجاههم ونصحهم لمقاومة طريق الباطل، فإنَّ الله سبحانه يجازيهم على سوء أعمالهم يوم القيامة، وفي ذلك تسلية وتهوين لموقف المكذِّبينَ فلا تهلك نفسك غمًّا عليهم.

---

(١) محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ٦٢/٧.
(٢) الأنعام/ ٣٣.
(٣) الكهف/ ٦.
(٤) محمَّد عزَّت دروزة/ التَّفسير الحديث، ١١١/٣.
(٥) محمَّد تقي التَّستُريّ/ بهج الصِّباغة، ٢٤٧/٤.
(٦) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٤١/٢.
(٧) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٠٩/٦.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة الإمام عليّ (عليه السلام) الدالَّة على الارشاد[٢]، وفيها يبيّن فضل القرآن وينهى عن البدعة ويوضِّح رسالة القرآن ولوازم الطَّاعة والتَّحذير من المعصية ومن هوى النَّفس[٣]، وذكر الصِّفات الَّتي تساعد الإنسان على السَّير في طريق التَّكامل[٤]، وأشار إلى الطُّرق غير الصَّالحة في عبادته، مبيّنًا بطلان الاعتقاد بأنَّ الغاية تبرّر الوسيلة؛ لأنَّها لا تُثمِر ثمرتها المطلوبة[٥]، ثمَّ بيَّن خصائص القرآن وموقف المسلمينَ منه، والهدف السَّامي للقرآن في الحياة[٦]، وذكر أنواع الظُّلم[٧]، وأخيرًا أشار إلى طريق الاستقامة الَّذي سار عليه الأئمَّة من أهل البيت (عليهم السلام)[٨].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ للإخبار بوعد الله ومحجَّته على عباده، فالَّذين أقرُّوا بالرُّبوبيَّة، ولم يقتصروا على الإقرار، بل عقبوا ذلك بالاستقامة ينزّل عليهم الملائكة عند موتهم بالبشرى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾[٩]، والمراد من الاستقامة هو العمل بالكتاب الكريم وما جاء فيه فيحلِّل حلاله ويحرّم حرامه، ويكون الإنسان باستمرار على الطَّريقة الصَّالحة الَّتي شرَّعها الله في عبادته[١٠]، فإنَّ الملك يتولَّى من يناسبه بالنُّصح والإرشاد والتَّثبيت وإلقاء الصَّواب على لسانه والاستغفار له إذا زلَّ وتذكيره إذا نسي وتحذيره من الرِّكون إلى الدُّنيا وترغيبه فيما عند الله، فهو أنيسه في الوحدة ووليّه ومعلِّمه ومرغِّبه في الخير، وإنْ بات ظاهرًا يذكر الله بات معه في شِعارهِ، وإذا تولَّاه الملك تولَّاه أنصح

---

(١) فصِّلت/ ٣٠.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٢٩٢، د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٣٣٤.
(٣) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٨/١٠-١٠، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٤١/٣، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٥٦/٢.
(٤) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١١/١٠، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٤٥/٣.
(٥) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٣/١٠، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٦٨/٢.
(٦) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٤/١٠، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٥٠/٣، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٧٥/٢.
(٧) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٥/١٠، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٥٠/٣.
(٨) المصدر نفسه، ١٦/١٠، المصدر نفسه، ١٥١/٣.
(٩) الحجرات/ ١٥.
(١٠) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٢/١٠، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٤٦/٣، محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٦٨/٣.

الخلق له فثبَّته وعلَّمه وأيَّده[1]، وهذه الشِّرعة الصَّالحة لا يجوز للإنسان أنْ يخرج عنها ويتركها ولا يجوز أنْ يبتدع فيها بأن يزيد أو ينقص فيها[2]، كما إنَّ الله سبحانه لا يقيِّض لهؤلاء قرناء سوء من الجنِّ والإنس إنَّما يكلف بهم ملائكة يُفيضون على قلوبهم الطَّمأنينة ويبشِّرونهم بالجنَّة لأنَّهم طبَّقوا الاستقامة على حقيقتها شعورًا في الضَّمير وسلوكًا في الحياة وصبروا على تكاليفها، ولا شكَّ إنَّ هذا أمرٌ كبيرٌ وعسيرٌ يستحقُّ هذا الإنعام الكبير وهو صحبة الملائكة وموادَّتهم وتبشيرهم بالجنَّة[3]، وقد ذُكِرت هذه النِّعم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4]، فإنَّ انتفاء الخوف والحُزن والوعد الصَّادق بالخلود في الجنَّة يستلزم كلَّ ما ذُكِر من شرائط الاستقامة[5]، وبعبارة أخرى: فإنَّ الإمام عليّ (عليه السلام) أشار إلى أهمِّ ما هو من لوازم العمل وهو الاستقامة لمن يؤمن بمبدأ له في الحياة، وحيث إنَّ الإنسان المسلم اختار الإسلام كمبدأ في الحياة، فإنَّ العمل له مستلزمات يجب تطبيقها وأهمِّها الاستقامة على المبدأ، ويتبيَّن ذلك بما وعد الله سبحانه في القرآن الكريم الَّذي هو حجَّة على الخلق أجمعين، فإن الآية تشير إلى المبدأ وهو العقيدة (ربنا الله) والعمل وهو الاستقامة، ونتيجتهما وهي ثلاث: عدم الخوف، وعدم الحُزن، والبشارة بالجنَّة من الملائكة، وما يجب الاستقامة عليه هو القرآن الدستور الإسلامي الخالد، وما أمر به القرآن، والطريقة الصَّالحة من عبادته[6].

تجلَّى ممَّا تقدَّم بيان أمير المؤمنينَ (عليه السلام) وعدًا من وعوده سبحانه في القرآن الكريم، وهو إنَّ المستقيم في عمله له الجنَّة، لأنَّه عمل بمقتضى العبوديَّة، ومتطلِّبات الرُّبوبيَّة، فالَّذين تمسَّكوا بالاستقامة يستمرُّ نزول الملائكة عليهم بأنْ لا تخافوا ولا تحزنوا على الشَّدائد، فإنَّها توجب ارتفاع درجتكم، وقد قلتم ربُّنا الله فلا تخالفوا القرآن، ولا تخالفوا ما جاء به القرآن والرَّسول وسيروا على الطَّريقة الصَّالحة من عبادته سبحانه.

---

(١) ابن قيِّم الجوزيَّة/ الضَّوء المنير، ٢٦٩/٥.
(٢) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٤٧/٣.
(٣) سيِّد قطب/ في ظلال القرآن، ٣١٢١/٥.
(٤) الأحقاف/ ١٣-١٤.
(٥) محمَّد الأمين الشَّنقيطيّ/ أضواء البيان، ١٤٦/٧.
(٦) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٦٨/٢.

٤- قَالَ تَعَالَى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، الدالَّة على التَّوجيه والارشاد[٣]، وفيها تنبيه العباد على وجوب استغاثة رحمة الله إذا حُبِسَ عنهم رحمة المطر، وأشار إلى حقيقة إنَّ السَّماء والأرض مطيعة لأمر الله فإنْ شاء أخرج بركتهما إلى النَّاس، وإنَّه يجب التَّوجُّه إلى عالم الأسباب وإحياء روح التَّوحيد[٤]، وبيَّن إنَّ أعمال السُّوء والمعاصي والذِّنوب تؤدِّي إلى إغلاق أبواب الخير، وإنَّ مفاتحها الاستغفار من الذِّنوب والتَّوبة إلى الله تعالى[٥]، ثمَّ يرفع الإمام يده بالتَّوسُّل إلى الله سبحانه في مراسيم صلاة الاستسقاء ويطلب نزول المطر بعباراتٍ عميقة المعنى[٦].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ لبيان أهميَّة الاستغفار وكونه قرع لأبواب رحمة الله تعالى، والسَّبيل الوحيد للوصول إلى المراد[٧]، فالإنسان إذا مسَّه ضرٌّ من نقص الثَّمرات وحبس البركات ليس له ملجأً سوى الله تعالى فيتوجَّه إليه ويدعوه ويتقرَّب إليه بخضوعٍ وخشوعٍ ليكون ذلك الخضوع من أسباب هدايته ونجاته ودرور رزقه[٨]، لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾[٩]، وذلك ترغيب في التَّوبة[١٠]، لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((الاستغفار ممحاة للذِّنوب))[١١]، وهذا يدلُّ على أنَّ الاستغفار من أعظم أسباب حصول الأرزاق وتكثير الأموال والأولاد، ومن لازم الاستغفار جعل الله له من كلِّ همٍّ فرجًا، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجًا وجمع له الغنى والخصب في الدُّنيا والحظُّ الأوفر في الآخرة[١٢]، لأنَّ الاستغفار والتَّوكُّل على الله مفتاح التَّوفيق إلى العمل الَّذي يدرُّ الرِّزق، كما إنَّ الصِّدق والإخلاص مفتاح الهداية إلى

---

(١) نوح/ ١٠-١٢.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٢٢٩.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٢٦٠.
(٤) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٦٣٠/١، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٣١٥/٢.
(٥) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٦٣٠/١، ظ: محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٣١٥/٢-٣١٧، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٨٢/٥.
(٦) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٦٣١/١، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٨٦/٥.
(٧) عبد الكريم القُشَيريّ/ لطائف الإشارات، ٦٣٦/٣.
(٨) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٦٣٠/١، القرطبيّ/ جامع البيان، ٢٩٣/٢١، صدِّيق حسن خان/ فتح البيان، ٣٣٤/١٤.
(٩) الجن/ ١٦.
(١٠) ابن عادل/ اللباب في علوم الكتاب، ٣٨٥/١٩، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٧١/٢.
(١١) محمَّد الرّيشهريّ/ منتخب نهج الذِّكر/ ٢٩٥.
(١٢) صدِّيق حسن خان/ فتح البيان، ٣٣٤/١٤، إبراهيم القطَّان/ تيسير التَّفسير، ٣٧٢/٣.

الصِّراط المستقيم وسببًا للمطر كصلاة الاستسقاء، وتذكير بنعمة الله عليهم ليزيدهم من فضله إن عبدوا واستغفروا لقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا ۝ الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[1]، فرحم الله امرءًا استقبل توبته وواجهها ورحَّب بها واستقال خطيئته وطلب من ربّه أن يصفح عنه وسبق إلى صالح الأعمال قبل أن تنزل به منيَّته[2]، لأنَّ أبواب الرَّحمة تُغلَق بكثرة الذِّنوب وليس من سبيلٍ لفتحها سوى الاستغفار والتَّوبة، والإمام (عليه السلام) بهدف إثبات هذا الأمر استشهد بهذه الآية الَّتي وردت على لسان نبيّ الله نوح (عليه السلام) موجِّهًا إلى الاستغفار والتَّوبة الَّذي يؤدِّي إلى نزول الخيرات ومضاعفة الأرصدة الماديَّة والمعنويَّة وتقوية الوجود الإنسانيّ وتحسين الأوضاع الاقتصاديَّة، مبيّنًا بأنَّ التَّوبة لا تقتصر على بلوغ الرَّفاه المادِّي في الحياة الدُّنيا بل الهدف الأهمُّ هو النَّجاة قي الآخرة، لأنَّ الموت إذا سبق الآخرة فلا سبيل للتَّدارك، وإن كان العكس وسبقت التَّوبة والأعمال الصَّالحة الموت، كان مفتاح النَّجاة بيده في الدَّار الآخرة[3].

وواضحٌ ممَّا سبق أنَّ كثرة الذِّنوب تغلق أبواب الرَّحمة وتحبس الرزق ولا سبيل لفتحها إلَّا بالاستغفار والرّجوع إلى الله سبحانه والتَّوبة إليه، لأنَّ الاستغفار سببًا لدرور الرِّزق ورحمة الخلق، فإذا مسَّ الإنسان ضرٌّ من نقص الثَّمرات وقلَّة الخيرات عليه التَّوجُّه إلى الله سبحانه والتَّقرُّب إليه بخضوعٍ وخشوعٍ وطلب العفو والمغفرة ليكون ذلك سببًا لنجاته في الدُّنيا والآخرة.

---

(١) قريش/ ٣-٤.

(٢) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٣١٧/٢، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٧١/٢.

(٣) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٨٢/٥.

المَبْحَثُ السَّادِسُ: اسْتِنْطَاقُ نُصُوصِ الإرْشَادِ لِلاقْتِدَاءِ والتَّنْبِيه

استقريتُ الإرشاد لمواضع الاقتداء والتَّنبيه فوجدتها نصَّينِ، أمَّا النَّصُّ الأوَّل فهو يتضمَّن عدم اليأس، وأمَّا النَّصُّ الثَّاني فهو يتضمَّن عدم الأمن.

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في حكمة لأمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، وقد دلَّت على الارشاد[٣]، وفيها أراد الإمام (عليه السلام) النَّهي عن الحكم بنجاةٍ أو هلاكٍ[٤]، وأنْ يبقى الإنسان بين الخوف والرَّجاء دائمًا[٥].

إنَّ الإمام عليّ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ في التَّنبيه على عدم اليأس من روح الله تعالى، وإنَّ أفضل خدمة وأعلاها هو انتظار الفرج والرَّحمة من الله سبحانه وترك الجزع والهلع والصَّبر على مرّ القضاء، وتلك عبادة يُثاب عليها العبد لما فيها من الانقياد للقضاء والرّضا بما قسمه الله لعبده[٦]، كما لا يجوز القطع بهلاك أحدٍ والحكم عليه بدخول النَّار بسبب أعماله السيّئة إلَّا إذا مات عليها[٧]، لذا ينبغي على العبد عدم القنوط من فرج الله (عز وجل) ورحمته وتنفيسه؛ لأنَّه لا يقنط من روح الله إلَّا القوم الكافرونَ بالله وبصفاته، فالعارف لا يقنط من رحمته بأيّ حالٍ من الأحوال، وإنَّما جعل اليأس من صفة الكافر؛ لأنَّ سببه تكذيب بالرُّبوبيَّة وجهل بصفة الله وقدرته والجهل بالصِّفة جهل بالموصوف، لذلك فاليأس من رحمة الله تعالى كفر[٨]، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[٩]، وذلك جهل بقدرة الله تعالى وسعة رحمته[١٠]، لذا وجب على الإنسان أنْ يصبر حتَّى يأتي فرجه ورحمته المريحة من الشِّدة؛ لأنَّ لله سبحانه القدرة على إفاضة الرُّوح بعد مضي المدَّة قي الشِّدة وسنَّته في إفاضة اليسر مع اليسر لاسيما في حقّ من أحسن الظَّنَّ به[١١]، فلا يصحُّ على أحدٍ الهلاك ما دام في الحياة، فاليأس من رحمة الله من الكبائر، ولله تعالى

---

(١) يوسف/ ٨٧.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيُّ) / ٦٢٢.
(٣) لبيب بيضون/ تصنيف نهج البلاغة/ ٨٠٤.
(٤) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١١٥/١٩.
(٥) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٨٤/٥.
(٦) التَّستُّريّ/ تفسير التَّستُّريّ/ ٨٣، السِّيوطيّ/ الدُّرُّ المنثور، ٣١٧/٨.
(٧) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١١٥/١٩.
(٨) بن عجيبة/ البحر المديد، ٦٢١/٢.
(٩) الحجر/ ٥٦.
(١٠) عبد الله شبَّر/ تفسير القرآن الكريم/ ٣٣٧.
(١١) محمَّد جمال الدِّين القاسميّ/ محاسن التَّأويل، ٢١٢/٦.

في كلِّ يومٍ نظرات من الرَّحمة تشمل عباده[١]، أو ربَّما تهبُّ نسيم رحمة تقلع الشِّرير عن شرّه ويشمله لطفه وعطفه سبحانه[٢]، فالإنسان المؤمن بالقدرة العليا يكون راجيًا لرحمة الله الواسعة، يعيش بين الخوف والرَّجاء، يؤدِّي واجبه كما أمره الله تعالى عالمًا بأنَّ إرادة الله فوق إرادته وقدرته سبحانه فوق كلِّ شيء[٣].

وواضحٌ من ذلك النَّهي عن اليأس من روح الله تعالى؛ لأنَّ رحمته وسعت كلَّ شيء وهو تعالى وحده القادر على تغيير الأمور وقلبها من حالٍ إلى حال ومن عسرٍ إلى يسرٍ ومن شدَّةٍ إلى رخاءٍ، وهذا يوجب على الإنسان الصبر وانتظار الفرج وعدم القنوط؛ لأنَّه لا يقنط من رحمة الله إلَّا الكافرونَ الضَّالُّونَ.

(١) ميرزا حبيب الله الخوئي/ منهاج البراعة، ٢٠٦/٢٢.
(٢) محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٤٤٧/٤.
(٣) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٢٨/٥.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في حكمة لأمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، وقد دلَّت على التَّعليم والارشاد[٣]، وفيها تنبيه للعبد على سعة الخوف والرَّجاء[٤].

إنَّ الإمام عليّ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ للتَّنبيه على عدم الأمن من مكر الله سبحانه وتعالى لاستدراجه العبد وأخذه على غرَّة من حيث لا يحتسب[٥]، وإذا كان أخذه واستدراجه على هذا الوجه فلا يأمن مكره إلَّا القوم الخاسرون الَّذين ليسوا من الرَّابحين[٦]، لذلك فإنَّ الإنسان المؤمن مهما عمل من الصَّالحات لابدَّ أنْ يستمرُّ خوفه ولا يأمن عذاب الله وعقابه[٧]، ومن كان في دِعَة وَسِعَة لا يأمن الدَّهر وضرباته والدُّولاب ودورانه؛ لأنَّه تعالى يقول: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[٨]،[٩]، وذلك من تدبير الله سبحانه وقدرته ولا يجهل ذلك إلَّا الَّذين خسروا أنفسهم غباءً ولم يفقهوا ما فيه سعادتهم، فلا يجوز لأحدٍ أنْ يأمن عذاب الله ويظلُّ مسترسلًا في المعاصي متَّكلًا على عفوه ورحمته ومغفرته، وكما إنَّ الأمن من مكر الله خسران ومفسدة، فإنَّ اليأس من رحمة الله كذلك خسارة ومفسدة[١٠]؛ لذلك وجب أنْ يبقى المؤمن دائمًا بين الخوف والرَّجاء[١١]، ولا يجوز لأحدٍ أنْ يكون معجبًا بنفسه بحيث يحكم عليها بالنَّجاة؛ لأنَّ في طريقه إلى المقصد الأعلى عقبات وآفات[١٢].

ظهر ممَّا تقدَّم عدم أمن مكر الله وعذابه وعقابه لأنَّه يأخذ العبد غفلةً من حيث لا يحتسب وبدون سابق إنذارٍ، ومهما بلغ الإنسان من السِّعة يجب أنْ يبقى خوفه منه تعالى؛ لأنَّه لا يأمن من مكره الَّا الَّذين أوقعوا أنفسهم في الخسران بسبب عنادهم.

---

(١) الأعراف/ ٩٩.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٦٢٢.
(٣) لبيب بيضون/ تصنيف نهج البلاغة/٨٠٤.
(٤) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٨٤/٥.
(٥) البغويّ/ معالم التَّنزيل، ٢٦٠/٣، أبو حيَّان الأندلسيّ/ البحر المحيط، ٣٥١/٤، إسماعيل حقِّي/ روح البيان، ٢٠٦/٣، محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ٢٤٩/٧.
(٦) إسماعيل حقِّي/ روح البيان، ٢٠٦/٣، محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ٢٤٩/٧.
(٧) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٨٤/٥.
(٨) آل عمران/ ١٤٠.
(٩) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٤٣٩/٤.
(١٠) إبراهيم القطَّان/ تيسير التَّفسير، ٦٣/٢.
(١١) إبراهيم القطَّان/ تيسير التَّفسير، ٦٣/٢، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٠٦/٢٢.
(١٢) ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٠٦/٢٢.

خُلَاصَةٌ واسْتِنْتَاجٌ

إنَّ نهج البلاغة في هذا الفصل عرضَ هذه المضامينَ، واستنطق القرآن فيها، فجاء مطابقًا لما طُرِحَ في النَّهج

١- تقوى الله سبحانه والاستقامة على نهجه وعمل الصَّالحات وتجنُّب المحرَّمات، والمداومة على ذلك حتَّى انتهاء الأجل.

٢- إنَّ الله تعالى حكيم في قدره وتدبيره وهذا يوجب عدم الحزن على المُضلِّينَ العاصينَ بعد الإتيان بكلِّ الآيات الواضحة.

٣- إنَّ الاستقامة على دين الله وشرعه تُذهِب الخوف والحزن وتوجب الجنَّة لمن تمسَّك بها.

٤- وجوب العفو عند الإساءة لتحصيل رضا الله تعالى لأنَّه عفوٌّ يحبُّ العفو والمغفرة.

٥- أنَّ كلَّ ما أنعم به الله على الإنسان من الأموال والأولاد وسائر النِّعم فتنة واختبار من الله تعالى لمعرفة المُحسن من المسيء.

٦- إنَّ الله سبحانه يختبر عبيده ويمتحنهم بأنواع الامتحانات؛ لمعرفة المُحسن من المسيء ويجازي كلّ إنسان على عمله.

٧- عدم اليأس من روح الله والابتعاد عن الجزع والعيش بين الخوف والرَّجاء والرِّضا بما قسمه الله لعبده.

٨- الاسترجاع عتد المصيبة؛ لإظهار الرَّضا بقضاء الله وقدره، والصَّبر على ما يصيب الإنسان من المصائب والابتلاءات.

٩- إنَّ الدِّين الإسلاميّ هو آخر الأديان السَّماويَّة وخاتمها، فهو شامل لكلِّ ما جاء في الأديان السَّابقة ومكمِّلٌ لها، فمن ابتغى غير دين الإسلام لن يُقبَل منه، ويعيش في شقاءٍ وعذابٍ.

١٠- إنَّ الاتفاق في سبيل الله عن طيب نفسٍ من دون منَّةٍ يعود أضعافًا كثيرة على صاحبه ويجعل له الأجر الكريم في الآخرة.

١١- الزُّهد في الدُّنيا وعدم الأسف على ما فات أو الفرح بما يأتي والرِّضا بقضاء الله؛ لأنَّ كلَّ ذلك زائل ولا يبقى للإنسان سوى عمله الصَّالح.

١٢- البذل والعطاء في سبيل الله وتجنُّب البُخل والإمساك؛ لأنَّ كلّ ما في السَّموات والأرض ملك لله وحدة وإنَّما نحن مستخلفينَ فيه.

١٣- الاستغفار يفتح أبواب رحمة الله سبحاته ويمحو غضبه وسخطه ويدرُّ الرِّزق، ويكون سببًا لنجاة الإنسان في الدُّنيا والآخرة.

مَدْخَلٌ إلَى الفَصْلِ الخَامِسِ

كان أمير المؤمنينَ (عليه السلام) في خطبه في نهج البلاغة يخاطب الوجدان الإنسانيّ ويحرّك مشاعره ليصل إلى عقل الإنسان، عن طريق تحريك التُّراث التَّاريخيّ مدعومًا بأساليب كثيرة تخاطب العقل بقصد تأهيله إلى إدراك المعارف الموصِّلة إلى الله، وجعل التَّأمُّل والنَّظر في تاريخ الماضينَ من أسلافنا إثارة للشُّعور الإنسانيَ، للسُّمو الرُّوحيّ واكتساب القدرة على التَّذوّق الرَّفيع الَّذي يوصلها إلى حب الله تعالى.

وبما أن الشَّريعة الإسلاميَّة تريد فلاح الإنسان وسعادته فهي تنبّه دائمًا إلى الحقيقة الثَّابتة، وهي إنَّ الإنسان ليس له إلَّا مصيرًا واحدًا هو الموت، ومن هنا فهي دائمًا تدفعه إلى أن يحافظ على نفسه، ويبتعد عن مغريات الدنيا، وليس أبلغ من التَّاريخ النَّاقل لإخبار السَّابقينَ في إيصال هذه الحقيقة.

ومن هنا جاء نهج أمير المؤمنينَ (عليه السلام) في بعض المواضع في بيان المخلوقات وصفاتها وأفعالها، والهدف من خلقها وبيان الاعجاز الإلهيّ في كل ذلك مستخدمًا آيات القرآن الكريم كشواهد على كلامه صلوات الله عليه، وأشار كثيرًا الى قصص الأنبياء والعبرة منها.

فجاء هذا الفصل لبيان حقيقة المخلوقات من خلال استنطاق النَّصِّ القرآنيّ في ذلك كمبحث أوَّل، وفي المبحث الثَّاني أفعال تلك المخلوقات، وفي مبحث ثالث تناول الأنبياء والاقتداء بهم (عليهم السلام) والعبرة بما أصاب أقوامهم.

المَبْحَثُ الأوَّلُ: اسْتِنْطَاقُ نُصُوصِ (حَقِيقَةُ المَخْلُوقَاتِ)

أوَّلًا: اسْتِنْطَاقُ مَوَاضِعِ (حَقِيقَةُ الإنْسَانِ)

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، وهي من الخُطب الدالَّة على الإلهيَّات[٣]، وتطرَّق فيها الإمام (عليه السلام) إلى صفات الذَّات الإلهية الَّتي تدلُّ على إنَّه تعالى واجب الوجود[٤]، وتنفي عنه كلَّ الصِّفات الجسميَّة[٥]، ثمَّ تحدَّث عن سعة علم الله تعالى، وسعة مخلوقاته قبل إيجادها وبعده، وقدرته تعالى المطلقة في خلق جميع المخلوقات[٦]، وذكر مظهر من مظاهر قدرته تعالى، وهو خلق الإنسان في أحسن تقويم مبيّنًا الحالات الطَّبيعيَّة الَّتي يمرُّ بها الإنسان، وإنَّ ذلك إذا غاب عن الإنسان فإنَّه لا يغيب عن الله سبحانه[٧]، وأخيرًا ذكر عجز الإنسان عن إدراك ذاته المقدَّسة[٨].

إنَّ الإمام عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ لبيان مسألة خلق الإنسان وبيَّن أنَّ الله تعالى خلقه من سلالة من طين، وسُمِّيت بذلك؛ لأنَّها تُنسَل من بين الصُّلب والتَّرائب[٩]، فالله تعالى هو خالق الإنسان ومصوِّره شيئًا فشيئًا إلى حال كماله ووضعه[١٠]، وبعبارة أخرى: إنَّ ابتداء خلق الإنسان من خلاصة الطِّين فإنَّها سُلَّت من الكَدْرِ[١١]، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ المخلوق السَّويَّ خلق من الطِّين، وهذا ما ينصُّ عليه القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾[١٢]،[١٣]، وأوَّل أفراد هذا النَّوع هو أبو البشر آدم (عليه السلام) الَّذي خُلِقَ من الطِّين ثمَّ تواردت على تلك السَّلائل

---

(١) المؤمنونَ/ ١٢.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيُّ) / ٢٦٨.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٣٠٥.
(٤) الواجب الوجود: الموجود الَّذي متى فرض غير موجود، عرض منه محال، والواجب الوجود هو الضَّروري الوجود.
(٥) ظ: ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٧٧/٣-٢٧٩، ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٢٢٤/١١-٢٣٦، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٤٣/٢.
(٦) المصدر نفسه، ٢٨٠/٣، ظ: المصدر نفسه، ٢٣٧/١١-٢٤٤، ظ: المصدر نفسه، ٤٤٥/٢-٤٤٦.
(٧) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٨١/٣، ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٢٤٥/١١-٢٥٠.
(٨) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٨١/٣، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٤٩/٢.
(٩) السمرقندي/ بحر العلوم، ٤٠٩/٢.
(١٠) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٨١/٣.
(١١) عبد الله شبَّر/ نخبة الثَّرحين، ٩٧١/٢، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٢٤٩/١١.
(١٢) السَّجدة/ ٧.
(١٣) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٢٤٩/١١.

أطوار الخِلْقَة إلى أنْ صارت نُطَفًا[1]، فخَلْقُ الإنسان من أجزاء الأرض المخلوطة بالماء يكشف عن أنَّه تعالى هو ربٌّ للإنسان ولكلِّ شيء، والواجب عبادته وحده لا شريك له[2].

وهذا يدلُّ على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى واستحقاقه للعبادة[3]، ولكن مع تلك الدَّلائل هناك من يُنكِر هذه القدرة للخالق العظيم بدليل قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾[4].

فهذا التُّراب عديم الأهميَّة يتحوَّل إلى هذا الموجود العجيب، مع هذه الأجهزة المعقَّدة الموجودة في جسمه، وهذا من أعظم الدَّلائل على عجيب صنع الله (ﷻ)[5]، وهذه هي بداية وجود جميع البشر من آدم وأبنائه[6].

وواضحٌ ممَّا تقدَّم أنَّ الله سبحانه وتعالى ابتدأ خلق الإنسان من سلالة من الطِّين وهو الصَّفوة من الطِّين الَّذي لا كدر فيه، فكلُّ إنسان أصله تراب ثمَّ يمرُّ بأطوارٍ وينتقل من حالٍ إلى حالٍ، ما عدا أهل البيت (عليهم السلام) فالله سبحانه خلق محمَّدًا من نورٍ ابتدعه من نور عظمته، أي: هناك ثلاثة أنوار، هي نور العظمة ومنه خلق نور مبتدع ومنه خلق نور محمَّد (ﷺ)[7]، وهذا دليل على قدرة الباري (ﷻ) غير المتناهية وأنَّه تعالى وحده الَّذي يستحقُّ العبادة لا غير، وأنَّ أمير المؤمنينّ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) في بيان حقيقة المخلوقاتِ قائم على استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

---

(١) أحمد مصطفى المراغيّ/ تفسير المراغيّ، ٨/١٨، محمَّد الأمين الشَّنقيطيّ/ أضواء البيان، ٨٥٠/٥.
(٢) محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ٢٠/١٥.
(٣) محمَّد الأمين الشَّنقيطيّ/ أضواء البيان، ٨٥٠/٥.
(٤) الكهف/ ٣٧.
(٥) ناصر مكارم الشِّيرازي/ الأمثل، ٥٠٩/٧.
(٦) المصدر نفسه، ٤٧٤/٨.
(٧) ظ: البرسيّ/ الدُّرُّ الثمين/ ٤٨.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة أمير المؤمنينَ (عليه السلام)[٢]، وهي من الخطب الدالَّة على الإلهيَّات حيث تطرَّقت إلى التَّوحيد وجمعت هذه الخطبة من العلم ما لا تجمعه خطبة[٣]، فذكرت صفات الله (عزَّ وجلَّ) من خلال نفي الشَّبيه عنه تعالى[٤]، ثمَّ أشار إلى تدبيره وأفعاله وغناه الذَّاتيّ، وإنَّه تعالى ليس له حواسٌّ إذ وجود الحواسُّ من لوازم المخلوقات[٥].

كما تطرَّق الإمام (عليه السلام) إلى مسألة نفي الحركة والسُّكون عن الذَّات القدسيَّة لأنَّها من عوارض الممكنات وذكر أدلَّة على ذلك[٦].

وأشار إلى قضيَّة فناء العالم وقدرة الله المطلقة على خلق العالم وعدمه، وعجز الإنسان والحيوان عن خلق بعوضة وجهله بأسباب تكوينِّها[٧].

إنَّ الإمام عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة بيان قدرة الله تعالى على خلق من يريد إيجاده بقوله له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، فهو تعالى مُوجِد الأكوان وكلُّ صُنْع هو صُنْعِه تعالى[٨]، وليس المراد بذلك حقيقة الأمر والامتثال، وإنَّما هو تمثيل لسهولة تأتِّي المقدورات، وتصوير لسرعة حدوثها، وهذا علم في الباب من طاعة المأمور المُطِيع للآمر المُطَاع وتقرير لمعنى الإبداع[٩]، وكلامه هذا لا بصوتٍ يُقْرَع ولا بنداءٍ يُسْمَع بل هو فعلٌ منه وإنشاءً، فالإرادة من المخلوق الضَّمير وما يبدو بعد ذلك من الفعل، أمَّا إرادته تعالى للفعل فهو إحداثه لا غير؛ لأنَّه لا يُروِّي ولا يهمّ ولا يتفكَّر وكلُّ هذه الصِّفات منفيَّة عنه[١٠]، ففي (كان) ضمير مستتر يعود إليه سبحانه لا إلى كلامه، ومعنى ذلك: إنَّ الله سبحانه هو الأوَّل بالقِدَم والأزليَّة، والآخر بالأبديَّة والسَّرمديَّة ولو كان له أوَّل لكان هو والمخلوق سواء لا يمتاز عنه بفضيلة، ولا له عليه من فضلٍ،

---

(١) البقرة/ ١١٧.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيُّ) / ٣١٨.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٣٦٥.
(٤) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٣٢/٣، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٦٧/٣، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١٣٦/٧.
(٥) ظ: المصدر نفسه، ٢٣٣/٣-٢٣٥، المصدر نفسه، ٦٨/٣، ظ: المصدر نفسه، ١٣٧/٧-١٣٩.
(٦) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٣٥/٣، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٦٩/٣.
(٧) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٤٢/٣، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١٦٤/٧.
(٨) أبو عبد الرَّحمن السَّلميّ/ حقائق التَّفسير، ٦٤/١.
(٩) أبو السُّعود العماديّ/ ارشاد العقل السَّليم، ١٥١/١.
(١٠) الفيض الكاشانيّ/ الصَّافيّ، ٢٧٢/١، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٣٩/٣، محمَّد تقي التُّستُريّ/ بهج الصِّباغة، ٣٢٠/١.

فالخالق العظيم لا يوصف بِخَلْقِه[1]، وذلك دليل على قدرة الله تعالى وعظمته؛ وإنَّه بمجرَّد أنْ يريد يتحقَّق المراد فإنْ لم يكن شيئًا يوجده بإرادته من لا شيء، وإنْ كان شيئًا وأراد تحويله إلى شيء آخر فيتحوَّل[2]، فشأنه في الإيجاد والخلق كلمح البصر بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[3]،[4]، وذلك ليس من قبيل أوامر الملوك والسَّلاطين لمن دونهم بحيث يجرون بعض الألفاظ على ألسنتهم ويسمعون مخاطبيهم، بل أوامر الله تعالى هي أوامر تكوينيَّة[5]، فإنْ أراد شيئًا يوجد مباشرة، فلو أراد لوجدت الكائنات في لحظة واحدة كما توجد في تلك اللَّحظة الأرض والسَّماء والمجرَّات والنُّجوم، ولو أراد أيضًا لوُجِدت بصورة تدريجيَّة خلال ألف سنة أو ملايين السِّنينَ دون زيادة أو نقيصة[6].

وواضحٌ ممَّا تقدَّم أنَّ لله سبحانه وتعالى القدرة الكاملة على إيجاد الشَّيء وتكوينه بقوله له (كن) وقوله هذا ليس بصوت يُسمع أو نداء إنَّما هو فعل وإنشاء وإرادته للشيء هو إحداثه له لا غير، وهذا دليل على قدرته سبحانه وعظمته وإنَّه بمجرد أنْ يريد يتحقَّق ما يريده بسرعة دون تأخير أو تفكُّر، وممَّا يجدر ذكره أنَّ هذه الحقيقة، أي: الإيجاد بـ(الكينونة) الَّي أوردها أمير المؤمنين، عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، ما هي إلَّا وليدة الاستنطاق للنَّصِّ القرآنيّ في هذا الباب.

---

(١) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٧١/٣.
(٢) محمَّد جواد مغنية/ الكاشف، ١٨٧/١.
(٣) القمر/ ٥٠.
(٤) محمَّد عليّ الصَّابونيّ/ صفوة التَّفاسير، ٢٧٢/٣.
(٥) عليّ عاشور/ الولاية التكوينيَّة/ ١٣٥.
(٦) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١٥٦/٧.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، الدالَّة على الزُّهد في الدُّنيا[٣]، وفيها حذَّر الإمام من الدُّنيا في سلسلة من الأوصاف الَّتي توجب الحذر، مبيّنًا أنَّ حلاوتها وخضرتها غير مستمرَّة بل لها فترة وتزول، كما أنَّها محفوفة بالشَّهوات في كلِّ جوانبها، لا تبقى على حالٍ واحدة بل تتغيَّر، ومصيرها الى الزَّوال والفناء[٤]، ثمَّ تطرَّق إلى حياة الإنسان في هذه الدُّنيا مبيّنًا أنَّ سروره ونعيمه فيها لا يبقى، وإنَّ الإنسان الَّذي تنعَّم فيها بالرَّخاء لا بدَّ وأنْ ينزل عليه بلاء، كما أنَّ من يشاهد العذوبة في جانب من الدُّنيا لا بدَّ أنْ يشاهد الوباء والمرارة في جانبٍ آخر منها، فيتبدَّل حاله بين عشيَّة وضحاها، ويفقد ما لدية من مالٍ وجاهٍ، ويصبح ذليلًا بفقده لما يملكه[٥]، وأشار إلى أنَّه يجب على الإنسان الاعتبار فيمن مضى من الأمم الَّتي لم يبقَ منها إلَّا آثارها[٦]، وختم الإمام (عليه السلام) الخطبة بالعبرة الصَّادقة بالموت الَّذي لا يرحم أحدًا[٧].

إنَّ الإمام أمير المؤمنينَ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة بيان قدرة الله تعالى على إعادة الخلق في الآخرة كما خلقهم في الدُّنيا لأوَّل مرَّة، وذلك وعدٌ محقَّقٌ منه تعالى[٨]، أي: إنَّ مجيئهم إلى الدُّنيا ووجودهم فيها يشبه يوم مفارقتهم لها ووجه الشَّبه كونهم حُفاة عُراة وهو كناية عن النَّفر منها[٩]، وهذا يوجب الاستعداد لذلك اليوم وتقديم صالح الأعمال للخلاص؛ لأنَّه تعالى كما أوجدهم أوَّلًا فإنَّه قادرٌ على أنْ يعيدهم ثانيًا لأنَّه لا تمتنع منه الأشياء[١٠]، أي: رجوع كلِّ شيءٍ إلى حاله الَّتي كان عليها حين ابتدئ خَلْقِه، وهو إنَّه لم يكن شيئًا مذكورًا كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾[١١]،[١٢] وهذا يدلُّ على أنَّ المعاد حقٌّ لأنَّ القادر على النَّشأة الأولى قادرٌ أيضًا

---

(١) الأنبياء/ ١٠٤.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيُّ) / ١٩١.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٢١٢.
(٤) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٨٢/٣، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٨٢/٢.
(٥) ظ: ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٨٣/٣-٨٤.
(٦) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٨٥/٣، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٨٧/٢.
(٧) المصدر نفسه، ٨٦/٣، المصدر نفسه، ٩٠/٢.
(٨) مقاتل/ تفسير مقاتل، ٩٦/٣، الفرَّاء/ معاني القرآن، ٢١٣/٢، محمَّد عبد الحقّ النَّسفيّ/ مدارك التَّنزيل، ١٩٣/٥، ناصر مكارم الشّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٩/٥.
(٩) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٨٥/٣.
(١٠) النَّسفيّ/ مدارك التَّنزيل، ١٩٣/٥، عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعديّ/ تيسير الكريم الرَّحمن/ ٥٣١.
(١١) مريم/ ٩.
(١٢) محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ٣٢٩/١٤.

على إنشاء الأخرى بدليل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[1]،[2]، وذلك مرجع الإنسان في الحياة الآخرة، وإن استغربه الإنسان المادِّيّ، وإذا لم يكن استغراب في الخلق في البداية فلا بدَّ وألَّا يكونَ كذلك في النِّهاية؛ لأنَّ ذلك كلَّه تقدير العزيز الحكيم الَّذي وعد النَّاس في الدُّنيا وهو سبحانه محقِّقٌ لما وعد في الآخرة[3]، وبذلك لا يبق أدنى شكٍّ في حقيقة عودة الإنسان إلى التُّراب الَّذي خُلِقَ منه فيرى هناك جزاء أعماله من ثوابٍ أو عقابٍ[4].

يتَّضح ممَّا تقدَّم أنَّ لله سبحانه القدرة التَّامَّة على إعادة الخلق من جديد كما بدأه أوَّل مرَّة وذلك هيِّن عليه لأنَّ الَّذي خلقهم في أوَّل مرَّة قادر على إعادتهم مرة أخرى وتلك حقيقة لا مهرب منها وهذا يوجب على الإنسان تقديم صالح الأعمال للاستعداد لذلك اليوم، وهذه الحقيقة الَّتي أوردها أمير المؤمنينّ، عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) هي إشارة إلى استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

(١) الرُّوم/ ٢٧.
(٢) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ١٧٣/٢.
(٣) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٩٣/٢.
(٤) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٩/٥.

٤- قَالَ تَعَالَى: ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝ إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، وهي من الخُطب الدالَّة على الإلهيَّات[٣]، ذُكِر فيها جانبًا من صفات الله الجماليَّة والجلاليَّة وخلق عالم الوجود وما فيه من عجائب وغرائب مبيّنًا إنَّ هذه الصِّفات تُدرَك من قِبَلِ الجميع وتثير الشُّعور بالامتنان والشُّكر، وأشار الى بعض الصِّفات السِّلبيَّة[٤] المُنزَّه عنها الخالق العظيم، وذكر جانبًا من علم الله تعالى بكلِّ شيء وفي كلِّ زمانٍ ومكانٍ[٥]، ثمَّ ذكر جانبًا من خلق الإنسان والمراحل الَّتي يمرُّ بها منذ كونه جنينًا إلى حين ولادته للدلالة على عظيم خلق الله تعالى وعجائب صنعه وأسراره في سائر مخلوقاته[٦].

إنَّ أمير المؤمنينَ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ للدلالة على قدرة الله سبحانه على إبقاء الإنسان السَّوي في قرارٍ مكينٍ وهو الرحم إلى مدَّة معلومة[٧]، أي: إنَّ الله سبحانه جعل هذا الماء المهين في مقرٍّ يتمكَّن فيه، ويتمُّ خلقه وتصويره مؤخَّرًا إلى وقت قد علمه الله تعالى[٨]؛ لذلك قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾[٩]، وجعل هذه النُّطفة تنتهي إلى قدرٍ معلوم؛ لقوله تعالى: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾[١٠]، فمدَّة بقاء الإنسان السَّوي في بطن أمِّه مقدَّرة بتقديره تعالى، ومعلوم في علمه لا يعلمه إلَّا هو وليس معلوم ذلك لغيره؛ لأنَّ المخلوق من بداية ظهوره إلى آخر وجوده مقهور تحت قدرته لا يمكن له الفرار من حكومته فهو (عزَّ وجلَّ) يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد[١١]، فبعد علم الإنسان بنشْأته، وأنَّه تعالى أودعه في ظلمات ثلاث أمدًا معيَّنًا ينقله فيه من خلقٍ إلى خلق وحدَّد هذا الأمد في منتهى الحكمة والدقَّة، وذلك كلُّه يوجب على الإنسان الإيمان

---

(١) المرسلات/ ٢١-٢٢.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٢٦٨.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٣٠٥.
(٤) الصّفات السِّلبيَّة: مصطلح كلاميّ يُراد به مجموعة من الصِّفات الَّتي تعني انتفاء جميع أنواع النقص عن الله تعالى، كنفي التَّجسيم ونفي الاتِّحاد ونفي الحلول ونفي الرُّؤية.
(٥) ظ: عبد الله شُبَّر/ نخبة الشَّرحين، ٩٦٦/٢-٩٦٩، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢١٨/٦-٢٢٣.
(٦) ظ: المصدر نفسه، ٩٧٠/٢-٩٧٣، ظ: المصدر نفسه، ٢٢٩/٦-٢٣١.
(٧) مجاهد/ تفسير مجاهد/ ٦٩١، الطَّبريّ/ جامع البيان، ٥٩٤/٢٣، عبد الله شُبَّر/ نخبة الشَّرحين، ٢٥٠/٢، سيّد قطب/ في ظلال القرآن، ٣٧٩٣/٦.
(٨) الطَّبريّ/ جامع البيان، ٥٩٥/٢٣، لجنة القرآن والسُّنة/ المنتخب قي تفسير القرآن/ ٨٧٥، محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٤٧٥/٢، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٣٠/٦.
(٩) المؤمنونَ/ ١٣.
(١٠) عبس/ ١٨-١٩.
(١١) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٢٥٠/١١.

بأنعم الله تعالى على خَلْقِه، وقدرته على البعث والحساب والجزاء[1]، ويبيّن عظمة الله سبحانه في مخلوقاته، وقدرته على تقدير الزَّمن الَّذي تتم فيه عناصر نموِّ الإنسان حتى استقامة وجوده[2]، كما يُظهِر عجز الإنسان عن الوقوف على عجائب وغرائب عالم الخلق وسبر غور أسراره[3].

وواضحٌ ممَّا تقدَّم أنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في قرار مكين وهو رحم أمِّه وجعل مدَّة بقائه في الرَّحم مقدرة بتقدير معين لا يعلمه إلَّا هو، ممَّا يدلِّل على قدرة الله تعالى وعظمته وعجز الإنسان عن إدراك عجائب صنعه في مخلوقاته، وحقيقة قدرة الباري (ﷻ) على إعادة الخلق في الآخرة، مثلما خلقه لأوَّل مرَّةٍ في الدُّنيا المصرَّح بها في نهج البلاغة قائمة على استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

(١) محمَّد جواد مغنية/ التَّفسير الكاشف، ٤٩٠/٧.
(٢) محمَّد حسين فضل الله/ من وحي القرآن، ٢٩٤/٢٣.
(٣) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٣٠/٦.

ثَانِيًا: اسْتِنْطَاقُ مَوَاضِعِ (حَقِيقَةُ الدُّنْيَا)

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿رَيْبَ الْمَنُونِ﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، الدالَّة على التَّزهيد في الدُّنيا[٣]، وفيها حذَّر الإمام (عليه السلام) من الدُّنيا في سلسلة من الأوصاف، فذكر إنَّها حلوة خضرة محفوفة بالشَّهوات تزيَّنت بالخُدَعِ كثيرة الضَّرر زائلة لا تبقى على حالٍ واحدة إلى غير ذلك من الصِّفات[٤]، ثمَّ تكلَّم عن حياة الإنسان في الدُّنيا مبيّنًا إنَّ المسرور فيها لابدَّ وأنْ ينقلب سروره وصاحب السُّلطان يتحوَّل من حالٍ إلى حال آخر موضِّحًا إنَّ كلَّ إنسان لابدَّ وأنْ يواجه هذه الصِّفات الذَّاتيَّة[٥]، وأشار إلى العبرة من التَّاريخ بالنِّسبة إلى الدُّنيا فيمن مضى من الأمم، موضِّحًا إنَّ حالة الدُّنيا هي نفسها لمن تقدَّم من الأفراد وتستمر كذلك بالنِّسبة إلى الحاضر والمستقبل[٦]، وختم الإمام (عليه السلام) التَّحذير من الدُّنيا بالعبرة الصَّادقة بالموت الَّذي لا يرحم أحدًا[٧].

إنَّ أمير المؤمنينَ (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة ذمُّ الدُّنيا والتَّحذير منها فهي تتربَّص بالعبد ريب المنون، أي: الموت[٨]، وأوجاع الدَّهر وحوادثه ومصائبه[٩]، فمن أطاعها وذلَّ لها واستسلم لحكمها وقدَّمها على الآخرة تنكَّرت له وتغيَّرت عليه وأدبرت عنه وكأنَّها لا تعرفه ولم تتعرَّف عليه وتغيَّرت عليه حين رحل عنها إلى الآخرة وفارقها إلى اللالقاء[١٠]، ويؤيّد ذلك قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ

---

(١) الطُّور/ ٣٠.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ١٩٠.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٢١٢.
(٤) ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٦٧/٢-٢٧٠، ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ١٧٣/٩-١٨١، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٨١/٢-٨٣.
(٥) ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٧١/٢-٢٧٤، ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ١٨٢/٩-٢٠٢.
(٦) ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٧٥/٢-٢٧٦، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٨٧/٢-٩٠.
(٧) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٧٧/٢، ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٢٠٧/٩-٢٠٨، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٩١/٢-٩٣.
(٨) عبد الرَّزاق الصَّنعاني/ تفسير عبد الرَّزاق، ٢٤٦/٣، السَّمرقنديّ/ بحر العلوم، ٢٨٥/٣، محمَّد جواد مغنية/ التَّفسير الكاشف، ١٦٧/٧.
(٩) السَّمرقنديّ/ بحر العلوم، ٢٨٥/٣، الطَّبرسيّ/ جوامع الجامع، ٤٤٢/٣، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٧٤/٢، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٢٠١/٩.
(١٠) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٧٤/٢، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٢٠١/٩، محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٢٠٩/٢.

هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾[1]، وهذا خير مثل للحياة الدُّنيا في نضارتها وحسنها وسرعة زوالها[2]، وإذا كان هذا حال الدُّنيا فلابدَّ من عدم اعتبارها كونها معينة لهم على تلك الحوادث[3]، وحالة الدُّنيا هذه هي نفسها لمن تقدَّم من الأفراد وتستمرُّ كذلك بالنِّسبة إلى الحاضر والمستقبل، فقد تعاونت على من تقدَّم من الأمم مع ريب المنون فقضت عليهم وعلى آمالهم في الحياة، وهذا يوجب الاعتبار من تاريخ الأمم السَّالفة من مساكنهم وطبيعة الدُّنيا المتنكِّرة لكلِّ من يقترب منها، فلا ترحم أمَّة ضعيفة أو قويَّة وفي النِّهاية فإنَّ لكلِّ أمَّة أجل كالأفراد، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[4]،[5].

ظهر ممَّا سبق أنَّ الحياة الدُّنيا زائلة فانية تُعينُ على العبد حوادث الدَّهر ومصائبه فمن ذلَّ لها واستسلم وقرب منها واختارها على الآخرة تنكَّرت له وتغيرت عليه كأنَّها لا تعرفه؛ لذا يجب تركها وعدم اعتبارها والحذر منها فهي سرعان ما تنقلب على صاحبها وتُدبِر عنه.

---

(١) الكهف/ ٤٥.
(٢) محمَّد عليّ الشُّوكانيّ/ فتح القدير، ٤٠٠/٣.
(٣) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٢٠١/٩.
(٤) الأعراف/ ٣٤.
(٥) ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٨٨/٢-٩٠.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة أمير المؤمنينَ (عليه السلام)[٢]، الدَّالَّة على الموعظة والإرشاد[٣]، ابتدأها (عليه السلام) بذمِّ الدُّنيا وذكر معايبها ودفعهم إلى الإخلاص في العمل، وبيَّن واقع زمانه الَّذي يعيش فيه فذكر إنَّه زمانٌ يختفي فيه الخير وينتشر فيه الشَّر والتَّمرُّد والعصيان[٤]، وذكر عيّنات من فساد الزَّمان وقد وضعها بين يديّ الإنسان فإنَّه يعيشها على أرض الواقع ويتحرَّك في أربابها[٥]، ثمَّ استفهم (عليه السلام) على نحو التَّعليم والتَّنبيه إلى ما صار إليه خيارهم الَّذين يسارعونَ في الأعمال الطيّبة مبيّنًا بأنَّهم جميعًا قد رحلوا عن الدُّنيا العاجلة الَّتي تمرُّ كالبرق[٦]، ثمَّ لعن الآمرينَ بالمعروف التَّاركينَ له، كما لعن النَّاهينَ عن المنكر العاملينَ به[٧].

إنَّ الإمام عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ للحُكمِ على سبيل التَّوجيه والأسف والتَّنبيه بظهور الفساد، لعلَّ الخلق يتَّعظونَ ويرجعونَ إلى طريق الصَّواب[٨]، فليس من مُنكِرٍ مُغيّرٍ للفساد المزدجِر عنه، ولو كان فيهم من يُنكِر ويُزجِر إلَّا إنَّه لا يغيّر ما ينكره ولا يزدجر عن مثله وهذا من قبائح الأعمال والرِّياء فيها[٩]، لأنَّ الله سبحانه وتعالى لا يحبَّ الفساد[١٠]، وعدم القدرة على تغيير هذا الفساد والمنكر وشيوعه راجع لعدم القيام بمحاولة تغييره، أو لعدم كفاية من يقوم به، أو لعدم تأثيره في القلوب الجامدة القاسية، وليس في النَّاس من زاجرٍ لهذا القبيح[١١]، وهذا يوجب العزيمة والرِّجوع إلى الله وإلى العمل الصَّالح ومقاومة الفساد والسَّير على المنهج القويم[١٢]، لأنَّ ترك المفسدونَ يفسدونَ في الأرض وعدم المبالاة لهم وعدم مجابهتهم بقولٍ أو فعلٍ مرفوض بتاتًا[١٣]، لأنَّه تعالى يقول: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا

---

(١) الرُّوم/ ٤١.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٢١٦.
(٣) ناصر مكارم الشّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٤١/٥.
(٤) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٥٩٠/١، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ١٣٣/٣، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٧١/٢.
(٥) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٥٩٠/١، ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٧٢/٢-٣٧٣.
(٦) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ١٣٥/٣، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٧٣/٢.
(٧) المصدر نفسه، ١٣٦/٣، المصدر نفسه، ٣٧٤/٢.
(٨) يحيى بن سلام/ تفسير يحيى بن سلام، ٦٦٣/٢، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ١٣٥/٣، ابن قيّم الجوزيَّة/ تفسير القرآن الكريم/ ٤٣٢.
(٩) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ١٣٥/٣.
(١٠) ابن قيّم الجوزيَّة/ تفسير القرآن الكريم/ ٤٣٢.
(١١) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٧٤/٢.
(١٢) سيّد قطب/ في ظلال القرآن، ٢٧٧٣/٥.
(١٣) محمَّد جواد مغنية/ قي ظلال نهج البلاغة، ٢٦٢/٢.

يُصْلِحُونَ﴾[1]، والمُسرفونَ هم المُفسدونَ من الزُّعماء والرُّؤساء وغيرهم ممَّن هم أصل الدَّاء والبلاء[2]، وكلُّ ما يُفسِد النِّظام الصَّالح الجاري في العالم سواءً كان مستندًا إلى اختيار بعض النَّاس أو غير مستندٍ إليه فهو فسادٌ ظاهر مخِلٌّ بطيب العيش الإنسانيّ سببه الأعمال السيّئة كالشِّرك والمعصية[3]، ونتيجة ذلك هو إهمال الواجبات الإسلاميَّة الاجتماعيَّة لتحقيق العدل في المجتمع والاقتصاديَّة لمساعدة الفقراء فيقعوا فريسة لأصحاب الأطماع في الدُّنيا باستغلال فقرهم، كما أهمل أصحاب المسؤوليَّة واجبهم بالتَّوعية الإسلاميَّة لإيقاظ النَّاس وتغيير الوضع، ولا بدَّ حينئذٍ من قوَّة تنفيذيَّة للرَّدع[4].

وظاهرٌ من ذلك التَّنبيه بظهور الفساد والمنكرات في الأرض وشيوعها من غير وجود مُنكِرٍ لذلك الفساد ولا مغيّرٍ له أو زاجِرٍ، وإن كان هناك منكِرٍ فإنَّه لا يغيّر ما يُنكِره وذلك من أقبح الأعمال لما فيه من الرياء والإهمال للواجبات، وهذا ما صرَّح به الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) من خلال استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

(١) الشُّعراء/ ١٥١-١٥٢.
(٢) ظ: محمَّد جواد مغنية/ الكاشف، ٥/٥١١.
(٣) ظ: محمَّد حسين الطَّباطبائيّ/ الميزان، ١٦/١٩٦.
(٤) ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢/٢٠٢.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾(١)

وردت الآية الكريمة في خطبة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)(٢)، الدالَّة على التَّزهيد في الدُّنيا(٣)، وفيها حذَّر الإمام (عليه السلام) من الدُّنيا وذكر بعض أوصافها الَّتي يمكن أنْ تكون هي الأسباب الدَّاعية لنا إلى الإقدام عليها وتناولها(٤)، ثمَّ بيَّن إنَّها متغيّرة لا تبقى على حالٍ واحدة منتهية إلى مدَّة معلومة لا تتجاوزها متقلِّبة بين السَّرَّاء والضَّرَّاء وبين الخير والشَّر، فلم ينل الإنسان من نعيمها إلَّا وأغشَته من نوائبها(٥)، ثمَّ تكلَّم عن حال الَّذين وثقوا بالدُّنيا وذكَّرهم بمن مضى من قبلهم من الَّذين أذلُّوا أنفسهم للدُّنيا وما فيها وقدَّموها على الآخرة لكنَّها لم تبق لهم ولم يبقوا لها(٦)، ثمَّ أخبر إنَّهم يخرجونَ عن الدُّنيا بأعمالهم إلى الحياة الدَّائمة أمَّا إلى الجنَّة وأمَّا إلى النَّار(٧).

إنَّ الإمام عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ لوصف الدُّنيا وإنَّها إذا بلغ الطَّالب إليها والرَّاغب بها يجدها كالماءِ النَّازِل من السَّماء الَّذي يختلط بنبات الأرض ويتكاثف به فيغذِّيه وينميه، ثمَّ يموت ويتحطَّم فتطيِّره الرِّياح، وذلك يدلَّ على قدرة الله تعالى على الإنشاء والإفناء(٨)، ووجه المشابهة هو إنَّ الماء هو الوجود، ونبات الأرض الموجودات في الدُّنيا، والرِّياح الَّتي تذروها هي الموت، فكما إنَّ النَّبات لا يقدر على قراره وبقائه في جنب الرِّياح، كذلك الموجودات في الدُّنيا فإنَّها ليست لها قدرة على حفظ الوجود فإذا جاء أجلهم لا يستأخرونَ ساعة ولا يستقدمونَ فكلُّ من عليها فان ويبقى وجه الله ذو الجلال والإكرام وهذا ممَّا لا شكَّ فيه لأنَّ هذه الحياة لا بقاء لها(٩)، وهذه هي صورة الدُّنيا الحقيقيَّة الَّتي ينخدع لها النَّاس ويفتنون بها ويبيعونَ من أجلها آخرتهم ويقطعون بسببها كلَّ صلة تصلهم بالله سبحانه؛ لأنَّهم يجهلونَ قدرة الله سبحانه وتعالى ولا

---

(١) الكهف/ ٤٥.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ١٨٨.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٢١٢.
(٤) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٠٩/٧، ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٦٧/٢-٢٦٩.
(٥) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١١٠/٧، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٨٣/٢-٨٦.
(٦) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١١١/٧، ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٧٢/٢-٢٧٣، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٨٧/٢-٩٠.
(٧) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١١٢/٧، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٧٧/٢.
(٨) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٠٩/٧، الخازن، لباب التَّنزيل، ١٦٦/٣، عبد الكريم يونس الخطيب/ التَّفسير القرآنيّ للقرآن، ٦٢٧/٨، وهبة الزُّحيليّ/ التَّفسير المنير، ٢٦٠/١٥، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٨٣/٢، غسَّان حمدون/ من نسمات القرآن/ ٣١٠.
(٩) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ١٨١/٩، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٨٣/٢.

يعلمون إنَّه تعالى يُخرِج الحيَّ من الميّت ويُخرِجُ الميّت من الحيّ، ويُقيمُ من الأرض الجدب جنَّات وزروعًا ويُحيلها إلى جدب وكذلك يخلق النَّاس من تراب ثمَّ يعيدهم ترابًا[1]، وكلُّ هذه الأوصاف يجمعها قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[2]،[3]، وذلك يبيّن حقارة الدُّنيا وقلَّة بقائها وفنائها وزوالها، فهي بعد الخضرة والبهجة والنَّضارة تصبح بمراد الله قاتمة عابسة لا جمال فيها ولا روعة وفي كلِّ الأحوال لا ينبغي للعاقل أنْ يغتر بإقبالها ويتكبَّر بسببها أو يفتخر بها[4].

واضحٌ ممَّا تقدَّم التَّنبيه على ترك الدُّنيا وعدم الانخداع بها وتقديمها على الآخرة؛ لأنَّها فانية زائلة لا بقاء لها ولا قرار فهي كالماء الَّذي ينزل من السَّماء فيخضرُّ به الزَّرع ويُزهر، ثمَّ يُصبح هشيمًا يابسًا تطيّره الرِّياح، وكذلك الإنسان يخلقه الله تعالى فيعيش على الأرض لكنَّه سرعان ما يبيد ويفنى، وهذا يدلُّ على قدرة الله تعالى على الإنشاء والإفناء.

(١) عبد الكريم يونس الخطيب/ التَّفسير القرآنيّ للقرآن، ٦٢٧/٨.
(٢) الحديد/ ٢٠.
(٣) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ١٦٨/٢.
(٤) وهبة الزُّحيليّ/ التَّفسير المنير، ٢٦٠/١٥.

المَبْحَثُ الثَّانِي: اسْتِنْطَاقُ نُصُوصِ (أفْعَالِ المَخْلُوقَاتِ)

أوَّلًا: اسْتِنْطَاقُ مَوَاضِعِ (أفْعَالِ الإنْسَانِ)

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، الدالَّة على التَّعليم والإرشاد[٣]، وتتضمَّن ذمُّ ابليس لعنه الله على استكباره وتركه السُّجود لآدم (عليه السلام)، وحذَّر النَّاس من سلوك طريقته[٤]، وتطرَّق إلى التَّكبر وأمر بالاعتبار بما أصاب المتكبّرين من السَّخط العظيم والعذاب الأليم، وأمر بالتَّواضع والتَّذلُّل وحُسن الخُلُق[٥]، ثمَّ بيَّن إنَّه تعالى يمدَّهم بالنِّعم من الأموال والأولاد وغير ذلك من النِّعم اختبارًا لخلقه لمعرفة المتكبّر المغرور من المتواضع[٦]، ونبَّه على وجه الحكمة في بعث جميع الرُّسل والأنبياء بالضعف والمسكنة وسوء الحال للاختبار والابتلاء[٧].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ للإنكار على أولئك المستكبرينَ المغرورينَ الَّذينَ يظنُّونَ إنَّ ما يعطيهم الله سبحانه من الأموال والأولاد كرامة لهم ومعزَّة، لكنَّهم مخطئون في زعمهم؛ لأنَّ الله سبحانه يفعل بهم ذلك إنظارًا وإملاءً واستدراجًا لقوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[٨]، وكذلك قوله: ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾[٩]،[١٠]، فلا تعتبروا إنَّ رضا الله تعالى وسخطه بالمال والولد ولا تظنُّوا إنَّ إعطاء الأغنياء الأموال والأولاد لرضاه عنهم، وعدم إعطائه للفقراء لسخطه عليهم؛ لأنَّ ذلك مرفوض بتاتًا، ويدلُّ على الجهل بمواقع الفتنة والاختبار، وإنَّ الله سبحانه لم يعطهم ما أعطاهم من المال والولد حبًّا لهم ولا منع الفقراء المال ومن لم يكن له ولد بغضًا لهم، بل الأصل في الإعطاء وعدمه هو الاختبار والامتحان في مواضع الغنى وعدمه

---

(١) المؤمنونَ/ ٥٥-٥٦.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٣٣٨.
(٣) ظ: د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٣٨٤-٤٠٨.
(٤) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٣٢٢/٢، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٢٢/١١.
(٥) ظ: البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٣٤٢/٢- ٣٤٤، ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٥٧/١٣-٦١، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٦٦/١١.
(٦) البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٣٤٥/٢، ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٦١/١٣-٦٣.
(٧) ظ: البيهقيّ/ حدائق الحقائق، ٣٤٦/٢-٣٤٧، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٨٢/١١.
(٨) القلم/ ٤٤-٤٥.
(٩) آل عمران/ ١٧٨.
(١٠) ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم، ٤٧٩/٥، محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٢٠٣/٣.

كما قال (ﷻ): ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1]،[2]، فكلُّ ما يمُدُّ الله به عبده من مالٍ وبنينٍ وأسباب قوَّة إنَّما هو إمهال ومطاولة من دون إهمال، إلَّا إنَّهم لا يشعرونَ بأنَّ عذاب الله واقع بهم لذلك فإنَّهم لا يستعدُّونَ[3]، وربَّما يكون الابتلاء بالفقر والمسكنة لأجل النَّيل إلى مقام الزُّلفى وليس من جهة السَّخط كما في حقِّ الأولياء المقرَّبينَ من الأنبياء والمرسلينَ، أو يكون الابتلاء بالمال والثَّروة للاستدراج والازدياد في المعصية لا من جهة الرّضا[4].

وواضحٌ من ذلك عدم اعتبار رضا الله سبحانه وتعالى وسخطه مُقاسًا بما يمدُّ به العبد من الأموال والأولاد، فليس الإعطاء من باب التَّعجيل في الخير والمنع من باب السَّخط والغضب، ومن ظنَّ ذلك فقد جهل مواضع الاختبار والامتحان في حال وجود الثَّروة وعدمها؛ لأنَّ الله سبحانه يعطي خلقه لإمهالهم واستدراجهم وفتنتهم لمعرفة المطيع من العاصي، وقد يكون ذلك الإعطاء من المال والبنين والبسط في الرزق بلاء ونقمة لا عطاء ورحمة.

---

(١) الأنفال/ ٢٨.

(٢) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٦٣/١٣، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٦٨/١١، محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٢٠٣/٣.

(٣) محمَّد مصطفى أبو زهرة/ زهرة التَّفاسير، ٥٠٨٥/١٠.

(٤) ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٦٨/١١، عبد الله بن صالح السَّيف/ المنتقى في التَّفسير/ ٦٣٥.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، الدالَّة على التَّعليم والإرشاد[٣]، وتطرَّق فيها إلى طبقة الأغنياء المترفونَ الَّذينَ خرجوا عن حدود الله وتعصَّبوا لآثار مواقع النِّعم، ونهى عن هذا التَّعصُّب المحرَّم مشيرًا إلى التَّعصُّب المحمود كالتَّعصُّب لمكارم الأخلاق ومحامد الأفعال وغيرها[٤]، ثمَّ حذَّرهم من قبائح الأفعال ونفَّرهم عنها بذكر من عمل بها من الأمم السَّابقة وكيف أنزل بهم الله العذاب لمعايب هذه الأفعال[٥]، وأمر بأن يحضُّ بعضهم بعضًا على الألفة وعدم الفرقة، وبيَّن إنَّ الاتفاق على الكلمة ووحدة الهدف يوصل إلى أعلى المراتب وأسمى المنازل[٦].

إنَّ الإمام عليًّا بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيّ للنَّهي عن تعصُّب بعض الأغنياء المترفينَ الَّذين دفعهم تمرُّدهم إلى الغرور والتَّكبُّر بكثرة الأموال والأولاد محتجّينَ على الله بأنَّه ما أعطاهم هذه النِّعم وقدَّرها لهم وأكرمهم بها إلَّا لرضاه عنهم وعن طريقتهم، وإنَّه لا يعذِّبهم البتَّة بعد أنْ أكرمهم[٧]، فهؤلاء الَّذين أعطاهم الله من فضله بدل أن يشكروا النِّعمة كفروها وأفسدوها ولم يلتفتوا إلى الله إلَّا بمقدار ما يخدمهم ويوفِّر لهم من منافع؛ لأنَّهم نظروا إلى الأموال والأولاد بأنَّها مواقع النِّعم فتركت في نفوسهم آثار قبيحة سيّئة كالغنى والبطر والخروج عن المرسوم فراحوا يتعالونَ على النَّاس، ويرسمونَ لأنفسهم بأنفسهم طرق النَّجاة ويتصوَّرونَ بأنَّ مجرَّد وجود الأموال والأولاد هو كرامة لهم ولم ينظروا إلى إنَّ الكرامة هي أن تقع الأموال موقعها، والأولاد أن تربّيهم وتهذّبهم وتؤدّبهم وتحملهم على طاعة الله[٨]، فوجود هذه النِّعم أترفهم وأفسدهم فأصبحوا لا يفكّرونَ إلَّا من خلال المال ولا يستمعونَ إلَّا للكسب والرِّبح، أمَّا العدل

---

(١) سبأ/ ٣٥.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٣٤٣.
(٣) ظ: د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٣٨٤-٤٠٨.
(٤) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٢٦/٣، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٩٤/٣-١٩٦.
(٥) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٢٨/٣، ظ: ناصر نكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٤١/٧-٣٤٧.
(٦) ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٢٩/٣-٣٣١، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٠٢/٣، ظ: ناصر نكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٤٩/٧-٣٥١.
(٧) ابن عطيَّة الأندلسيّ/ المحرّر الوجيز، ٤٢٢/٤، الفيض الكاشانيّ/ الصَّافي، ١٠٠/٦، أبي جامع العامليّ/ الوجيز، ٤١/٣، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٢٦/٣، محمَّد التَّبريزيّ/ التَّفسير الوجيز/ ٢٦٠، شوقي ضيف/ الوجيز/ ٧١٤.
(٨) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٢٦/٣، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٩٥/٣.

والحقّ والعقل والدِّين فحديث خرافة والَّذي يملك المال بنظرهم هو السيّد المُحقُّ[١]، والله سبحانه بينَّ لهم إنَّ عملهم الصَّالح وإيمانهم وعبادتهم هي الَّتي تقرِّبهم منه تعالى وليس ما يملكونه من الأموال والأولاد، فيقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾[٢]،[٣]، فكثرة الأموال والأولاد لا تُغني عن الآخرة شيئًا، والمسؤوليَّة تفرض الحذر ممَّا يحتمل فيه الضَّرر وإن لم يكن موجبًا للعلم القطعيّ، وإخبار الأنبياء والرُّسل بالبعث والنُّشور تكفي في الحذر لمن شاء أنْ يتحذَّر[٤]، فلا بدَّ من الابتعاد عن النِّزاع والاقتتال تحت أيّ طائلة ذراع واهية وطفوليَّة، وترك أيّ عصبيَّة تدور حول أيّ أمرٍ من الأمور لا تصلح أن تكون حجَّة قط، لأنَّ ذلك أسوأ أنواع التَّعصُّب[٥].

وواضحٌ ممَّا سبق النَّهي عن تعصُّب الأغنياء المترفينَ لآثار مواقع النِّعم الَّتي بسببها تمرَّدوا على خالقهم وخرجوا عن حدودهم ونظروا إلى إنَّ وجود الأموال والأولاد كرامة لهم ودليلًا على رضاه تعالى عنهم وإنَّه لن يعذِّبهم أبدًا، ولم يلتفتوا إلى إنَّ وجود هذه النِّعم كالمال والسُّلطة والجاه وغيرها لن تغني عن الآخرة شيئًا وإنَّ الكرامة الحقُّ في طاعة الله سبحانه ووضع الأموال في مواضعها الصَّحيحة وفي اتِّباع الحقِّ والعدل.

---

(١) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ١٣٥/٣.
(٢) سبأ/ ٣٧.
(٣) شوقي ضيف/ الوجيز/ ٧١٤.
(٤) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٩٥/٣.
(٥) ناصر نكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٣٣/٧.

ثَانِيًا: اسْتِنْطَاقُ مَوَاضِعِ (أَفْعَالِ إِبْلِيسِ)

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾[١]

وردت الآية المباركة قي خطبة أمير المؤمنينَ علي بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، الدالَّة على بدء الخَلْقِ[٣]، وقد بدأت بالحمد لله والثَّناء عليه، ونفى الصِّفات غير اللَّائقة بذاته وغناه تعالى عن الخلق أجمعينَ[٤]، ثمَّ تحدَّث عن خلق العالم وعظمة الله تعالى وبديع صنعه[٥]، وذكر الملائكة وبعض أصنافهم وأدوارهم ترغيبًا للعباد بالعبادة وأخذ العبرة من عظمة الله وقدرته[٦]، ثمَّ إنَّه (عليه السلام) وصف خلق الإنسان، وكيفيَّة إفاضة الحياة عليه وما أعطاه من المعرفة للتَّمييز بين الحقِّ والباطلِ[٧]، وبيَّن علَّة بعث الأنبياء ومبعث النبيّ محمَّد (صلى الله عليه وآله) وما تركه من العترة والكتاب والأمر بالتَّمسُّك بهما[٨].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة غرور ابليس وتكبُّره عن السِّجود لآدم بعد أنْ خلقه الله تعالى وأمره بالسجود له تحيَّة وإكرامًا[٩]، وذلك كسجود يعقوب (عليه السلام) وولده طاعة لله ومحبَّة ليوسف (عليه السلام)[١٠]، وكان ذلك من باب التَّعزُّز بخلقة النَّار، فلمَّا كانت النَّار مشرقة بالذَّات والأرض مظلمة، وكانت النَّار أشبه بالنُّور، فقد جعل إبليس ذلك حجَّة احتجَّ بها في شرف عنصره على عنصر آدم، ولأنَّ النَّار أقرب إلى الفلك من الأرض وكلّ شيء كان أقرب إلى الفلك من غيره كان أشرف، إلَّا إنَّ الله (عزَّ وجلَّ) لم يعتبر ذلك وفعل ما يعلم إنَّه المصلحة والصَّواب[١١]، فكان إبليس ذلك المخلوق العاصي المتمرِّد، قد أخذته الأنفة وسنَّها لمن بعده فأصبح صاحب مدرسة يخرِّج منها القوافل، غلب عليه الشَّقاء ورأى نفسه متعالية فأعظمَ خلق النَّار وحقَّر

---

(١) البقرة/ ٣٤.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ١٩.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ١٤.
(٤) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٢/١-٤٢، ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٦/١-٢١.
(٥) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٢/١-٤٨.
(٦) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٩/١-٥١، ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٠/١-٣٣.
(٧) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥١/١-٥٩.
(٨) ظ: ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٩/١-٦٣، ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٢/١-٥٠.
(٩) زيد بن عليّ/ غريب القرآن/ ٤٣، مكِّي بن أبي طالب/ الهداية، ٢٣٣/١، ابن شعبة البحرانيّ/ تحف العقول/ ٤٧٨، ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٣/١، محمَّد تقي التَّستُّريّ/ بهج الصِّباغة، ٥٨٤/١.
(١٠) ابن شعبة البحرانيّ/ تحف العقول/ ٤٧٨.
(١١) ابن أبي الحديد المعتزليّ/ شرح نهج البلاغة، ٥٣/١، محمَّد تقي التَّستُّريّ/ بهج الصِّباغة، ٥٨٤/١.

خلْق الصِّلصال[١]، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[٢]، [٣]، وقوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[٤]، وذلك جزاء استكباره، أمَّا آدم (عليه السلام) فكان نور محمَّد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته في صلبه فكان هذا السِّجود إكرامًا لآدم وعبوديَّة لله سبحانه وتعالى[٥]، وهذا يبيِّن مزيَّة نوع الإنسان ويوضِّح فضيلة المعرفة ويُظهِر ما للنُّفوس الشَّيطانيَّة الشِّريرة من الخبث والفساد وإنَّ الحسد والكبر من مذام ذوي العقول، كما فيه درسًا في عدم الخروج عن إرادة الله سبحانه وعبرة لكلِّ إنسان ليكون عند أمر الله ونهيه[٦].

ظهر ممَّا تقدَّم أنَّ ابليس تكبَّر وامتنع عن تنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى بالسِّجود لآدم تعاليًا وتمرُّدًا، فكان من الكافرينَ الفاسقينَ الخارجين عن طاعة الله؛ بسبب تكبُّره وتعنُّته، وذلك درس يوجب الابتعاد عن التَّكبُّر ويؤكِّد طاعة الله سبحانه في أمره ونهيه وعدم الخروج عن إرادته؛ لأنَّه سبحانه يفعل ما يرى فيه المصلحة والصَّواب.

---

(١) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٩/١.
(٢) الإسراء/ ٦١.
(٣) عبد الله شبَّر/ تفسير القرآن الكريم/ ٣٦٠.
(٤) ص/ ٧٤.
(٥) عبد الله شبَّر/ تفسير القرآن الكريم/ ٧٤.
(٦) محمَّد الطَّاهر بن عاشور/ التَّحرير والتَّنوير، ٤٢١/١.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۞ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، وقد دلَّت على بدء الخَلْقِ[٣]، وتضمَّنت الرُّؤية الإسلاميَّة للصِّفات الإلهيَّة الكماليَّة والجماليَّة[٤]، وأشارت إلى قضيَّة خلق العالم بصورة عامَّة وخلق السَّموات والأرض والملائكة وجميع الموجودات[٥]، وخلق آدم (عليه السلام) ومراحل هذه الخِلقَة، وتعرَّضت لقصَّة سجود الملائكة واعتراض ابليس وهبوط آدم (عليه السلام) إلى الأرض[٦]، وتطرَّق (عليه السلام) إلى فلسفة بعثة الأنبياء وماهيَّة مضمون دعوات الأنبياء ورسالاتهم، ولا سيما خاتمهم نبي الإسلام محمَّد (صلى الله عليه وآله) وذكر صفاته وفضائله، إلى جانب الحديث عن عظمة القرآن الكريم، وأهميَّة السنَّة النَّبويَّة الشَّريفة، ثمَّ بيانه لمسألة الحجِّ كفرعٍ من فروع الدِّين بصفتها فريضة إلهيَّة كبرى والحثُّ على إداءها ووصف شعائرها ومراسيمها[٧].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في بيان مسألة إنظار إبليس وإمهاله إلى يوم الوقت المعلوم وهي النَّفخة الأولى الَّتي يموت بها كلُّ حيٍّ[٨]، ليكون عبرة للعالمينَ إذ لا يمكن في ذلك اليوم تلافي التَّقصير وكسب الزَّاد ليوم المعاد وتهيئة الأسباب ليوم الميعاد[٩]، وبعد رفْضُ ابليس السِّجود لآدم وتمرُّدِه على أمر الله سبحانه استحقَّ عقابه وغضبه ولمَّا عرف مصيره ونهايته التَّعيسة طلب من ربِّه أنْ يؤخِّر أخذه وعذابه ويمهله ليتولَّى غواية البشر، فاستجاب الله تعالى له؛ لكي يستحقُّ العذاب والعقاب ويكون الامتحان تامًا كاملًا فهو عذابٌ يفوق عذاب جميع العاصينَ المتمرّدينَ[١٠]، ويؤيّد ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ إِنَّكَ مِنَ

---

(١) الحجر/ ٣٧-٣٨.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ١٩.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ١٤.
(٤) ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٦/١-٢١، ظ: ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٢٤٥/١-٢٨٩، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٤٣/١-٦٠.
(٥) ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٤/١-٣٤، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٦٩/١-١٠٢.
(٦) ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٧/١-٤٠، ظ: ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٣٣/٢-١٠٤.
(٧) ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٢/١-٥٥، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١٣٩/١-١٧٠.
(٨) ابن أبي زمنين/ تفسير القرآن العزيز، ٣٨٥/٢، الجيلانيّ/ تفسير الجيلانيّ، ٤٤٤/٢، الفيض الكاشانيّ/ الصَّافيّ، ٢٧٩/٤، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٥٢/١، محمَّد عليّ الصَّابونيّ/ صفوة التَّفاسير، ١٠١/٢، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١٢١/١.
(٩) الجيلانيّ/ تفسير الجيلانيّ، ٤٤٤/٢.
(١٠) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٣٩/١، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٥٠/١، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٥١/١، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ١٢١/١.

الْمُنْظَرِينَ ۝ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1]، فإنَّ الله سبحانه وتعالى أمهل إبليس ليبتلي به عباده وتظهر سرائرهم بأفعالهم الَّتي يستحقُّون بها الثَّواب والعقاب، وإنجازًا للوعد الَّذي سبق في تقديره تعالى أنْ يبتلي عباده بالفتنة ليعلم أيُّهم أحسنُ عملًا، والشّيطان فتنة ليس في ذلك ريب لقوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾[2]،[3]، وذلك دليل على قدرة الله سبحانه وعظمته، وتحذير الخلق من مكائد الشّيطان ليجتنبوا فَخِّه ومصائِده فإنَّ منافرته ذاتيَّة وعداوته أصليَّة، وفي ذلك تنبيه على إنَّ آدم مع فعله زلَّة واحدة أخرِجَ من جوار رحمة ربّه، وأهبِط إلى دار البليَّة فما حال من اقتحم في العيوب والمهالك وتورَّط في الذّنوب مدى عمره وطول زمانه ومع ذلك يطمع في دخول دار الخُلد[4].

تبيَّن من ذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى أمهلَ ابليس وأطالَ في عمره إلى يوم الوقت المعلوم لزيادة آثامه الموجبة لاستحقاق زيادة العقوبة، ولابتلاء بني آدم وتمحيصهم ومعرفة من يستحقُّ الثواب ومن يستحقُّ العقاب، وفي ذلك دلالة على قدرة الله (ﷻ) وتحذير العباد من غواية الشّيطان وشروره وما يضمره من عداوة أبديَّة للبشر.

---

(١) الأعراف/ ١٤-١٦.
(٢) الحجُّ/ ٥٣.
(٣) محمَّد عليّ الشُّوكانيّ/ فتح القدير، ٢٧٠/٢، محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ٥١/١، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٥٢/١.
(٤) ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٥٣/١.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، الدالَّة على التَّعليم والإرشاد[٣]، وقد سمِّيت هذه الخطبة بالقاصعة وبدأت بحمد الله وذكر بعض صفات الذَّات المقدَّسة[٤]، وأشار إلى إنَّ خلق آدم وأمر الله تعالى بالسِّجود له كان امتحانًا واختبارًا[٥]، ثمَّ حذَّر العباد من الشّيطان ووساوسه وإنَّه أعدى أعداء الله[٦]، وتطرَّق إلى مخاطر الكِبَر والغرور محذِّرًا من السَّير في هذا المسار موضِّحا تواضع الأنبياء (عليهم السلام)[٧]، ودعا مخاطبيه إلى تأمُّل أحوال الأمم السَّابقة وعناصر ضعفهم وقوَّتهم والأسباب الَّتي تقف وراء نجاحهم وفشلهم وبيَّن إنَّ ذلك نوع من التَّعليم والتَّعلُّم[٨]، ثمَّ خاض الإمام (عليه السلام) في ختام خطبته بالتَّعريف بنفسه ومنزلته ذاكرًا صفاته الَّتي تعدُّ كلّ واحدة منها منقبة وفضيلة عظيمة[٩].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ للتَّحذير من غواية الشّيطان وتزيينه الباطل والمعاصي[١٠]، وإغراء الخلْق بعداوته، ومعلوم إنَّ هذا الإغواء لا يتم لجميع الخلق؛ لأنَّ الله سبحانه استثنى عباده المخلصين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[١١]،[١٢]، وهؤلاء أخلصهم الله تعالى لطاعته وطهَّرهم من الشَّهوات فلا يعمل فيهم كيد ابليس؛ لأنَّهم أخلصوا دينهم لله وتحصَّنوا بالإخلاص من سائر أعمالهم[١٣]، أمَّا أبناء الحميَّة وإخوان العصبيَّة وفرسان الكِبر والجاهليَّة فقد صدَّقوا ابليس واتَّبعوه؛ لأنَّهم أصول الكفر والإلحاد والنِّفاق والشِّقاق، ورؤوس الخطايا والمعاصي وهؤلاء مستعدٌّ ابليس لإغوائهم ولا يغفل عنهم بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا

---

(١) الحجر/ ٣٩.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٣٣٣.
(٣) ظ: د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٣٨٤-٤٠٨.
(٤) ظ: محمَّد حسين الجلالي/ شرح نهج البلاغة، ١٤٦/٣-١٤٩، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازي/ نفحات الولاية، ٢٦٧/٧-٢٧٠.
(٥) ظ: محمَّد حسين الجلالي/ شرح نهج البلاغة، ١٥٠/٣-١٥٣.
(٦) ظ: محمَّد حسين الجلالي/ شرح نهج البلاغة، ١٥٨/٣-١٥٩، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازي/ نفحات الولاية، ٢٧٨/٧-٢٨٧.
(٧) ظ: المصدر نفسه، ١٦٠/٣-١٩٦، ظ: المصدر نفسه، ٢٩٠/٧-٣١١.
(٨) ظ: محمَّد حسين الجلالي/ شرح نهج البلاغة، ١٩٧/٣-٢٢١.
(٩) ظ: ناصر مكارم الشِّيرازي/ نفحات الولاية، ٣٩٥/٧-٣٩٨.
(١٠) ابن الجوزيّ/ تذكرة الأريب/ ١٨٩.
(١١) الحجر/ ٤٢.
(١٢) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٢٣١/٤، ابن عجيبة/ البحر المديد، ٨٩/٣، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٥٥/٣.
(١٣) ابن عجيبة/ البحر المديد، ٨٩/٣، محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٥٥/٣.

أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1]،[2] فيُزَيّن لهم الدُّنيا ويدعوهم لإيثارها على الآخرة ويصدَّهم عن الصِّراط المستقيم فينقادون للمعاصي والشِّرور[3]، ويحسِّن ويغري ويكذِّب في المواعيد، وخيار الإنسان بيده فإن تنازل عنه للشَّيطان وسلَّم له القياد فعل به ما يشاء ورماه من قريب؛ لأنَّه يجري منه مجرى الدَّم فيصطاد ويضلِّل أبناء آدم عدوّه اللَّدود وبذلك يصدُق ظنُّ ابليس على أهل الكبرياء والجاهليَّة ويتسرَّب إلى نفوسهم من طريق تعصُّبهم وسفههم وحبِّهم للتَّعاظم والشُّهرة الزَّائفة[4]، لأنَّهم ليست لهم رؤية واضحة في المبدأ والوسيلة والهدف، أمَّا من يعرف خططه فإنَّه يقاومها ولا يصيب ظنُّه فيه[5].

وواضحٌ من ذلك التَّحذير من غواية ابليس العدوُّ اللدودُ للإنسان الَّذي توعَّد بإغواء أبناء آدم وإضلالهم عن الطَّريق المستقيم، فمن كان من أهل الشِّرك والنِّفاق والإلحاد تمكَّن منه وتسرَّب إلى نفسه وأضلَّه، ومن كان من عباد الله المخلصينَ الَّذينَ أخلصهم الله لعبادته وطاعته فإنَّ هؤلاء لا يتمكَّن الشَّيطان من غوايتهم؛ لأنَّهم تحصَّنوا منه بأعمالهم الصَّالحة وإيمانهم وتوكلِّهم، فحقيقة غواية الشَّيطان الَّتي ذكرها الإمام (عليه السلام) قائمة على استنطاق النَّصِّ القرآنيّ.

---

(١) الأعراف/ ١٦.
(٢) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٣٤/١٣.
(٣) عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعديّ/ تيسير الكريم الرَّحمن/ ٤٣١.
(٤) محمَّد جواد مغنية/ في ظلال نهج البلاغة، ١١٦/٣.
(٥) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٥٥/٣.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: اسْتِنْطَاقُ نُصُوصِ (أفْعَالِ أقْوَامِ الأنْبِيَاءِ)

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾[١]

وردت الآية المباركة في خطبة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، الدالَّة على النُّبوَّة العامَّة[٣]، وفيها رغَّب أصحابه في الثَّبات على ما هم عليه من طريق الهدى والحقِّ ولا يستوحشوه لقلَّتهم فيظنُّونَ إنَّ هذه القلَّة دليل على أنَّ الحقَّ في خلاف ذلك، وبيَّن علَّة القلَّة في أهل الهدى راجعة إلى أنَّ النَّاس اجتمعوا والتقوا على الدُّنيا حيث شبَّهها بالمائدة الَّتي فيها ما طاب ولذَّ من الأطعمة إلَّا إنَّها مائدة مدَّة شبعها قصير إذ يأتي بعدها جوع طويل وهو ما بعد الموت والحساب الَّذي يتمنَّى فيه الإنسان عملًا صالحًا ينفعه لآخرته[٤]، ثمَّ نبَّه على لزوم الطَّريق المستقيم ووجوب السَّير عليه لأنَّه الطَّريق الموصل إلى الجنَّة، ونهى عن الانحراف عنه؛ لأنَّ في ذلك الضَّلال والخسران[٥].

إنَّ أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ لترغيب أصحابه السَّالكينَ طريق الهدى في البقاء على ما هم عليه وتنبيههم على مواصلة سيرهم فيه وإنْ كانوا قليلين، ونهى عن الاستيحاش في تلك الطَّريق وكنَّى به عمَّا عساه يعرض لبعضهم من الوسوسة بأنَّهم ليسوا على حقٍّ لقلَّتهم وكثرة مخالفيهم، إذ قلَّة العدد في الطَّريق مظنَّة الهلاك والسَّلامة مع الكثرة، وإنَّما يجمع النَّاس في عذاب الله رضاهم بالمنكرات والمعاصي وإنْ لم يباشروها، ومصداق ذلك قصَّة ثمود في عموم العذاب لهم بفعل عاقر النَّاقة، فأنَّهم لمَّا رأوا النَّاقة معقورة تحسَّروا على ما صنعوا وتأسَّفوا على ما فعلوا وندموا جميعًا على فعلهم وفساد رأيهم[٦]، فعاقر النَّاقة رجل من قوم صالح (عليه السلام) لا كلُّهم إلَّا أنَّ العذاب عمَّهم وشملهم جميعًا لمَّا عمُّوه بالرِّضا؛ لأنَّ أهل الحقِّ رضي بفعل أهل الباطل، ومن رضي بفعل قومٍ فهو منهم[٧]، لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ

---

(١) الشُّعراء/ ١٥٧.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٣٧٠.
(٣) محمَّد تقي التَّستُّريّ/ بهج الصِّباغة،٢/ ٨٠.
(٤) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٤٢/٣، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٣٠/٣.
(٥) المصدر نفسه، ٤٤٢/٣، المصدر نفسه، ٤٣١/٣.
(٦) ابن الجوزيّ/ زاد المسير، ٣٤٦/٣، علم الدِّين السَّخاويّ/ تفسير القرآن العظيم، ٦٦٧/١، ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٤٢/٣، محمَّد بن موسى آل نصر/ الدرُّ النَّثير/ ٥٨٥، عايض عبد الله القرنيّ/ التَّفسير الميسَّر/ ٤٣٥.
(٧) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٤٣/٣، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٣١/٣، محمَّد تقيّ النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٤٧٥/١٣.

مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾[1]، فإنَّ الله سبحانه وتعالى يجمع النَّاس في رحمته باجتماعهم على الرّضا بمحابِّه والسَّخط لمكارهه[2].

وبعبارة أخرى: إنَّ الحكم بالعذاب يلحق كلُّ من رضي بالمعصية وإنْ لم يمارسها بنفسه، وإنَّ الرَّحمة تلحق كلُّ من رضي بعمل الخير وإنْ لم يمارسه بنفسه فالحكم يتبع الرِّضا ويتبع السَّخط[3].

تجلَّى ممَّا تقدَّم أنَّ رحمة الله تعالى ورضاه تشمل كلُّ من رضي بفعل الخير والعمل الصَّالح حتى وإن لم يفعله، كما أنَّ سخطه وعذابه يشمل كلُّ من رضي بفعل المنكر والشرِّ حتَّى وإن لم يفعله، لأنَّ الرَّاضي بفعلٍ شريك لفاعله، وفي ذلك ترغيب بسلوك الطَّريق الواضح الصَّحيح وعدم استيحاشه أو الشَّكُّ بصحَّته لقلَّة أهله، وتنبيه السَّالكينَ لطريق الهدى بالبقاء على ما هم عليه حتَّى وإنْ كانوا قليلين.

ومن الجدير بالذِّكر أنَّ نفي الشَّكِّ عن صحَّة القلَّة قائم على استنطاق النَّصِّ القرآنيّ، فالقرآن مرارًا وتكرارًا يصرّح أنَّ الحقَّ مع القلَّة، والواقع يؤيّد ذلك فقول النَّبيّ محمَّد (ﷺ) لأمير المؤمنينَ، عليّ بن أبي طالب (عليه السلام): ((عليّ مع الحقِّ والحقّ مع عليّ والحقّ يدور حيثما دار عليّ))[4]، والقرآن قال: ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾[5].

(١) الأنفال/ ٢٥.
(٢) ميثم البحرانيّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٤٣/٣.
(٣) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٤٣٠/٣.
(٤) المجلسيّ/ بحار الأنوار، ٢٩/٣٨.
(٥) المؤمنونَ/ ٧٠.

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، وقد دلَّت على قضيَّة تاريخيَّة حيث يصف الإمام عليّ (عليه السلام) الفئات الَّتي حاربته[٣]، بعد أنْ أرسل رجلًا من أصحابه يَعْلَم له أحوال قومٍ من جند الكوفة قد همُّوا باللَّحاق بالخوارج وكانوا على خوفٍ منه (عليه السلام)، فلمَّا عاد إليه الرَّجل أبلغه أنَّ القوم قد جُبِنوا فساروا، فأخذ الإمام (عليه السلام) يصِفُ حالهم مبيّنًا أنَّهم أولياء الشَّيطان وأنَّهم في تيه الضَّلال والجهل والهوى لخروجهم عن فضيلة طلب الحقِّ والعدل إلى حدِّ الجور عن الصِّراط المستقيم[٤].

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ للدُّعاء على الفئة الَّتي حاربته بالهلاك كما هلكت قبيلة ثمود الَّتي قصَّ القرآن قصَّتها، وهم من قوم صالح حيث أهلكهم الله سبحانه بالصَّيحة نتيجة جهلهم وعنادهم[٥]، ودعاؤه عليهم بالهلاك والبعد من رحمة الله؛ بسبب ضعفهم وجبنهم[٦]، وبارتحالهم عُلِم أنَّ موقفهم موقف الخارج للحرب؛ لأنَّهم أنكروا الصَّواب وابتعدوا عن الحقِّ[٧]، وهذا مصير كلُّ كافر ظالم خارج عن طاعة الله بدلالة قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٨]،[٩]، فكانت نتيجة تلك اللُّجاجة التَّيه والحيرة والضَّلال والابتعاد عن الهدى، وهذا المصير الأسود يصنعه كلُّ إنسان جاهلٌ متعصِّبٌ ولجوج، وتلك عاقبة أعمالهم في الدُّنيا والآخرة[١٠]، إذ سقطوا في أحضان الشَّقاء بسبب نسيانهم الحقائق لحقدهم وعدائهم، والإنسان العاقل والواقعيّ عليه أنْ يتوجَّه إلى الطَّريق الَّذي فيه الحقِّ والعدل والصَّواب[١١].

وظاهرٌ ممَّا تقدَّم أنَّ مصير الكافرينَ المظلِّينَ الخارجينَ عن طاعة الله الهلاك والسُّحق والبعد عن رحمته تعالى، كما كان مصير من كان قبلهم من الأقوام والأمم نتيجة انكارهم الحقِّ وبعدهم عن

---

(١) هود/ ٩٥.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٣٠٠.
(٣) أويس كريم محمَّد/ المعجم الموضوعيّ/ ٤٣٧.
(٤) ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٧١/٣-١٧٢، ظ: عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ١٠٥٧/٣-١٠٥٩، ظ: محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٦٠٤/٢-٦٠٦.
(٥) الشَّربينيّ/ السِّراج المنير، ٧٧/٢، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ١٧٢/٣، جمال الدِّين القاسميّ/ محاسن التَّأويل/ ١٢٨.
(٦) علي بن الحسين العامليّ/ الوجيز في تفسير القرآن، ٨٧/٢، عبد الله شبَّر/ نخبة الشَّرحين، ١٠٥٨/٣، محمَّد بن حبيب الله الحسنيّ/ التُّحفة العليَّة، ١١٤/٤.
(٧) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ٦٠٥/٢.
(٨) هود/ ٤٤.
(٩) عبد السَّلام علوش/ المختصر الجامع/ ٤٩٤.
(١٠) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٨/٧.
(١١) ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ الأمثل، ١٥٦/٦.

الهدى، وهذا يستلزم الثَّبات على الموقف وعدم الميل عنه إلى الباطل، وفي ذلك تنبيه للأفراد لإصلاح أنفسهم والبعد عن الجهل والتَّعصُّب، والدُّعاء على الفتنة الضَّالَّة الَّتي تحاربُ الحقَّ، أو تحاربُ إمام الحقِّ؛ بوصفه يمثِّل الحقَّ، بل الحقّ تَبَعٌ له يُدار معه حيثما دار جائزٌ في كلِّ عصرٍ وزمانٍ، وما دعاء أمير المؤمنينَ، عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) على المُنشقِّينَ عنه، والمُلتحقينَ بالخوارج، إلَّا وليد استنطاق النَّصِّ القرآنيِّ، فقد دعا نبيّ الله صالحٌ على قومه (ثمود)؛ لخروجهم عليه، وانشقاقهم منه.

٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[١]

وردت الآية المباركة في رسالة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، وقد دلَّت على النَّقد والتَّعريض[٣]، وتتضمَّن عدَّة أقسام يتعرَّض في أوَّلها لفضح ادِّعاءات معاوية الواهية مبيّنًا قبح وفساد كلامه فيما يتَّصل بوصف الإسلام وعظمة النَّبيّ محمَّد (صلى الله عليه وآله)[٤]، ثمَّ يذكِّر بنعم الله سبحانه ويذكر فضائل بني هاشم ومكانتهم الَّتي تعرفها قلوب المؤمنينَ ويقارن بينهم وبين بني أميَّة مبيّنًا أحقِّيتهم بالخلافة[٥]، ثمَّ يتعرَّض الإمام (عليه السلام) لنقد بعض عبارات معاوية غير المؤدَّبة مشيرًا إلى حاله وموقفه من قتل عثمان[٦]، وفي القسم الأخير يُبَيّن الإمام (عليه السلام) موقفه من تهديد معاوية له بالهجوم والحرب[٧].

إنَّ أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ في مسألة توعُّد الظَّالمينَ بالعذاب ويُراد بهم معاوية وأتباعه بوصفهم مصداقًا لهم في عهده، وأنَّهم بظلمهم يستحقُّون ذلك العذاب الأليم، وذلك وعيد لكلِّ ظالم من هذه الأمَّة جزاء له على ظلمه وتكذيبه[٨]، وترهيب لهم بأن يصيبهم مثل ما أصاب قوم نبيّ الله لوط (عليه السلام) من العذاب إن لم يؤمنوا ويتَّعظوا[٩]، ويدلُّ على ذلك توعُّد الله للظَّالمينَ في قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾[١٠]،[١١]، وتلك عبرة لكلِّ الأقوام الظَّالمة في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وإن كان العذاب يختلف باختلاف الأحوال من أنواع الظلم وعمومه وكثرته وما دونهما، وتلك العاقبة ليست ببعيدة عن الظَّالمينَ إنَّما تنزل بهم عن استحقاقٍ نتيجة الظَّلال والإصرار على الباطل[١٢]، لأنَّه تعالى يقول: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي

---

(١) هود/ ٨٣.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ٤٥٤.
(٣) د. صبحي الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٥٢٦.
(٤) ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٣٤/١٥-٣٨، ظ: ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٩١/١٩-٩٥، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٤٥/٩-٣٥١.
(٥) ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٣٨/١٥-٥٢، ظ: ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ٩٥/١٩-١٢١.
(٦) ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٥٣/١٥-٥٦، ظ: ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٣٧٣/٩-٣٨٣.
(٧) ظ: محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٥٦/١٥-٥٨.
(٨) البيضاوي/ أنوار التَّنزيل، ١٤٤/٣، ميرزا حبيب الله الخوئيّ/ منهاج البراعة، ١٦٦/١٩، ناصر مكارم الشِّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٢٧/٩.
(٩) الشُّوكانيّ/ فتح القدير، ٧١٩/٢، محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ/ توضيح نهج البلاغة، ٤٠/٤، محمَّد بن موسى آل نصر/ الدرُّ النَّثير/ ٣٩٩.
(١٠) الشُّعراء/ ٢٢٧.
(١١) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٥٨/١٥.
(١٢) محمَّد رشيد رضا/ تفسير المنار، ١٣٨/١٢، محمَّد الأمين الشَّنقيطيّ/ أضواء البيان، ٤٧/٣.

ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا﴾[1]،[2]، فالظُّلم في صراعٍ دائم مع العدل في كلِّ عصرٍ ومصرٍ[3].

وواضحٌ ممَّا تقدَّم توعُّدُ الكفَّار الظَّالمينَ بنزول العذاب الأليم بهم كما فعل الله سبحانه بالأمم السَّابقة الَّتي أصرَّت على جهلها وعنادها وضلالها، وما توعُّد أمير المؤمنينَ (عليه السلام) معاوية وأتباعه بالعذاب الأليم إلَّا استنطاقٌ للنَّصِّ القرآنيِّ الزَّاخر بتوعُّد الظَّالمينَ بالعذاب الأليم في كلِّ عصرٍ، عاجلًا كان أم آجلًا، فهي سنَّة ثابتة نطق بها القرآن، ومعاوية وأتباعه مصداق من مصاديق الظَّالمينَ الَّذين ينتظرهم العذاب وما الاختلاف فيهم سوى الزَّمن، وذلك تنبيه وترهيب لكلِّ ظالمٍ على اختلاف الزَّمان والمكان والحال، واختلاف نوع الظُّلم ومقداره بنزول العذاب به وعقابه كما عُوقِب الظَّالمينَ في الأمم السَّالفة، وتلك العاقبة الَّتي يستحقُّها كلُّ ظالمٍ.

---

(١) محمَّد/ ١٠.
(٢) محمَّد الأمين الشَّنقيطيّ/ أضواء البيان، ٤٧/٣.
(٣) محمَّد حسين الجلاليّ/ شرح نهج البلاغة، ١٥٨/٤.

٤- قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[١]

وردت الآية الكريمة في خطبة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٢]، الدالَّة على التَّزهيد في الدُّنيا[٣]، وقد استهلَّها الإمام (عليه السلام) بتحذير الجميع من هذه الدُّنيا الغرَّارة الفانية مبيّنًا حقيقتها وواقعها من خلال وصفها والتَّعرُّض لخداعها[٤]، وأشار إلى سرعة تغيُّرها وتبدُّلها إلى جانب تبدُّل نعمها ونقمها، فلم يصب أحد منها سرورًا إلَّا تَبِعَتْهُ حسرة وحُزنًا، ولم يذُق حلاوتها إلَّا استشعر مرارتها[٥]، وتطرَّق إلى تاريخ الأمم السَّابقة ممَّن كانوا من أصحاب السُّلطة والقدرة وما كانوا يمتازونَ به من الامتيازات إلَّا أنَّهم تلاشوا وتساقطوا ركونًا للموت كما تتساقط أوراق الشَّجر[٦]، وأخيرًا ذكر المصير الحتميّ الَّذي ينتظر كُلَّ إنسان والَّذي يشتمل على مفارقة الدُّنيا والرّحيل إلى عالم الآخرة[٧].

إنَّ أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) استنطق النَّصَّ القرآنيَّ للفت الأنظار والاتِّعاظ بمن كان من الأمم السَّابقة -كعاد قوم هود- الَّذين اغترُّوا بقوَّتهم وعددهم وعُدَّتهم وتصوَّروا أنَّهم قادرينَ على دفع العذاب عن أنفسهم بفضل تلك القوَّة[٨]، فعصوا وبغوا واستكبروا؛ لأنَّهم لم يتفكَّروا أنَّهم يبارونَ الخالق العظيم الَّذي خلق الأشياء وركَّب فيها قواها الحاملة لها[٩]، فإنَّهم مع هذه القوَّة ماتوا وحُمِلوا على أكتاف الرّجال إلى قبورهم ولم يتمتَّعوا بعد ذلك بما تمتَّع به الأحياء لأنَّهم أموات[١٠]، ولم تنفعهم قوَّتهم ولا عددهم وعُدَّتهم، ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ

---

(١) فصّلت/ ١٥.
(٢) عليّ بن أبي طالب/ نهج البلاغة (جمع الشَّريف الرَّضيّ) / ١٩٠.
(٣) د. صبحيّ الصَّالح/ شرح نهج البلاغة/ ٢١٢.
(٤) ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢/٢٦٧-٢٦٨، ظ: محمَّد تقي التُّستريّ/ بهج الصِّباغة، ١١/٤٥٠-٤٥٤، ظ: ناصر مكارم الشّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٥/٧-١٠.
(٥) ظ: المصدر نفسه، ٢/٢٦٨-٢٧٢، ظ: المصدر نفسه، ١١/٤٥٥-٤٦١، ظ: المصدر نفسه، ٥/١١-١٣.
(٦) ظ: عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢/٢٧٣-٢٧٦، ظ: محمَّد تقي التُّستريّ/ بهج الصِّباغة، ١١/٤٦٢-٤٧١.
(٧) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢/٢٧٧، ظ: ناصر مكارم الشّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٥/٢٥-٢٩.
(٨) القرطبيّ/ الجامع لأحكام القرآن، ١٨/٤٠١، عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢/٢٧٥، ناصر مكارم الشّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٥/٢٦، عبد الله الزَّيد/ مختصر تفسير البغويّ/ ٨٣٦، مجد بن أحمد مكّيّ/ المعين/ ٤٧٨، مأمون حمُّوش/ التَّفسير المأمون، ٧/١٠٨.
(٩) ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم، ٧/١٦٩.
(١٠) عبَّاس عليّ الموسويّ/ شرح نهج البلاغة، ٢/٢٧٥، محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٩/٢٠٢، ناصر مكارم الشّيرازيّ/ نفحات الولاية، ٥/٢٦.

الْخَاسِرُونَ﴾[1]،[2]، وذلك جزاؤهم الَّذي يستحقُّونه لأنَّهم لم يروا رؤية فكريَّة ولم يتيقَّنوا أنَّ الله الَّذي خلقهم قادر على إهلاكهم وتعذيبهم، وذلك عقوبة لهم على استكبارهم في الأرض بغير الحقِّ وتكذيبهم بآيات الله الكونيَّة والبيانيَّة والاعجازيَّة وإنكارهم لها مع علمهم أنَّها الحقُّ[3].

يظهر ممَّا تقدَّم وجوب الاعتبار والاتِّعاظ بما أصاب الأمم السَّابقة الَّذين استكبروا واغترُّوا بما آتاهم الله من قوة وعميت أبصارهم وتصوَّروا أنَّهم بهذه القوَّة يتمكَّنونَ من دفع العذاب عن أنفسهم، إلَّا أنَّهم مع هذه القوَّة ماتوا وحُمِلوا راغمينَ إلى قُبورهم، ولم تنفعهم تلك القوَّة، فلم يتفكروا في الخالق العظيم الَّذي خلقهم وأنشأهم وركَّب فيهم تلك القوَّة الَّتي اغترُّوا بها.

ودعوةُ أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) إلى الاتِّعاظ والاعتبار بالأمم السَّابقة الَّتي اغترَّت بقوَّتها قائمة على استنطاق النَّصِّ القرآنيِّ الَّذي ذكر في قصص الأمم الغابرة ما جرى عليها من العذاب، ولم ينفعها غرورها وقوَّتها فمآل الجميع إلى الموت وترك النَّعيم الدُّنيويّ وهي سنَّة لا تبديل فيها.

---

(١) التَّوبة/ ٦٩.
(٢) محمَّد تقي النَّقويّ/ مفتاح السَّعادة، ٢٠٢/٩.
(٣) مجد بن أحمد مكّيّ/ المعين/ ٤٧٨.

خُلَاصَةٌ واسْتِنْتَاجٌ

إنَّ نهج البلاغة في هذا الفصل عرضَ هذه المضامينَ، واستنطق القرآن فيها، فجاء مطابقًا لما طُرِحَ في النَّهج

١- إنَّ خلْق الله سبحانه الإنسان من الطِّين ومروره بمراحل عدَّة دليل على قدرة الله تعالى غير المحدودة.

٢- تأكيد قدرة الله تعالى على إيجاد الشَّيء من العدم وذلك بقوله له كن فيكون، وكذلك قدرته المُطلقة على إعادة ما خلقه في اليوم الآخر، وذلك محقَّق لا محالة.

٣- ذمُّ الدُّنيا والتحذير منها فإنَّها زائلة لا بقاء لها ولا دوام، وهذا يستدعي تركها وعدم السَّعي وراء ملذَّاتها.

٤- عدم اعتبار رضا الله وسخطه بما يمدُّ به العبد من الأموال والأولاد، فقد يكون ذلك لفتنتهم أو لإمهالهم واستدراجهم.

٥- النَّهي عن التَّمرُّد على الخالق العظيم أو التَّعصُّب لآثار مواقع النِّعم؛ لأنَّ ذلك لن يغني عن الآخرة شيئًا.

٦- التَّأكيد على طاعة الله سبحانه، والنَّهي عن التَّعصُّب والغرور واتِّباع طريق الشَّيطان؛ لما فيه من الضَّلال والهلاك.

٧- التَّحذير من غواية الشَّيطان وخداعه فأنَّه عدوٌّ للإنسان والتَّحصُّن بالإيمان والأعمال الصَّالحة الَّتي تنجي من إبليس ومكائده.

٨- التَّرغيب بسلوك الطَّريق الواضح الصَّحيح وعدم استيحاشه لقلَّة سالكيه، والتَّنبيه على البقاء على ما هم عليه لتحصيل رضا الله سبحانه.

٩- إنَّ مصير الكافرينَ الخارجينَ عن طاعة الله الهلاك والضَّلال، كما كان مصير من كان قبلهم من الأمم الَّتي أنكرت الحقَّ واتَّبعت الهوى، وهذا يوجب الاعتبار من الأمم السَّابقة وما أصابهم من العذاب والفناء.

بعد السَّير في رحاب استنطاق النَّصِّ القرآنيّ في نهج البلاغة، توصَّل البحث إلى جملة نتائج تكمن في النِّقاط الآتية:

١. إنَّ الاستنطاق حوارٌ مع القرآن، فكلُّ عنوان من عنوانات (نهج البلاغة) ورد في هذه الرِّسالة، وجدناه قد ارتكز على ركيزتينِ اثنتين، أمَّا الرَّكيزة الأولى فهي (الموضوع)، وقد تكفَّل به (نهج البلاغة)، وأمَّا الرَّكيزة الثَّانية فهي (الحُكْمُ)، وقد تكفَّل به (القرآن)، فقد كشف لنا الاستنطاق أنَّه مؤيَّد لحكم الموضوع الوارد في نهج البلاغة، وبهذا يكون ما ورد في نهج البلاغة حُجَّة على الأمَّة؛ لأنَّه موافق لما ورد في القرآن بمقتضى الاستنطاق.

٢. أجابَتْ الرِّسالة على (التَّساؤلات) المطروحة في (المشكلة)، وعلى (الفروض) الَّتي طُرِحَتْ في المقدِّمة– هناك– فالاستنطاق وسيلة من وسائل المعرفة، فهو وسيلة لمعرفة (ما بداخل النَّصِّ). وقدِ استنطق أمير المؤمنينَ، عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) (النَّصَّ القُرْآنيّ) في (نهج البلاغة) في حقول معرفيَّة عديدة، تضمَّنَتْ الحقول الآتية: (أصول العقيدة، البناء السُّلوكي للإنسان، ذكر الصِّفات البشريَّة، الوعظ والإرشاد، والمخلوقات). وتبيَّن لنا من خلال الاستنطاق أنَّ هناك تلازمًا (معنويًّا) بين قول أمير المؤمنينَ (عليه السلام)، والقُرْآن، فكلُّ ما وردَ في نهج البلاغة على فرض التَّسليم بصحَّة صدوره عن أمير المؤمنين (عليه السلام) مطابق لما وردَ في القُرْآن. وهو مصداق للتَّلازم المعرفيّ بين القُرْآن وما صدرَ عن أهل البيت عليهم السَّلام، وفي طليعتهم أمير المؤمنينَ عليه السّلام. وهو تأييد لرواية عدم الافتراق بين الثَّقلينِ (كتاب الله)، و(العترة).

٣. إنَّ الاستنطاق معيار لقبول أنَّ نصَّ (نهج البلاغة) صادر عن أمير المؤمنينَ، عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام؛ لأنَّه لو كانَ صادرًا من غيره- ولو على سبيل الفرض- لحصل افتراق بينَ مضامينه وبين مضامين النَّصِّ القُرْآنيّ، ولكن تمَّ التَّسليم بكون النُّصوص كلِّها الَّتي تضمَّنَتْ استنطاق النَّصِّ القُرْآنيّ جاءَتِ مطابقةً لمضامين النَّصِّ القُرْآنيّ.

٤. إنَّ الاستنطاق الوارد في (نهج البلاغة) درس بليغ للأمَّة في كلِّ زمانٍ، مؤدَّاهُ أنْ تنهلَ من القُرْآن في كلِّ شيءٍ، ولا سيَّما في مجال فنَّ القول، وهو طريق للتمسُّك بالقرآن، وأنْ تكون نصوصه ومضامينه حاضرة في أقوالها، وأنْ تكون أقوالها مطابقة لما جاءَ به القُرْآن، فهو معيار تصحيحها، وهذا الدُّرس جاءَ صادرًا من القُرْآن النَّاطق إلى الأمَّة الإسلاميَّة، وحريٌّ بها أنْ تستلهم هذا الدَّرس البليغ، وتجعله شعار عملٍ في أقوالها، وتطبُّق عمليًا ما تقول.

٥. في العمليَّة الاستنطاقيَّة تنبثق المسألة من الواقع المُعاش، ويكون جوابها في القرآن الَّذي يعمل كالطبيب في معالجة أمراض العصر على المستوى الفردي والاجتماعي، فاستنطاق النَّصِّ

القرآنيّ غير فهمه وتفسيره، إنَّما هو محاولة أبعد من ذلك وأعمق من الظَّاهر، وأشدُّ قدرة على استخراج ما يشتمل عليه من المعاني والمضامين، كما إنَّ نهج البلاغة يتميَّز بحضور النَّصِّ القرآنيِّ وقدرته على تمثيل المعاني فهو ممتدٌّ مع الزَّمن بطاقة دلاليَّة فضلًا عن كون مضمونه نهجًا للحياة، فنجد إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) تمكَّن من الرَّبط بين الخطب والنُّصوص القرآنيَّة بما يناسب المقام، فقد دأب على فكِّ رموز تلك الأجزاء لعلمه وانقياده إليه، وما كلامه إلَّا صدى للقرآن الصَّامت فهو القرآن النَّاطق.

٦. بيَّن الإمام عليّ (عليه السلام) النُّصوص القرآنية في خطبه المتضمِّنة الصفات الإلهيَّة، كسؤال الخبير، وكونه تعالى عدلًا لا يظلم أحدًا، وهو ذو الفضل العظيم والإحسان العميم، والقدرة المطلقة على فعل ما يريد ومنع ما لا يريد، الَّذي يقضي بالحقِّ بين العباد، كما تحدَّث عن حقيقة القرآن ووجوب الإيمان بما جاء فيه؛ لأنَّه لا تفريط فيه ولا اختلاف كونه من الله سبحانه وتعالى فهو يصدق بعضه بعضًا فيه تبيان كلِّ شيءٍ فكان طريق الهداية الأقوم والأسلوب الأقوم في الجوانب كافّة، كما استنطق الإمام عليّ (عليه السلام) في خطبه نصوصًا قرآنيَّة تضمَّنت صفات الملائكة، وعدَّهم خير أسوة للإنسان ومثالًا يحتذى به في العبادة والتَّنزيه، كما إنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) استطاع من خلال استنطاق النُّصوص القرآنيَّة المتعلقة باليوم الآخر التَّرهيب والتَّحذير من ذلك اليوم الَّذي تظهر فيه الحقائق، ويُلاقي كلُّ إنسان مصيره، إن كان خيرًا فيلاقي خيرًا، وإن كان شرًّا فيلاقي شرًّا.

٧. أثبت البحث كيفيَّة بناء الإنسان سلوكيًّا من خلال التَّمسُّك بطاعة الله تعالى ورسوله، والإلتزام بالعبادات وعمل المعروف وإنكار ما ذهب إليه أهل الضَّلال من الميل عن طريق الحقِّ والصَّواب، كما أكَّد الإمام عليّ (عليه السلام) في خطبه على العبادات وكونها فرضًا واجبًا على المؤمنينَ من خلال استنطاق النُّصوص القرآنيَّة الَّتي تؤكِّد أهميَّة هذه العبادات ووجوب المحافظة عليها، وكذلك التَّحريض على الجهاد، والقتال في سبيل الله لما له من الأجر العظيم وحذَّر من التَّثاقل والتَّباطئ فيه.

٨. شغلت النُّصوص القرآنيَّة المشتملة على ذكر الصِّفات والمواعظ مساحة واسعة في خطب أمير المؤمنينَ؛ لما لها من أثر كبير في نفوس المؤمنينَ نظرًا لما فيها من التَّذكير والتَّنبيه إضافة إلى الوصايا والتَّعاليم، كذِكْر صفات المؤمنينَ وتأييد الله سبحانه لهم وبيان ما أعدَّ لهم من النَّعيم المقيم؛ لتثبيتهم على طاعة الله، وإظهار فضيلة الإيمان للتَّجرُّد من كلِّ هدف وغاية دنيويَّة، كما تضمَّنت ذِكْر صفات الظَّالمينَ، والتَّحذير من الانصراف عن عبادة الله وتوعُّدهم بالبُعْد عن رحمة الله واستحقاق سخطه وغضبه بسبب جهلهم وميلهم عن الحقِّ.

٩. اتَّخذت النُّصوص القرآنيَّة الدَّالَّة على المواعظ والإرشاد دورًا أساسيًّا في الخطب الَّتي عرضها الإمام عليّ لإعداد المخاطبينَ فكريًّا وسلوكيًّا، فنجد الإمام (عليه السلام) استنطق النُّصوص القرآنيَّة المتضمِّنة للإيمان والتَّقوى وبيَّن أهميَّة تقوى الله وبذل الجهد قي سبيل الفوز برضا الله سبحانه وتجنُّب المحرَّمات، كما أكَّد الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) من خلال استنطاق النُّصوص القرآنيَّة على أنواع الاختبار كاختبار الأموال والأولاد واختبار العمل وتلك الاختبارات لمعرفة المُحسن من المسيء.

١٠. تضمَّنت خطب نهج البلاغة نصوصًا قرآنيَّة تتحدَّث عن ارشاد النَّاس لسُبل النَّجاح، كما بيَّنت إرشاد النَّاس لأنواع الأمان، وإرشادهم للاقتداء والتَّنبيه.

١١. استطاع أمير المؤمنينَ من خلال استنطاق النُّصوص القرآنيَّة بيان حقيقة الإنسان وخلقه من الطِّين ومروره بمراحل عدَّة، ممَّا يدلُّ على قدرة الله تعالى المطلقة على الخلق والتَّكوين والإعادة في اليوم الآخر.

١٢. ذكر الأمام (عليه السلام) حقيقة الدُّنيا وإنَّها زائلة لا بقاء لها ولا دوام ممَّا يستدعي تركها وعدم السَّعي وراء ملذَّاتها، وأمر بالتَّواضع والتَّذلُّل وحسن الخُلُق، والنَّهي عن التَّكبُّر والغرور، والاعتبار بما أصاب المتكبِّرينَ من السَّخط والعذاب الأليم، كذلك ذكر صفات إبليس وتمرُّده عن تنفيذ أوامر الله تعالى وإمهاله إلى يوم الوقت المعلوم، وذلك للتَّحذير من غوايته، والتَّأكيد على طاعة الله سبحانه في أمره ونهيه، وذكر نصوصًا قرآنيَّة تتحدَّث عن توعُّد الظَّالمينَ بالعذاب والهلاك وتذكيرهم بالأمم السَّابقة والأقوام السَّالفة للتَّنبيه والتَّرهيب لكلِّ ظالمٍ على اختلاف الزَّمان والمكان.

• خَيْرُ مَا نَبْتَدِئ بِهِ: القُرْآنُ الكَرْيمُ

أوَّلًا: المَصَادِرُ القَدِيمَة

• أبو حيّان الأندلسيّ: محمَّد بن يوسف (ت/٧٤٥هـ)

✓ البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمَّد معوض/ ط١، دار الكتب العلميَّة/ بيروت، ١٤١٣هـ.

• أبو السُّعود العماديّ: محمَّد بن محمَّد بن مصطفى (ت/٩٨٢هـ)

✓ ارشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ دار إحياء التُّراث العربيّ، د.ط/ بيروت، د.ت.

• أبو عبد الرَّحمن السَّلميّ: النَّيسابوريّ، محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن موسى بن خالد بن سالم النَّيسابوريّ (ت/٤١٢هـ)

✓ حقائق التَّفسير، تح: سيِّد عمران/ دار الكتب العلميَّة، د.ط/ بيروت، ١٣٢١هـ.

• ابن أبي جمهور الإحسائيّ: محمَّد بن عليّ بن إبراهيم (ت/٩١٠هـ)

✓ عوالي اللَّئالي العزيزيَّة في الأحاديث الدِّينيَّة، تح: آقا مجتبى العراقيّ/ ط١، مطبعة سيِّد الشهداء/ قم، ١٤٠٣هـ.

•ابن أبي الحديد المعتزلي(ت/٦٥٦هـ)

✓ شرح نهج البلاغة/ ط١، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ١٤٣٠هـ.

• ابن أبي زمنين: أبو عبد الله، محمَّد بن عبد الله بن عيسى بن محمَّد المري الإلبيريّ المالكيّ (ت/٣٩٩هـ)

✓ تفسير القرآن العزيز، تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمَّد بن مصطفى الكنز/ ط١، الفاروق الحديثة/ القاهرة، ١٤٢٣هـ.

• إسماعيل حقِّي الاستانبوليّ: أبو الفداء الحنفيّ الخلوتيّ المولى (ت/١١٢٧هـ)

✓ روح البيان في تفسير القرآن/ دار الفكر، د.ط/ بيروت، د.ت.

• الأعقم: أحمد بن عليّ بن محمَّد بن عليّ الأعقم الأنسيّ (ت/٩٩٩هـ)

✓ تفسير الأعقم/ دار الحكمة اليمانيَّة، د.ط/ د.م، د.ت.

• الأيجيّ: محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عبد الله الحسنيّ الحسينيّ الشَّافعيّ (ت/٩٠٥هـ)

✓ جامع البيان في تفسير القرآن/ ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت/ ١٤٢٤هـ.

• البِرسيّ (الحافظ): رضيّ الدِّين رجب بن محمَّد الحلّي (ت/٨١٣هـ)

✓ الدُّرُّ الثَّمين في خمسمئة آية في مولانا أمير المؤمنينَ (عليه السلام) باتِّفاق أكثر المفسّرينَ من أهل الدِّين، تح: عليّ عاشور/ ط٣، مؤسَّسة دار الكتاب الإسلاميّ/ قم المشرَّفة، ١٤٣٠هـ.

• برهان الدِّين: أبو بكر، البقاعيّ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرِّباط بن عليّ (ت/٨٨٥هـ)

✓نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور/ دار الكتاب الإسلاميّ، د.ط/ القاهرة، د.ت.

• البغويّ: أبو محَّمد الحسين بن مسعود (ت/٥١٦هـ)

✓ معالم التَّنزيل، تح: محمَّد عبد الله النِّمر، عثمان جمعة خيمرية، سليمان مسلم الحرش/ دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع، د.ط / الريَّاض، ١٤١١هـ.

• البيضاويّ: ناصر الدِّين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمَّد الشِّيرازيّ الشَّافعيّ (ت/٦٩١هـ)

✓ أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل/ دار إحياء التُّراث العربيّ، د.ط / بيروت، د.ت.

• البيهقيّ: أبو محمَّد، قطب الدِّين الكيدريّ (ت/ بعد ٦١٠هـ)

✓ حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، تح: عزيز الله العطارديّ/ ط١، مطبعة اعتماد / قم، ١٤١٦هـ.

• التَّستُّريّ: أبو محمَّد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع (ت/٢٨٣هـ)

✓ تفسير التستُّريّ، تح: محمَّد باسل عيون السُّود/ ط١، دار الكتب العلميَّة/ بيروت، ١٤٢٣هـ.

• الثَّعالبيّ: عبد الرَّحمن بن محمَّد بن مخلوف بن أبي زيد المالكيّ (ت/٨٧٥هـ)

✓ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: علي محمَّد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، عبد الفتّاح أبو سنّة/ ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ.

✓ الذَّهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز، تح: محمَّد شايب شريف، أبو بكر بلقاسم ضيف/ ط١، دار الكتب العلميَّة/ بيروت، ١٤٣٩هـ.

• الثعلبيّ: أبو إسحاق، أحمد (ت/٤٢٧هـ)

✓ الكشف والبيان، تح: أبي محمَّد بن عاشور/ ط١، دار إحياء التُّراث العربي/ بيروت، ١٤٢٢هـ.

• ابن جزّيّ الكلبيّ: أبو القاسم، محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عبد الله الغرناطيّ (ت/٧٤١هـ)

✓ التَّسهيل لعلوم التّنزيل، تح: عبد الله الخالديّ/ ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم/ بيروت، ١٤١٦هـ.

• ابن الجوزيّ: جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن عليّ بن محمَّد (ت/٥٩٧هـ)

✓ تذكرة الأريب في تفسير الغريب، تح: طارق فتحي السيِّد/ ط١، دار الكتب العلميَّة/ بيروت، ١٤٢٥هـ.

✓ زاد المسير في علم التَّفسير، تح: عبد الرَّزاق المهدي / ط١، دار الكتاب العربيّ / بيروت، ١٤٢٢هـ.

• الجيلانيّ: محيي الدِّين عبد القادر (ت/٧١٣هـ)

✓ تفسير الجيلانيّ، تح: أحمد فريد المزيديّ/ ط٢، المكتبة المعروفيَّة/ باكستان، ١٤٣١هـ.

• الحاكم الحسكانيّ: أبو القاسم، عبيد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمَّد بن حسكان القريشيّ العامريّ النيسابوريّ (ت/٤٨٠هـ)

✓ شواهد التَّنزيل، تح: محمَّد باقر المحموديّ/ ط١، مؤسَّسة الطَّبع التَّابعة لوزارة الثَّقافة والإرشاد الإسلاميّ/ مجمَّع إحياء الثَّقافة الإسلاميَّة/ د.م، ١٤١١هـ.

• الحدَّاد اليمنيّ: أبو بكر، عليّ بن محمَّد (ت/٨٠٠هـ)

✓ كشف التَّنزيل في تحقيق المباحث والتَّأويل، تح: محمَّد إبراهيم يحيى/ ط١، دار المدار الإسلاميّ/ بيروت، ٢٠٠٣م.

• الحرُّ العامليّ: محمَّد بن الحسين بن عليّ بن الحسين (ت/١١٠٤هـ)

✓ اثبات الهُداة بالنُّصوص والمعجزات، تح: علاء الدِّين الأعلميّ/ ط١، مؤسسَّة الأعلميّ للمطبوعات/ بيروت، ١٤٢٥هـ.

✓ وسائل الشّيعة إلى تحصيل مسائل الشّريعة، تح: مؤسّسة آل البيت لإحياء التّراث/ ط٢، قم، ١٤١٤هـ.

• الخازن: علاء الدّين عليّ بن محمد بن إبراهيم البغداديّ (ت/٧٢٥هـ)

✓ لباب التَّأويل في معاني التَّنزيل، تح: عبد السَّلام محمَّد عليّ شاهين/ ط١، دار الكتب العلميَّة/ بيروت، ١٤٢٥هـ.

• الرَّازيّ: محمَّد فخر الدِّين بن ضياء الدِّين (ت/٦٠٦هـ)

✓ مفاتيح الغيب/ ط١، دار الفكر، د.م، ١٤٠١هـ.

• الرَّاغب الأصفهانيّ/ أبي القاسم الحسين بن محمَّد (ت/٥٠٢هـ)

✓ مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تح: إبراهيم شمس الدِّين/ دار الكتب العلميَّة، د.ط، ١٤٢٥هـ.

✓ المفردات في غريب الألفاظ، تح: مركز الدِّراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز/ مكتبه نزار مصطفى الباز، د.ط، د.ت.

• الرّاونديّ: قطب الدِّين، سعيد بن هبة الله (ت/٥٧٣هـ)

✓ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تح: عزيز الله العطارديّ/ ط٢، مطبعة افست/ نشر عطارد/ خراسان، ١٣١٩هـ.

• الزُّبيديّ: محمَّد مرتضى الحسينيّ (ت/١٢٠٥ه)

✓تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد السَّتار أحمد فراج/ مطبعة حكومة الكويت/ د.ط، د.م، ١٣٨٥هـ.

• الزجَّاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السّريّ بن سهل (ت/٣١١هـ)

✓ معاني القرآن، تح: عبد الجليل عبدة شلبي/ ط١، عالم الكتب/ بيروت، ١٤٠٨هـ.

• الزَّمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر(ت/٥٣٨هـ)

✓ الكشَّاف عن حقائق التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، تح: عبد الرَّزاق المهدي/ دار إحياء التُّراث العربيّ، د.ط / بيروت، د.ت.

• زيد بن عليّ بن الحسين بن أبي طالب العلويّ الهاشميّ القريشيّ (ت/١٢٢هـ)

✓ تفسير غريب القرآن المجيد، تح: محمَّد يوسف الدِّين/ تاج يوسف/ د.ط، د.م، ١٤٢٢هـ.

• السّخاويّ: أبو الحسن، عليّ بن محمَّد بن عبد الصّمد علم الدّين السّخاويّ المصريّ الشافعيّ (ت/٦٤٣هـ)

✓ تفسير القرآن العظيم، تح: موسى عليّ موسى مسعود، أشرف محمّد بن عبد الله القصّاص/ ط١، دار النّشر للجامعات، د.م، ١٤٣٠هـ.

• السَّمرقندي: أبو اللَّيث، نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم (ت/٣٧٥هـ)

✓ بحر العلوم، تح: عليّ محمَّد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، زكريا عبد المجيد النوتي / ط١، دار الكتب العلميَّة / بيروت، ١٤١٣هـ.

• السّمعانيّ: أبو المظفّر، منصور بن محمّد بن عبد الجّبار التِّميميّ المروزيّ الشّافعيّ السّلفيّ (ت/٤٨٩هـ)

✓ تفسير القرآن، تح: أبو بلال غنيم بن عبّاس بن غنيم/ ط١، دار الوطن/ الرّياض، ١٤١٨هـ.

• السَّمين الحلبيّ: أبو العبَّاس، شهاب الدِّين أحمد بن يوسف بن عبد الدَّائم (ت/٧٥٦هـ)

✓ الدرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمَّد الخراط/ دار القلم، د.ط دمشق، د.ت.

• السِّيوطي: جلال الدِّين (ت/٩١١هـ)

✓ الدَّر المنثور في التَّفسير بالمأثور، تح: عبد الله بن عبد المحسن التُّركي/ ط١، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية / القاهرة، ١٤٢٤هـ.

• الشَّربينيّ: شمس الدِّين محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّافعيّ (ت/٩٧٧هـ)

✓ السِّراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربّنا الحكيم الخبير/ مطبعة بولاق (الأميريَّة)، د.ط/ القاهرة، ١٢٨٥هـ.

• الشَّريف الرّضيّ: أبو الحسن، محمَّد بن الحسين (ت/٤٠٦هـ)

✓ نهج البلاغة للإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) / ط٥، مؤسَّسة أنصاريان للطِّباعة والنَّشر/ قم، ١٤٢٨هـ.

• ابن شعبة الحرَّانيّ: أبو محمَّد، الحسن بن عليّ بن الحسين (ق/٤)

✓ تحف العقول عن آل الرَّسول (صلى الله عليه وآله)، تح: عليّ أكبر الغفاريّ/ ط٢، مؤسَّسة النَّشر الإسلاميّ التَّابعة لجماعة المدرّسينَ/ قم، ١٣٦٣هـ.

• الصَّدوق: أبو جعفر، القمِّي، محمَّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه (ت/٣٨١هـ)

✓ الأمالي، تح: قسم الدراسات الإسلامية/ مؤسَّسة البعثة، د.ط/ قم، ١٤١٧.

✓ التَّوحيد، تح: هاشم الحسينيّ الطَّهراني/ منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميَّة، د.ط/ قم، د.ت.

✓ الخصال، تح: علي أكبر الغفاري/ ط٢، منشورات جماعة المدرّسينَ في الحوزة العلميَّة/ قم، ١٤٠٣هـ.

✓ علل الشَّرائع، تح: محمَّد صادق بحر العلوم/ المكتبة الحيدريَّة، د.ط/ النجف، ١٣٨٥هـ.

✓ معاني الأخبار، تح: عليّ أكبر الغفاريّ/ انتشارات إسلاميّ، جامعة مدرّسين حوزة علميَّة، د.ط/ قم، ١٣٦١هـ.

✓ من لا يحضره الفقيه، تح: عليّ أكبر الغفاريّ/ ط٢، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميَّة/ قم، ١٤٠٤هـ.

• الطَّبرسيّ: أبو عليّ، الفضل بن الحسن (ت/٥٤٨هـ)

✓ جوامع الجامع، تح: مؤسَّسة النَّشر الإسلاميّ/ ط٢، مطبعة النَّشر الإسلاميّ/ قم، ١٤٢٣هـ.

✓ مجمع البيان في تفسير القرآن/ ط٢، دار المرتضى/ بيروت، ١٤٣٠هـ.

✓ مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، تح: مهدي هوشمند/ ط١، دار الحديث/ مطبعة دار الحديث، ١٤١٨هـ.

• الطَّبريّ: أبو جعفر، محمَّد بن جرير(ت/٣١٠هـ)

✓ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي/ ط١، دار هجر / القاهرة، ١٤٢٢هـ.

• الطُّوسيّ: أبو جعفر، محمَّد بن الحسن(ت/٤٦٠هـ)

✓ التِّبيان في تفسير القرآن، تح: أحمد حبيب قصير العاملي/ دار إحياء التراث العربيّ، د.ط / بيروت، د.ت.

✓ تهذيب الأحكام، تح: حسن الموسويّ الخرسان/ ط٤، مؤسَّسة الميلانيّ لإحياء الفكر الشَّيعيّ، د.م، ١٣٦٥هـ.

• ابن عادل الحنبليّ: أبو حفص، سراج الدَّين عمر بن عليّ الدِّمشقيّ النُّعمانيّ (ت/٧٧٥هـ)

✓ اللُّباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود، عليّ محمَّد معوض/ ط١، دار الكتب العلميَّة/ بيروت، ١٤١٩هـ.

• عبَّاس عليّ الموسويّ (ت/١١٧٩هـ)

✓ شرح نهج البلاغة/ ط١، دار الرسول الأعظم/ بيروت، ١٤١٨هـ.

• عبد الله بن محمَّد رضا شبَّر (ت/١٢٤٢هـ)

✓ تفسير القرآن الكريم، تح: حامد حنفي داود/ ط١، شركة مكتبة الألفين/ الكويت، ١٤٢٧هـ.

✓ نخبة الشَّرحين في شرح نهج البلاغة/ ط١، مطبعة النهضة/ انتشارات محبين/ قم، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

• عبد الرَّزاق الصَّنعانيّ: أبو بكر، عبد الرَّزاق بن همام بن نافع الحميريّ اليمانيّ (ت/٢١١هـ)

✓ تفسير عبد الرَّزاق، تح: محمود محمَّد عبده/ ط١، دار الكتب العلميَّة/ بيروت، ١٤١٩هـ.

• ابن عجيبة: أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد المهديّ الحسنيّ الأنجريّ الفاسيّ الصُّوفيّ (ت/١٢٢٤هـ)

✓ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشيّ رسلان/ نشر حسن عبَّاس زكي، د.ط/ القاهرة، ١٤١٩هـ.

• ابن عرفة: أبو عبد الله، محمَّد بن محمَّد الورغميّ التُّونسيّ المالكيّ (ت/٨٠٣هـ)

✓ تفسير ابن عرفة، تح: جلال الأسيوطيّ/ ط١، دار الكتب العلميَّة/ بيروت، ٢٠٠٨م.

• العروسي: عبد عليّ بن جمعة الحويزي (ت/١١١٢هـ)

✓ نور الثقلين، تح: عليّ عاشور/ ط١، مؤسَّسة التَّاريخ العربيّ، بيروت، د.ت.

• عزُّ الدِّين: عبد الرَّزاق بن رزق الله الرَّسعنيّ الحنبليّ (ت/٦٦١هـ)

✓ رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش/ ط١، مكتبة الأسديّ للنَّشر والتَّوزيع/ العزيزيَّة، ١٤٢٩هـ.

• العزُّ بن عبد السَّلام: أبو محمَّد، عزُّ الدِّين عبد العزيز بن عبد السَّلام بن أبي القاسم بن الحسن السَّلميّ الدِّمشقيّ الملقَّب بسلطان العلماء (ت/٦٦٠هـ)

✓ تفسير القرآن وهو (اختصار لتفسير الماورديّ)، تح: عبد الله إبراهيم الوهبيّ/ ط١، دار ابن حزم/ بيروت، ١٤١٦هـ.

• ابن عطيَّة الاندلسي: أبو محمَّد، عبد الحقِّ بن غالب بن عطيَّة (ت/٥٤٦هـ)

✓ المحرِّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السَّلام عبد الشَّافي محمَّد/ ط١، دار الكتب العلميَّة / بيروت، ١٤٢٢هـ.

• عليّ بن الحسين بن أبي جامع العامليّ (ت/١١٣٥هـ)

✓ الوجيز في تفسير القرآن العزيز، تح: مالك المحموديّ/ ط١، مطبعة حميد/ قم، ١٤١٧م.

• العيَّاشيّ: أبو النَّضر محمَّد بن مسعود العيَّاشيّ (ت/٣٢٠هـ)

✓ تفسير العيَّاشيّ، تح: قسم الدِّراسات الإسلاميَّة/ ط١، مؤسَّسة البعثة/ طهران، ١٤٢١هـ.

• ابن فارس: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت/٣٩٥ه)

✓ معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون/ دار الفكر للطباعة، د.ط، د.م، ١٣٩٩هـ.

• الفرَّاء: أبو زكريَّا، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الدَّيلميّ (ت/٢٠٧هـ)

✓ معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النَّجاتيّ، محمَّد عليّ النَّجار، عبد الفتَّاح إسماعيل الشَّلبيّ/ ط١، دار المصريَّة للتَّأليف والتَّرجمة/ مصر، د.ت.

• الفراهيدي: الخليل بن أحمد (ت/١٧٠ه)

✓ العين، تح: عبد الحميد هنداوي / ط١، دار الكتب العلميَّة / بيروت، ١٤٢٤هـ.

• فريد الخراسانيّ: ظهير الدِّين بن عليّ بن زيد البيهقيّ الأنصاريّ (ت/٥٦٦هـ)

✓ معارج نهج البلاغة، تح: أسعد الطيب/ ط١، مركز الأبحاث والدراسات الاسلامية قسم إحياء التراث الإسلامي، مطبعة مكتب الاعلام الإسلامي / قم، ١٤٢٢هـ.

• الفيروز آبادي: أبو طاهر، مجد الدِّين محمَّد بن يعقوب (ت/٨١٧هـ)

✓ تنوير المقباس من تفسير ابن عبَّاس/ دار الكتب العلميَّة، د.ط/ بيروت، د.ت.

✓ القاموس المحيط/ ط٣، الهيئة المصريَّة للكتاب، د.م، ١٣٩٩ه.

• الفيض الكاشانيّ: محمَّد بن المرتضى المعروف بالمولى محسن (ت/١٠٩١هـ)

✓ الأصفى في تفسير القرآن، تح: مركز الأبحاث والدِّراسات الإسلاميَّة (محمَّد حسين درايتي، محمَّد رضا نعمتي) / ط١، مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي/ مطبعة مكتب الإعلام الإسلاميّ، قم/ ١٤٢٠هـ.

✓ الصافي في تفسير القرآن، تح: محسن الحسيني الأميني/ ط١، مطبعة مروى، دار الكتب الإسلامية / طهران، ١٤١٩هـ.

• الفيُّوميّ: أحمد بن محمَّد بن عليّ المقري (ت/٧٧٠ه)

✓ المصباح المنير، تح: عبد العظيم/ ط٢، دار المعارف/ القاهرة، د.ت.

• القرطبيّ: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت/٦٧١هـ)

✓ الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله عبد المحسن تركي/ ط١، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ١٤٢٧هـ.

• القشيريّ: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت/٤٦٥هـ)

✓ لطائف الإشارات، تح: إبراهيم البسيونيّ/ ط٣، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب/ مصر، د.ت.

• القميّ: عليّ بن إبراهيم (ت/٣٢٩هـ)

✓ تفسير القمِّي/ ط١، مؤسَّسة الإمام المهدي / قم، ١٤٣٥.

• ابن قيِّم الجوزيَّة: شمس الدِّين، أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر الزرعيّ الدِّمشقيّ (ت/٧٥١هـ)

✓ تفسير القرآن الكريم، تح: مكتب الدِّراسات والبحوث العربيّة والإسلاميَّة بإشراف: إبراهيم رمضان/ ط١، دار ومكتبة الهلال/ بيروت، ١٤١٠هـ.

✓ الضَّوء المنير على التَّفسير، تح: عليّ الحمد المحمَّد الصَّالحيّ/ مؤسَّسة النُّور للطِّباعة والتَّجليد، مكتبة دار السَّلام، د.ط، د.ت.

• ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمربن كثير القرشيّ الدمشقيّ (ت/٧٧٤هـ)

✓ تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمَّد السَّلامة/ ط٢، دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ١٤٢٠هـ.

• الكفويّ: أبو البقاء، أيُّوب بن موسى الحسينيّ (ت/١٠٩٤هـ)

✓ الكلِّيات/ ط٢، مؤسَّسة الرِّسالة/ بيروت، ١٤١٩هـ.

• الكلينيّ: أبو جعفر، محمَّد بن يعقوب بن إسحاق (ت/٣٢٩هـ)

✓ أصول الكافيّ، تح: محمَّد جعفر سيف الدِّين/ دار التَّعارف للمطبوعات، د.ط / بيروت، ١٤١١هـ.

• الماورديّ: أبو الحسن عليّ بن محمَّد بن حبيب البصريّ (ت/٤٥٠هـ)

✓ النكت والعيون، تح: السَّيد بن عبد المقصود بن عبد الرَّحيم/ مؤسَّسة الكتب الثقافيَّة، دار الكتب العلميَّة، د.ط/ بيروت، د.ت.

• ابن المبرّد: جمال الدِّين أبو المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبليّ الدِّمشقيّ الصَّالحيّ (ت/٩٠٩هـ)

✓ الدُّرُّ النَّقيّ في شرح ألفاظ الخرقي، تح: د. رضوان مختار بن غربيَّة/ ط١، دار المجتمع للنَّشر والتَّوزيع/ جدَّة، ١٤١١هـ.

• المتَّقي الهنديّ: علاء الدِّين علي بن حسام الدِّين البرهان فوري (ت/٩٧٥هـ)

✓ كنز العمال، تح: بكري حياتي، صفوة السَّقا/ مؤسَّسة الرِّسالة، د.ط/ بيروت، ١٤٠٩هـ.

• مجاهد بن جبر: أبو الحجَّاج، التَّابعيّ المكيّ القرشيّ المخزوميّ (ت/١٠٤هـ)

✓ تفسير مجاهد، تح: محمَّد عبد السَّلام أبو النَّيل/ ط١، دار الفكر الإسلاميّ/ مصر، ١٤١٠هـ.

• المجلسيّ: أبو عبد الله، محمَّد بن باقر بن محمَّد تقي بن مقصود عليّ الأصفهانيّ (ت/١١١١هـ)

✓ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار/ ط٢، مؤسسة الوفاء/ بيروت، ١٤٠٣هـ.

✓ شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، تح: مرتضى جاجعلي فرد / ط١، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، الدائرة العامة للنَّشر والتَّوزيع، د.م، ١٤٠٨هـ.

• محقِّق من أعلام القرن الثَّامن.

✓ شرح نهج البلاغة، تح: عزيز الله العطارديّ/ ط١، نشر بنياد نهج البلاغة وانتشارات عطارد/ مطبعة الهاديّ/ قم، ١٣٧٥هـ.

• محمَّد بن عبد القادر(ت/٧٢١ه)

✓ مختار الصَّحاح، تح: أحمد شمس الدِّين/ ط١، دار الكتب العلميَّة/ بيروت، ١٤١٥هـ.

• مقاتل بن سليمان: أبو الحسن، الأزديّ البلخيّ (ت/١٥٠هـ)

✓ تفسير مقاتل بن سليمان، تح: عبد الله محمود شحاتة/ ط١، دار إحياء التُّراث/ بيروت، ١٤٢٣هـ.

• مكِّيّ بن أبي طالب: أبو محمَّد، القيسيّ القيروانيّ الأندلسيّ القرطبيّ المالكيّ (ت/٤٣٧هـ)

✓ الهداية إلى بلوغ النِّهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، تح: مجموعة رسائل جامعيَّة بكليَّة الدِّراسات العليا والبحث العلميّ – جامعة الشَّارقة، بإشراف أ.د:

الشَّاهد البوشيخيّ، مجموعة كتاب البحوث والسنَّة، كليَّة الشَّريعة والدِّراسات الإسلاميَّة – جامعة الشَّارقة/ ط١، ١٤٢٩هـ.

• ابن منظور: أبو الفضل، جمال الدِّين محمَّد بن مكرم الأفريقيّ المصريّ (ت/٧١١هـ)

✓ لسان العرب، تح: عبد الله عليّ الأكبر، محمَّد أحمد حسب الله، هاشم محمَّد الشاذلي/ دار المعارف، د.ط / القاهرة، د.ت.

• ميثم البحرانيّ: كمال الدين ميثم بن عليّ بن ميثم (ت/٦٨٩هـ)

✓ اختيار مصباح السّالكين شرح نهج البلاغة الوسيط، تح: محمّد هادي الأميني/ ط١، مجمّع البحوث الإسلاميّة/ مشهد، ١٤٠٨هـ.

✓ شرح نهج البلاغة/ ط١، دار الثَّقلين للطِّباعة والنَّشر/ بيروت، ١٤٢٠-١٩٩٩.

• النّسفيّ: نجم الدّين عمر بن محمّد بن أحمد (ت/٥٣٧هـ)

✓ التّيسير في التّفسير، تح: ماهر أديب حبوش وآخرون/ ط١، دار اللّباب للدِّراسات وتحقيق التّراث/ تركيا، ١٤٤٠هـ.

• نور الدِّين الكازرونيّ: أحمد بن محمَّد بن خضر العمريّ الشَّافعيّ (ت/٩٢٣هـ)

✓ الصِّراط المستقيم في تبيان القرآن الكريم، تح: أبو الحسن عبد الله بن عبد العزيز الشَّبراويّ/ ط١، دار الرِّسالة/ القاهرة، ١٤٣٨هـ.

• النَّوويّ: أبو زكريَّا محيي الدِّين يحبى بن شرف (ت/٦٧٦هـ)

✓ روضة الطَّالبينَ وعمدة المفتينَ، تح: زهير الشَّاويش/ ط٣، المكتب الإسلاميّ/ بيروت، ١٤١٢هـ.

• النَّيسابوريّ: نظام الدِّين الحسن بن محمَّد بن حسين القمِّي (ت/٨٥٠هـ)

✓ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تح: زكريَّا عميرات/ ط١، دار الكتب العلميَّة/ بيروت، ١٤١٦.

• الهوَّاريّ: هود بن محكَّم (ق٣)

✓ تفسير كتاب الله العزيز، تح: بالحاج بن سعيد شريفيّ/ ط١، دار الغرب الإسلاميّ/ بيروت، ١٩٩٠م.

• الواحديّ: أبو الحسن، عليّ بن أحمد بن محمّد (ت/٤٦٨هـ)

✓ التّفسير البسيط، تح: سليمان بن إبراهيم بن محمّد الحصين/ مكتبة الملك فهد الوطنيّة، د.ط/ المملكة العربيّة السّعوديّة، ١٤٣٠هـ.

• ابن وهب: أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد بن وهب الدّنيويّ (ت/٣٠٨هـ)

✓ الواضح في تفسير القرآن الكريم، تح: أحمد فريد/ دار الكتب العلميَّة، د.ط/ بيروت، د.ت.

• يحيى بن سلام: أبو ثعلبة، التَّيميّ البصريّ الأفريقيّ القيروانيّ (ت/٢٠٠هـ)

✓ تفسير يحيى بن سلام، تح: هند شلبي/ ط١، دار الكتب العلميَّة/ بيروت، ١٤٢٥هـ.

ثَانِيًا: المَرَاجِعُ الحَدِيثَةُ

• إبراهيم القطَّان (ت١٤٠٤هـ)

✓ تيسير التَّفسير، تح: عمران أحمد أبو حجلة/ ط١، عمَّان، ١٤٠٢هـ.

• أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر الجزائريّ (ت/١٤٣٩هـ)

✓ أيسر التَّفاسير لكلام العليّ الكبير/ ط٥، مكتبة العلوم والحكم/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ١٤٢٤هـ.

• أبو بكر محمود جوميّ (ت/١٤١٣هـ)

✓ درُّ الأذهان إلى معاني القرآن/ مؤسَّسة غومبي للتِّجارة، د.ط/ د.م، ١٤٠٨هـ.

• أبو الطَّيّب محمَّد صدِّيق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسينيّ البخاريّ القِنَّوجي (ت/١٣٠٧هـ)

✓ فتح البيان في مقاصد القرآن، تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاريّ/ المكتبة العصريّة للطباعة والنّشر، د.ط/ بيروت، ١٤١٢هـ.

• أبو عبد الله عبد السَّلام بن محمَّد بن عمر علوش (معاصر)

✓ المختصر الجامع في بيان وجوه التَّفسير وأسباب التَّنزيل/ ط١، مكتبة الرُّشد ناشرون/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ١٤٢٤هـ.

• أحمد شاكر(ت/١٣٧٧هـ)

✓ عمدة التَّفسير عن الحافظ ابن كثير مختصر تفسير القرآن العظيم، تح: أنور الباز/ ط٢، دار الوفاء/ المنصورة، ١٤٢٦هـ.

• أحمد شوقي عبد السَّلام ضيف (ت/١٤٢٦هـ)

✓ الوجيز في تفسير القرآن الكريم/ دار المعارف، د.ط، د.م، د.ت.

• أحمد مصطفى المراغيّ (ت/١٣٧١هـ)

✓ تفسير المراغيّ/ ط١، مطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ/ مصر، ١٣٦٥هـ.

• أفصح الدِّين محمَّد بن حبيب الله بن أحمد الحسنيّ الحسينيّ (معاصر)

✓ تحفة العليَّة في شرح خطابات الحيدريَّة، تح: عليّ الحسينيّ الكربلائيّ/ ط١، مؤسَّسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة / كربلاء، ١٤٤٢هـ.

• أويس كريم محمَّد (معاصر)

✓ المعجم الموضوعيّ لنهج البلاغة/ ط١، مجمَّع البحوث الاسلاميَّة، مؤسَّسة الطَّبع والنَّشر في الاستانة الرَّضويَّة المقدَّسة/ مشهد، ١٤٠٨هـ.

• حكمت بن بشير بن ياسين (معاصر)

✓ التَّفسير المختصر الصَّحيح من موسوعة الصَّحيح المسبور من التَّفسير بالمأثور/ ط١، دار المآثر، المدينة المنوَّرة/ ١٤٢٦هـ.

• سيد قطب (ت/١٣٨٦هـ)

✓ في ظلال القرآن/ ط١، دار الشّروق/ بيروت، ١٤٢٣هـ.

• الشَّريف الجرجانيّ: عليّ بن محمَّد السَّيد (ت/١٤١٣ه)

✓ معجم التَّعريفات، تح: محمَّد صديق المنشاويّ/ دار الفضيلة، د.ط، القاهرة، د.ت.

• شهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسينيّ الآلوسيّ (ت/١٢٧٠هـ)

✓ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني، تح: محمود شكري الآلوسي البغدادي/ دار إحياء التراث العربي، د.ط/ بيروت، د.ت.

• صادق بن باقر بن محمَّد بن هاشم الموسويّ الهنديّ (ت/١٣٨٤هـ)

✓ تمام نهج البلاغة، تح: صادق الموسويّ/ ط١، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، مؤسسة الإمام صاحب الزمان (عج) / مشهد، ١٤١٨هـ.

• صالح بن عبد العزيز بن محمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ (ت/١٣٧٢هـ)

✓ التَّكميل لما فات تخريجه من إرواء الغليل/ ط١، دار العاصمة للنَّشر والتَّوزيع، الرّياض، ١٤١٧هـ.

• صبحيّ الصَّالح: الدكتور (ت/١٤٠٧هـ)

✓ مباحث في علوم القرآن/ ط٥، دار العلم للملايين/ بيروت، ١٩٦٨م.

✓ نهج البلاغة/ ط٩، دار الأسوة للطِّباعة والنَّشر / قم، ١٤٤٠هـ.

• عايض عبد الله القرنيّ (معاصر)

✓ التَّفسير الميسَّر/ ط٥، العبيكان للنَّشر/ الرّياض، ١٤٣٦هـ.

• عبد الله بن أحمد بن عليّ الزَّيد (معاصر)

✓ مختصر تفسير البغويّ/ ط١، دار السَّلام للنَّشر والتَّوزيع/ الرّياض، ١٤١٦م.

• عبد الله بن صالح السَّيف (معاصر)

✓ المنتقى في التَّفسير/ ط٢، مكتبة الملك فهد الوطنيَّة/ الرّياض، ١٤٤٤هـ.

• عبد الله بن محمَّد عليّ بن يحيى بن عطوة بن يحيى بن نعمة المشطوب العامليّ (ت/١٩٩٤م)

✓ مصادر نهج البلاغة/ ط١، دار الكتب العلميَّة/ بيروت، د.ت.

• عبد الله محمود شحاته: الدُّكتور (ت/١٤٢٤هـ)

✓ تفسير القرآن الكريم/ ط٢، القاهرة، ٢٠٠٠م.

• عبد الحليم عويّس (ت/١٤٣٣هـ)، عليّ عبد المحسن جبر

✓ تفسير القرآن للنَّاشئينَ/ ط١، دار الوفاء، المنصورة/ مصر، ١٤٢٧هـ.

• عبد الحميد هنداويّ: الدُّكتور (معاصر)

✓ منهج الدَّعوة في واقعنا المعاصر/ ط١، دار الآفاق العربيَّة، د.م، ١٤٢٧هـ.

• عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعدي (ت/١٣٧٦هـ)

✓ تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان، تح: عبد الرَّحمن بن معلا اللويحق/ ط٢، دار السَّلام للنَّشر والتَّوزيع/ المملكة العربية السُّعوديَّة، ١٤٢٢هـ.

• عبد الرَّحيم محمَّد أحسن المتميِّز (معاصر)

✓ الأنوار البهيَّة المنتزع من كتب أئمة الزَّيديَّة/ ط١، د.م، ١٤٣٨هـ.

• عبد القادر شيبة الحمد (ت/١٤٤٠هـ)

✓ تهذيب التَّفسير وتجريد التَّأويل ممَّا ألحق به الأباطيل ورديء الأقاويل/ ط٢، مكتبة فهد الوطنيَّة، مؤسَّسة علوم القرآن/ الرِّياض، ١٤٣٢هـ.

• عبد الكريم يونس الخطيب (ت/ بعد: ١٣٩٠هـ)

✓ التَّفسير القرآنيّ للقرآن/ دار الفكر العربيّ، د.ط/ القاهرة، د.ت.

• عبد الهادي الشَّريفيّ (معاصر)

✓ تهذيب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزليّ/ دار الحديث، د.ط/ قم، ١٤٢٦هـ.

• عليّ عاشور (معاصر)

✓ الولاية التَّكوينيَّة لآل محمَّد/ من مصادر العقائد عند الشِّيعة الإماميَّة، د.ط، د.م، د.ت.

• غسَّان حمدون (معاصر)

✓ من نسمات القرآن كلمات وبيان، تح: جميل غازي، عبد الله علوان، وهبي سليمان الغاوجي/ دار السَّلام، د.ط، د.م، ١٤٠٧هـ.

• فخر الدِّين قباوة: الدُّكتور (معاصر)

✓ التَّفسير الوافي المفيد لفهم القرآن المجيد/ ط١، مكتبة لبنان، ٢٠١٢م.

• فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن أحمد المبارك الحريمليّ النَّجديّ (ت/١٣٧٦هـ)

✓ توفيق الرَّحمن في دروس القرآن، تح: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزِّير آل محمَّد/ ط١، دار العاصمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، الرِّياض/ دار العليان للنَّشر والتَّوزيع، القصيم، بريدة، ١٤١٦هـ.

• لبيب بيضون (معاصر)

✓ تصنيف نهج البلاغة/ ط٢، مركز الاعلام الإسلامي، د.م، ١٤٠٨.

• لجنة القرآن والسنَّة والمجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة في القاهرة.

✓ المنتخب في تفسير القرآن الكريم/ دار الثَّقافة، الدَّوحة، د.ت.

• مؤسَّسة دائرة معارف الفقه الإسلاميّ

✓ موسوعة الفقه الإسلاميّ طبقًا لمذهب أهل البيت (عليهم السلام)، تح: مؤسَّسة دائرة معارف الفقه الإسلاميّ/ ط١، مؤسَّسة دائرة المعارف الإسلاميّ/ قم، ١٤٢٩هـ.

• مأمون حمُّوش (معاصر)

✓ التَّفسير المأمون على منهج التَّنزيل والصَّحيح المسنون/ ط١، مأمون حمُّوش/ د.م، ١٤٢٨هـ.

• مجد بن أحمد مكِّي (معاصر)

✓ المُعين على تدبُّر الكتاب المبين/ دار نوادر المكتبات للنَّشر والتَّوزيع/ مؤسَّسة الرَّيان للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، د.ط، د.م، ١٤٣١هـ.

• مجمَّع اللُّغة العربيَّة

✓ المعجم الوسيط/ مكتبه الشروق الدوليَّة، د.ط / جمهورية مصر العربية، ١٤٢٥هـ.

• مجموعة من المؤلِّفين

✓ التَّفسير الميسَّر/ ط٢، مجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف/ السُّعوديَّة، ١٤٣٠هـ.

• محمَّد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد أبو زهرة (ت/١٣٩٤هـ)

✓ زهرة التَّفاسير/ دار الفكر العربيّ، د.ط/ د.م، د.ت.

• محمَّد الأمين بن محمد المختار الجكينيّ الشنقيطيّ (ت/١٤٠٥هـ)

✓أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تح: بكر بن عبد الله أبو زيد/ دار علم الفوائد، جده، د.ت.

• محمَّد باقر الصَّدر(ت/١٤٠٠هـ)

✓ الصَّحيفة السَّجاديَّة الكاملة (أدعية الإمام زين العابدينَ عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)) / ط١، دار الكتاب العربيّ/ بغداد، ١٤٣١هـ.

• محمَّد التَّبريزيّ (ت/١٣٦٣هـ)

✓ التَّفسير الوجيز/ جاب محمَّدي علميَّة، د.ط/ إيران، ١٣٣٩هـ.

• محمَّد تقي التَّستُّريّ (ت/١٤١٥هـ)

✓ بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، تح: مؤسَّسة نهج البلاغة/ ط١، مطبعة سبهر، دار أمير كبير للنَّشر/ طهران، ١٣١٨هـ.

• محمَّد تقيّ مصباح اليزديّ (ت/١٤٤٢هـ)

✓تجلِّي القرآن في نهج البلاغة/ ط١، الأرمغان البصير/ مركز إصدارات مؤسَّسة الإمام الخمينيّ للتَّعليم والبحث، قم، ١٤٢٦هـ.

• محمَّد تقي النَّقويّ (ت/١٣٠٧هـ)

✓ مفتاح السَّعادة في شرح نهج البلاغة/ ط١، مطبعة زنبق/ انتشارات قائن/ طهران، ١٣٨٤هـ.

• محمَّد جمال الدِّين بن محمَّد بن سعيد الحلَّاق القاسميّ (ت/١٣٣٢هـ)

✓ محاسن التَّأويل، تح: محمَّد باسل عيون السُّود/ ط١، دار الكتب العلميَّة/ بيروت، ١٤١٨هـ.

• محمَّد جواد مغنية (ت/١٤٠٠هـ)

✓ التَّفسير الكاشف/ ط٤، دار الأنوار/ بيروت، ٢٠٠٧م.

✓ في ظلال نهج البلاغة/ ط١، دار العلم للملايين/ بيروت، ١٩٧٣.

• محمَّد حسين الحسينيّ الجلاليّ (ت/١٤٤٢هـ)

✓ شرح نهج البلاغة، تح: محمَّد جواد الحسينيّ الجلاليّ/ ط١، الفلم والألواح الحساسة/ قم، ١٤٢٢.

✓ مسند نهج البلاغة، تح: محمَّد جواد الحسينيّ الجلالي/ ط١، مكتبة العلَّامة المجلسيّ/ مطبعة عمران، د.م، ١٤٣١هـ.

• محمَّد حسين فضل الله (ت/١٤٣١ه)

✓ في رحاب أهل البيت/ ط٢، دار الملاك للطباعة، بيروت / ١٤١٩هـ.

✓ من وحي القرآن/ ط١، دار الملاك، بيروت/ ١٤١٩هـ.

• محمد حسين الطَّباطبائيّ (ت/١٤٠٢هـ)

✓ الميزان في تفسير القرآن/ ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت، ١٤١٧هـ.

• محمَّد الحسينيّ الشِّيرازيّ (ت/١٤٢٢هـ)

✓ توضيح نهج البلاغة/ ط١، دار العلوم / سوريا، ١٤٢٣هـ.

• محمّد رشيد رضا (ت/١٣٥٤هـ)

✓ تفسير القرآن الحكيم الشّهير بتفسير المنار/ ط٢، دار المنار/ مصر، ١٣٦٧هـ.

• محمَّد رواس قلعجيّ (ت/١٤٣٥هـ)، حامد صادق قنيبيّ: الدُّكتور (معاصر)

✓ معجم لغة الفقهاء/ ط٢، دار النَّفائس للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع/ د.م، ١٤٠٨هـ.

• محمَّد الرِّيشهريّ (ت/١٣٢٥هـ)

✓ الصَّلاة في الكتاب والسُّنة، تح: دار الحديث/ ط١، مطبعة دار الحديث/ قم، ١٣٧٦.

✓ منتخب نهج الذِّكر، تح: مركز بحوث دار الحديث/ ط١، دار الحديث/ قم، ١٤٢٩هـ.

✓ ميزان الحكمة، تح: دار الحديث/ ط١، مطبعة دار الحديث، ١٤١٦هـ.

• محمَّد سليمان عبد الله الأشقر (ت/١٤٣٠هـ)

✓ زبدة التَّفسير/ وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة/ إدارة الشُّؤون الإسلاميَّة/ د.ط/ قطر، ١٤٢٨هـ.

• محمَّد السَّيد طنطاوي (ت/١٤٣١هـ)

✓ التَّفسير الوسيط/ ط٣، مطبعة السَّعادة/ القاهرة، ١٤٠٤هـ.

• محمَّد بن صالح عثيمن (ت/١٤٢١هـ)

✓ تفسير القرآن الكريم (سورة الأحزاب) / ط١، مؤسَّسة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمن الخيريَّة، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة/ ١٤٣٦هـ.

✓ شرح رياض الصّالحين من كلام سيد المرسلينَ/ مدار الوطن للنَّشر، د.ط/ الرّياض، ١٤٢٦هـ.

• محمَّد صلاح الدِّين عبد السَّميع فضل(معاصر)

✓ بلاغة الخطاب وعلم النص، كتب ثقافيَّة شهريَّة يصدرها المجلس الوطني للثَّقافة والفنون والآداب، د.ط/ الكويت/ ١٩٧٨م.

- محمَّد الطَّاهر بن عاشور (ت/١٣٩٣هـ)

✓ التَّحرير والتَّنوير/ الدَّار التُّونسية للنَّشر، د.ط/ تونس، ١٩٨٤.

- محَّمد عبد الله دراز (ت/١٩٥٨)

✓ النبأ العظيم/ دار الثَّقافة/ د.ط، د.م، ١٤٠٥هـ.

- محمَّد عبد الحقِّ بن شاه الهنديّ الحنفيّ المسمَّى بالنَّسفيّ (ت/١٣٣٣هـ)

✓ مدارك التَّنزيل وحقائق التَّأويل، تح: محيي الدين أسامة البيرقدار/ ط١، دار الكتب العلميَّة / بيروت، ١٤٣٣هـ.

- محمَّد عبد العظيم الزَّرقانيّ (ت/١٣٦٧ه)

✓ مناهل العرفان في علوم القرآن/ط٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.م، د.ت.

- محمَّد عبده (ت/١٣٢٣هـ)

✓ نهج البلاغة/ ط١، منشورات الفجر/ بيروت، ١٤٢٩هـ.

- محمّد عزّت دروزة (ت/١٤٠٤هـ)

✓ التَّفسير الحديث ترتيب السُّور حسب النّزول/ ط٢، دار إحياء الكتب العربيّة/ القاهرة، ١٤٢١هـ.

- محمَّد عليّ الصَّابونيّ (ت/١٤٤٢هـ)

✓ التِّبيان في علوم القرآن/ ط٣، دار احسان للنَّشر والتَّوزيع/ طهران/١٤٣٠هـ.

✓ صفوة التَّفاسير/ ط١، دار الصَّابونيّ للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع/ القاهرة، ١٤١٧هـ.

- محمَّد بن عليّ بن محمَّد الشُّوكانيّ (ت/١٢٥٠هـ)

✓ فتح القدير، تح: عبد الرَّحمن عميرة/ دار الوفاء، د.ط/ د.ت.

- محمَّد بن لطفي الصَّبَّاغ (ت/١٣٣٩هـ)

✓ تهذيب تفسير الجلالين/ ط١، المكتب الإسلاميّ، بيروت/ ١٣٢٧هـ.

- محمَّد متولِّي الشَّعراويّ (ت/١٤١٨هـ)

✓ الخواطر/ مطابع أخبار اليوم، د.ط، د.م، ١٩٩٧م.

- محمَّد محمود الحجازيّ (ت/١٣٩٢هـ)

✓ التَّفسير الواضح/ ط١٠، دار الجيل الجديد/ بيروت، ١٤١٣هـ.

- محمَّد بن موسى آل نصر (ت/١٤٣٨هـ)

✓ الدرُّ النَّثير في اختصار تفسير الحافظ ابن كثير/ ط٢، الدَّار الأثريَّة/ عمان، ١٤٣١هـ.

- محمَّد هادي معرفة (ت/١٤٢٧هـ)

✓ التَّفسير والمفسِّرونَ في ثوبه القشيب/ مؤسَّسه الطَّبع والنَّشر في الاستانة الرَّضويَّة المقدَّسة، الجامعة الرَّضويَّة للعلوم الإسلاميَّة، د.ط/ مشهد، ١٤٢٦هـ.

- محمَّد بن يوسف بن عيسى بن صالح اطفيش (ت/١٣٣٢هـ)

✓ هميان الزَّاد إلى دار المعاد/ ط٢، طبع في سلطنة عمان، د.ت.

- محمود عبد الرَّحمن عبد المنعم: الدُّكتور (معاصر)

✓ معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيَّة/ دار الفضيلة، د.ط، د.م، د.ت.

- محمود بن محمَّد نسيب بن حسين بن يحيى حمزة الحسينيّ الحمزاويّ الحنفيّ (ت/١٣٠٥هـ)

✓ درُّ الأسرار في تفسير القرآن بالحروف المهملة، تح: أسامة عبد العظيم/ ط١، دار الكتب العلميَّة/ بيروت، ٢٠١١م.

- مركز تفسير للدِّراسات القرآنيّة

✓ المختصر في التّفسير/ ط١، دار المختصر للنَّشر والتَّوزيع، د.م، ١٤٤٢هـ.

- منَّاع القطان: الدُّكتور (ت/١٤٢٠هـ)

✓ مباحث في علوم القرآن/ ط٧، مكتبة وهبة/ القاهرة، د.ت.

- ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت/١٤١٣هـ)

✓ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تح: عليّ عاشور/ ط١، دار إحياء التُّراث العربيّ/ بيروت، ١٤٢٤هـ.

- ناصر مكارم الشِّيرازيّ (معاصر)

✓ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل/ ط١، سليمان زاده، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) / قم، ١٣٨٤هـ.

✓ نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة/ ط١، دار جواد الأئمة / بيروت، ١٤٣٢هـ.

• نخبة من أساتذة التَّفسير

✓ التَّفسير الميسَّر/ ط٢، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف/ السُّعوديَّة، ١٣٣٠هـ.

• نصر حامد أبو زيد: الدُّكتور (ت/٢٠١٠م)

✓ النَّصُّ السُّلطة الحقيقيَّة/ ط١، المركز الثقافيّ العربيّ/ بيروت، ١٩٩٥م.

• نور السَّاعدي (معاصر)

✓ أثر النَّصِّ القرآنيّ في التَّعددية الدينيَّة/ ط١، دار الرَّافدين / بيروت ،٢٠١٧م.

• وهبة بن مصطفى الزُّحيليّ (ت/١٤٣٦هـ)

✓ التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج/ ط١، دار الفكر، دمشق/ دار الفكر المعاصر، بيروت/ ١٤١١هـ.

ثَالِثًا: الرَّسائل والأطاريح

• أحمد آدم أحمد محمَّد

✓ الخطاب الوعظيّ النَّبويّ- دراسة تحليليَّة بلاغيَّة، رسالة ماجستير/ جامعة أم درمان الإسلاميَّة، ١٤٣٣هـ.

• بن الدِّين بخولة

✓ الاسهامات النَّصيَّة في التُّراث العربيّ، أطروحة دكتوراة في علوم اللِّسانيَّات النَّصيَّة، جامعة وهران / كلية الآداب/ قسم اللُّغة العربيَّة، ٢٠١٥-٢٠١٦م.

• رسل سالم جبَّار الجبوريّ

✓ المقاصد القرآنيَّة في خطب نهج البلاغة دراسة تفسيريَّة، رسالة ماجستير/ جامعة بابل، ١٤٤٢هـ.

• عبَّاس عليّ حسين الفحَّام

✓ الأثر القرآنيّ في خطب نهج البلاغة- دراسة في الشَّكل والمضمون، أطروحة دكتوراة/ جامعة الكوفة، ١٤٢٩.

رَابِعًا: المَجَلَّات والبحُوثُ

• جعفر عليّ عاشور (معاصر)، جواد عودة سبهان (معاصر)

✓ التَّوظيف القرآنيّ في بعض خطب الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) / مجلَّة أهل البيت (عليهم السلام)، (العدد/ ٩)، ٢٠٢٣م.

• محمَّد كاظم شاكر: الدُّكتور (معاصر)

✓ فهم القرآن بين الظن واليقين، مجلَّة نصوص معاصرة، (العدد التجريبي) / بيروت ،١٤٢٥هـ.

• محمود مرويان: الدُّكتور (معاصر)

✓ منهج التفسير الموضوعي عند الشيخ معرفة، مجلة نصوص معاصرة، (العدد/ ٤٦) /بيروت ،١٤٣٢هـ.

خَامِسًا: المَوَاقِعُ

• عبَّاس عليّ العليّ: الدُّكتور (معاصر)

✓ دراسة في مهمَّة استنطاق النَّصِّ/ موقع الحوار المتمدِّن.

• سنا ملَّاح

✓ خصائص النَّصِّ الإرشاديّ/ موقع المرسال.

الخلاصة

إنَّ من أهمِّ ما سعى إليه القرآن الكريم هو هداية النَّاس بإخراجهم من ظلمات الشِّرك والجهل إلى نور التَّوحيد والعلم، وهذا ما جعل نصوص القرآن الكريم بدلالاتها ومحتوياتها حاضرة في تراث أهل البيت (عليهم السلام)، ولا سيما (نهج البلاغة) لأمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فقد استنطق القرآن الكريم في خطبه ورسائله وحكمه، فأصبح مرجعًا مهمًّا للمسلمينَ لما تميَّز به من القدرة على استنطاق تلك النُّصوص، وهو أمرٌ شكَّل علامة بارزة فيه، وبذلك أصبح محتواه منهجًا للحياة؛ لأنَّه يقوم على علاقة بين الذَّات الإلهيَّة والإنسان من خلال ما ضمَّنه الإمام من آيات استنطقها لتشمل كافة جوانب الحياة، فمن هذه النُّصوص ما هو متعلِّق بالله تعالى كذكر صفاته وبيان حقيقة القرآن المعجزة الخالدة، وذِكْر حقائق تتعلَّق باليوم الآخر؛ للتَّرهيب والمسارعة نحو أعمال البرّ، ومن النُّصوص ما هو متعلِّق ببناء الإنسان سلوكيًّا من خلال الحثِّ على طاعة الله تعالى، وإداء العبادات، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، كما وردت الكثير من النُّصوص القرآنيَّة في ذكر صفات المؤمنينَ، وصفات الكفَّار، ومصير كلٍّ منهما، إضافة إلى ذكر المواعظ والإرشادات الَّتي شغلت مساحة واسعة في نهج البلاغة؛ لتهذيب النُّفوس والرُّقي بها إلى أسمى المراتب، ومن النُّصوص ما تعلَّق بالكون وذكر حقيقة المخلوقات وقدرة الله سبحانه التَّامَّة على الخلق والفناء والبعث والحساب، وعظمته سبحانه، وعجز الإنسان عن إدراك عجائب صنعه في مخلوقاته، والعبرة والاتِّعاظ بالأمم الماضية، وما لحقها من العذاب والهلاك بسبب إنكارهم الحقِّ، وذكر حقيقة الدُّنيا ووجوب الزُّهد فيها، لأنَّها زائلة فانية لا بقاء لها ولا دوام، وهذا ممَّا يوجب التَّفكُّر ويدعو إلى التَّأمُّل.

فالنَّصّ القرآنيّ في نهج البلاغة له أبعاد ووظائف تتعدَّى حدود الزَّمان والمكان لتشمل كافَّة المجالات، فهو أعظم دستور إنسانيّ بعد القرآن الكريم، وإنَّنا اليوم في أمسِّ الحاجة إلى هذا النَّهج العظيم الَّذي جاء به نهج البلاغة وقام على استنطاق النَّصّ القرآنيّ.